سورة التكوير

[١٠٠٥] أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم(١) عن سليمان بن موسى قال لما نزلت: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨﴾(٢) قال أبو جهل ذاك إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم فأنزل الله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٣) وأخرج ابن أبي حاتم من طريق بقية عن عمرو بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبي هريرة مثله.

ك.. وأخرج ابن المنذر من طريق سليمان عن القاسم بن مخيمرة مثله.

* * *

[١٠٠٥] (١) رواه الواحدي في أسباب النزول ص (٢٥٣).

(٢) سورة التكوير: الآية (٢٨).

(٣) سورة التكوير: الآية (٢٩).

(٨١) سورة التكوير مكية وآياتها تسع وعشرون

● **سورة** التكوير من السور المكية ، وهي تعالج حقيقتين من حقائق العقيدة الإسلامية وهما : حقيقة القيامة ، وحقيقة الوحي والرسالة ، وكلاهما من لوازم الإيمان .

● **ابتدأت** السورة الكريمة ببيان حقيقة القيامة وما يصاحبها من انقلابٍ كوني هائل ، يشمل الشمس والنجوم ، والجبال والبحار ، والأرض والسماء ، والأنعام والوحوش ، كما يشمل البشر ، ويهز الكون هزاً عنيفاً طويلاً ، ينتثر فيه كل ما في الوجود ، ولا يبقى شيء إلا وقد تبدَّل وتغيَّر من هول ما يحدث في ذلك اليوم الرهيب ﴿ إذا الشمسُ كُوِّرتْ . وإذا النجومُ انكدرتْ . وإذا الجبالُ سُيِّرت . وإذا العِشَارُ عُطِّلتْ . وإذا الوُحوشُ حُشِرتْ . وإذا البحارُ سُجِّرتْ . وإذا النفوسُ زُوِّجَتْ . وإذا الموءودةُ سُئِلتْ . بأيِ ذنبٍ قُتِلَتْ ؟ .. ﴾ الآيات .

● **وتناولت** السورة حقيقة الوحي ، وصفة الملك الذي يحمله ، وصفة النبي الذي يلقاه ، ثم شأن القوم المخاطبين بهذا الوحي الذي نزل لينقلهم من ظلمات الشرك والضلال ، إلى نور العلم والإيمان ﴿ فلا أقسم بالخُنَّس . الجوار الكُنَّس . والليل إذا عسعس . والصبح إذا تنفس . إنه لقول رسولٍ كريم . ذي قوةٍ عند ذي العرش مكين .

مطاعٍ ثَمَّ أمين . وما صاحبكم بمجنون ..﴾ الآيات .

● **وختمت** السورة الكريمة ببيان بطلان مزاعم المشركين حول القرآن العظيم ، وذكرت أنه موعظةٌ من الله تعالى لعباده ﴿ فأين تذهبون ؟ إن هو إلا ذكرٌ للعالمين . لمن شاء منكم أن يستقيم . وما تشاءون إلا أن يشاءَ اللهُ ربُ العالمين﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة إذا الشمس كورت[١]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[١]

قوله عز وجل:[٢] **إذا الشمس كورت**، هذا ليس بابتداء خطاب، ولكنه[٣] جواب عن سؤال تقدّم؛ فيُشبه أن يكون السؤال عن وقت لقاء الأنفس الأعمالَ فنزل قوله: **إذا الشمس كورت**، [يدلّ عليه قوله: عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ.[٤]

ثم في قوله: **إذا الشمس كورت**][٥] إشارة إلى أحوال ذلك الوقت وآثارها على ما نذكر المعنى الذي له وَقَعَ تبيينُ[٦] الأحوال دون[٧] تبيين الوقت في سورة "إذا السماء انفطرت".[٨]

واختلف في قوله تعالى: **كوّرت**، قال بعضهم: هي فارسية معربة وهي بالعربية غُوِّرت. وقال بعضهم: **كوّرت**، أي ذهب ضوءُها، يقال: كَوّر الليلَ على النهار، أي أذهب[٩] نوره وضياءه،[١٠]

---

[١] ر – سورة إذا الشمس كورت؛ ن – كورت؛ ث: سورة كورت وهي تسع وعشرون آيات.

[٢] ن – قوله عز وجل.

[٣] ن: ولكن.

[٤] الآية ١٤ من هذه السورة.

[٥] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٢١ظ.

[٦] جميع النسخ: على ما يذكر المعنى الذي له وقع لتبيين. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] م – دون.

[٨] سورة الانفطار، ١/٨٢.

[٩] ن: ذهب.

[١٠] يقول الله تعالى: ﴿خلق السماوات والأرض بالحق يُكَوِّر الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر﴾ (سورة الزمر، ٥/٣٩). تكوير الليل على النهار تغشيته إياه، ويقال: زيادته في هذا من ذلك. وفي التنزيل العزيز: ﴿يكور الليلَ على النهار ويكوِّر النهارَ على الليل﴾، أي يُدْخِلُ هذا على هذا. وأصله من تَكْوِيرِ العمامة وهو لفها وجمعها. وكُوِّرَتِ الشمسُ جُمِعَ ضوءها ولُفَّ كما تُلَفُّ العمامة. وقيل: معنى كُوِّرَتْ غُوِّرَتْ. (*لسان العرب*، «كور»).

فالتكوير يغطّي لونَ الشيء عن الأبصار. فقيل: كُوِّرت الشمسُ، أي حُبس ضوءها على الأبصار بالطمس، فيكون فيه إنباء أنه يُطمس ظاهرها، ثم يَرد التغير في نفسها فتَتْلَف وتتلاشَى.[1] ومنه يقال: كَوّر العمامةَ إذا لَفَّها[2] على رأسه[3] فتغطِّيه.[4]

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾[٢]

وقوله تعالى: **وإذا النجوم انكدرت**، تناثرتْ وتساقطت، وهو كقوله: وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ.[5] وقيل: ذهب ضوءها فكأن[6] ضوءها يذهب[7] أولا ثم تتناثر[8] بعد ذلك.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وإذا الجبال سيرت**، أي[9] قلعت عن أماكنها وسيّرت كما قال في آية أخرى: وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ،[10] وهي إذا قُلعت تكثّرت حتى لا يتبين للناظر سيرُها لكثرتها فيحسبها[11] جامدة وهي تسير. فهذا أول تغير يظهر فيها، ثم تصير[12] كَثِيبًا مَهِيلًا،[13] ثم كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ،[14] ثم هَبَاءً مُنْبَثًّا،[15] إلى أن تتلاشى وتتلف.[16]

---

[1] جميع النسخ: فيتلف ويتلاشى (ن: وتلاشى). والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢١ظ.
[2] ر ث م: إذا ألفها.
[3] ث: على نفسه.
[4] جميع النسخ: فيغطيه. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] سورة الانفطار، ٨٢/٢.
[6] ر ن ث: فكأنه.
[7] ر ث م: يذهب ضوءها.
[8] ر م: تناثر؛ ن: يتناثر.
[9] ر: إذا.
[10] سورة النمل، ٢٧/٨٨.
[11] جميع النسخ: فتحسبها. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ: يصير. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يوم تَرْجُف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا﴾ (سورة المزمل، ٧٣/١٤).
[14] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ (سورة القارعة، ١٠١/٥).
[15] جميع النسخ: منثورا. بدلنا كلمة «منثورا» بـ «منبثا» لأن كلمة «منثور» في القرآن تأتي صفة للعمل وللؤلؤ لا للجبال، ولكن كلمة «منبثا» تأتي صفة للجبال كما في قوله تعالى: ﴿وبُسَّتِ الجبال بَسًا فكانت هباء منبثا﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/٥-٦).
[16] جميع النسخ: يتلاشى ويتلف. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وإذا العشار عطلت**، فالعشار هي النُّوق الحوامل التي أتى على حملها عشرةُ أشهر، وهي من أنفَس الأموال عند أهلها. فيخبر أن أربابها يعطّلونها[١] في ذلك اليوم ولا يلتفتون إليها لشغلهم بأنفسهم في ذلك، وهو كما قال: يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ -إلى قوله- وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى،[٢] الآية.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **وإذا الوحوش حشرت**، قيل: جمعت. وهو يحتمل وجهين. أحدهما أن تجمع كلّها فتتلف وتُهْلَكَ.[٣] والثاني أن تحشر[٤] في أن تُحْيَا[٥] بعد موتها، فيصنع الله تعالى فيها ما شاء. فيكون في هذا إخبارٌ عن عظم هول[٦] ذلك[٧] اليوم حتى يؤثّر الهولُ[٨] في الوحوش والشمس والقمر والسماوات.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[٦]

وقوله: **وإذا البحار سجرت**، قيل: فُجِّرت، وسنذكر تأويل التفجير[٩] فيما بعد إن شاء الله تعالى.[١٠]

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾[٧]

وقوله: **وإذا النفوس زوّجت**، قيل: قُرِنت. ثم اختلف في معنى القِران. فقال بعضهم: قُرِن زوجُها إليها. وقال بعضهم: يُقرَن كلٌّ بأهل شيعته فيُقرَن الكفرةُ بالشياطين، وأهلُ الشراب

---

[١] ت: يعطلون.

[٢] ﴿يوم ترونها تذهل كلّ مرضعة عما أرضعت وتضع كلّ ذاتِ حملٍ حملَها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد﴾ (سورة الحج، ٢٢/٢).

[٣] جميع النسخ: أن يجمع كلها فيتلف ويهلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢و.

[٤] جميع النسخ: أن يحشر. والتصحيح من المرجع السابق.

[٥] جميع النسخ: أن يحييها. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] ر ث م - هول.

[٧] جميع النسخ: تلك. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] ث - حتى يؤثر الهول.

[٩] ر م: انفجر.

[١٠] ن - إن شاء الله تعالى. انظر عند تأويل الآية ٣ من سورة الانفطار.

[٨٨٨و] بأهل الشراب، وأهلُ الزنى بأهل الزنى. وقال الله تعالى:[١] / ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ -إلى قوله- يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾.[٢] ففي هذا إخبار أن المعذَّب منهم إذا رأى عدوه يعذَّب عذابَه، ويكون في العذاب الذي[٣] هو فيه لم يتسلَّ بذلك شيئا ولم يَنل به راحةً، وإن كان المرءُ في الدنيا إذا رأى[٤] عدوَّه يعذَّب عذابَه يتسلَّى بذلك.[٥]

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾[٨] ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[٩]

وقوله: **وإذا الموءودة سئلت**، وقرأ بعضهم: وإذا[٦] الموءودة سَألت،[٧] وهذا هو الظاهر أن تكون[٨] هي السائلةَ،[٩] أي تسأل[١٠] إياهم بأي ذنب قتلت، وتقول: بأيّ ذنب قتلتموني؟ وكانت العرب تُدفِن[١١] بناتِها. يقال: وَأَدْتُه أي دَفنتُه.

ثم القراءة المعروفة **سئلت**، وهي تحتمل[١٢] أوجهًا ثلاثةً.[١٣] أحدها ذَكَر أبو عبيد[١٤] وقال: إنّ قَتَلَتَها تُسْأل:[١٥] بأي ذنب قُتلت الموءودة؟

---

[١] ن – الله تعالى.

[٢] سورة الزخرف، ٣٦/٤٣-٣٨.

[٣] م – الذي.

[٤] ث: إذا كان.

[٥] ن – بذلك.

[٦] ر م: إذا.

[٧] قرأ علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وابن مسعود وابن عباس وعشرة من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: "وإذا الموءودة سَأَلَت بأي ذنب قتلت" (*شواذ القرآن* لابن خالويه، ١٦٩)؛ وانظر: *البحر المحيط* لأبي حيان، ٤٣٣/٨.

[٨] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢و.

[٩] ن + في الحدث.

[١٠] جميع النسخ: أن يسأل. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] ر ث م: يدفن.

[١٢] ر ث م: يحتمل.

[١٣] م – ثلاثة.

[١٤] هو أبو عُبيد القاسم بن سَلّام البغدادي، الإمام المشهور، ذو التصانيف، له كتب في معاني القرآن وغريب الحديث والفقه وغير ذلك. وكان ثقة علامة. مات سنة ٢٢٤هـ/٨٣٩م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ٤٩٠/١٠-٥٠٩؛ و*تقريب التهذيب* لابن حجر، ٤٥٠.

[١٥] ن: سئل.

و[الثاني] يحتمل أن تسأل[1] الموءودةُ عند حضرة الذين وأدُوها: بأي ذنب قُتلَت. يراد بالسؤال تخويفٌ وتهويل[2] للذين وأدوها لا سؤالُ استخبار واستفهام، وهو كقوله تعالى: وَإِذْ قَالَ اللّٰهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّٰهِ،[3] وليس[4] يُسأل عن هذا سؤالَ استخبار واستفهامٍ ولكن يُسأل[5] سؤالَ تخويف وتهويل[6] لمن أدّعى أن عيسى عليه السلام[7] هو الذي أَمَرهم أن يتخذوه وأمّه إلهين من دون الله.

و[الثالث] جائز أن تسأل[8] الموءودة: أتدّعي[9] أم لا تدّعي؟[10] وما الذي تدعي[11] عليهم؟ فيُبدَأ بها بالسؤال كما تَرى[12] المدَّعِيَ في الشاهد هو الذي يُبدَأ بالسؤال[13] فيقال له: ما تدّعي[14] على هذا؟

فقوله: **بأي ذنب قتلت**، كأنها إذا سئلت عن الذي ادّعت وقالت: بأي ذنب قُتِلْتُ؟ *والله أعلم*.

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **وإذا الصحف نشرت**، أي الكتب نشرت للحساب، وهي التي فيها أعمال بني[15] آدم وقتَ ما تُدفع إليهم[16] بأيمانهم وشمائلهم.

---

[1] جميع النسخ: أن يسأل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢و.
[2] ث: والتهويل.
[3] سورة المائدة، ١١٦/٥.
[4] ث: فليس يذهب.
[5] ث: يسألون.
[6] ن - وتهويل.
[7] جميع النسخ: كما يرى. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: أن يسأل. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ث: أن تدعي.
[10] جميع النسخ: أو لا تدعي.
[11] ن: يدعي.
[12] جميع النسخ: كما يرى. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ث - كما يرى المدعي في الشاهد هو الذي يبدأ بالسؤال.
[14] ن: ما يدعي.
[15] ر ث م: ابن.
[16] جميع النسخ: يدفع إليها.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **وإذا السماء كشطت**، قيل: قشرت،[١] وذلك أن تتناثر[٢] النجوم وتُطمَس الشمس فتُطوَى[٣] كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ.[٤] وقيل: كشفت،[٥] تكشف[٦] السماء كما يكشف[٧] الغطاء عن الشيء، ويقال: **كشطت**، أي قلعت كما يقلع السقف.

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **وإذا الجحيم سعرت**، يحتمل وجهين. أحدهما أن يُحدَث تسعيرُها فيكون فيه عَلَمُ الحدثية، وكذلك في قوله تعالى: وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ.[٨] يحتمل أن يُبتدأ تسجيرها ولما تُسجَّر[٩] من قبل. وجائز أن يزاد[١٠] في التسجير[١١] والتسعير على ما كان من قبلُ، كقوله:[١٢] وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ،[١٣] وقد كان وقودها بغير هذين، ثم يزاد[١٤] في وقودها بالناس والحجارة.[١٥]

﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وإذا الجنة أزلفت**، قيل: قُرِبت، فأضيف إليها التقريب لأن أهلها إذا قَرُبوا إليها فقد قُرِبت هي إليهم.

---

[١] ر ن م: فشرت.
[٢] ر م: أن تناثر؛ ن: أن يتناثر.
[٣] جميع النسخ: فيطوى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢و.
[٤] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يوم نطوي السماء كطيّ السجل للكتب﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/١٠٤).
[٥] ر: كسفت؛ ن: كشفت؛ ث م: كسفت. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ر: بكسفة؛ ن: يكشف؛ ث م: يكسف. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ر ث م: كما يكسف.
[٨] الآية ٦ من هذه السورة.
[٩] ر ث م: ولما سحر؛ ن: ولما يسجر. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] جميع النسخ: أن يراد. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ن ث: من التسجير.
[١٢] جميع النسخ: لقوله. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] سورة البقرة، ٢/٢٤؛ وسورة التحريم، ٦٦/٦.
[١٤] جميع النسخ: ثم يراد. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٥] ث + وقوله عز وجل علمت نفس ما أحضرت.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **علمت نفس ما أحضرت**، أي ما أحضرت[١] من خير أو شر، كقوله تعالى: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا،[٢] الآية، أو تعلم ما أحضرتها[٣] الملائكة الذين كتبوا عليها.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾[١٥] ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس**. الأشياء التي وقع بها القسم[٤] تقتضي[٥] أحكامًا ثلاثةً. أحدها ما من شيء خلقه الله تعالى إلا وفيه دليل[٦] وحدانيته وآية ربوبيته إذا أنعم[٧] النظر فيه. و[الثاني] يُثبِت علمَه وحكمته. و[الثالث] يدلّ على قدرته وسلطانه. وفي تثبيت القدرة والسلطان إيجاب القول بالبعث، [وفي تثبيت الحكمة والعلم إيجاب التصديق بكل ما يخبر الرسول عن الله، وفي تثبيت الحكمة تثبيت البعث أيضا][٨] وإيجاب القول بالرسل ونهي عن عبادة غير الله. فلو أنعموا النظر فيها وتفكروا في أمرها لأدّاهُم[٩] ذلك إلى القول بالبعث ودعاهم إلى وحدانية الرب والإقرار بالرسل؛ فلا يَدّعون أن[١٠] معه آلهة أخرى، ولا كانوا ينكرون البعث ولا يكذّبون الرسول.

فأقسم بهذه الأشياء على التأكيد لحججه[١١] ليعلموا أنه رسول من عنده، أو أنّ القرآن من عنده، أو أنّ الأوامر من عنده، أو الرسول من عنده، أو يكون القسم تلقينا من الله تعالى لرسوله بأن يُقسِم لهم بهذه الأشياء ليزيل عنهم الشبه[١٢] والشكوك التي اعترضت للكفرة في أمره صلى الله عليه وسلم ويدعوَهم إلى النظر في حججه وآياته.

---

[١] م - أي ما أحضرت.
[٢] سورة آل عمران، ٣/٣٠.
[٣] جميع النسخ: أو يعلم ما أحضر بها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢و.
[٤] ن: القسمة.
[٥] جميع النسخ: يقتضي. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ث: دلائل.
[٧] يقال: أنعم النظر في الأمر: أطال الفكرة فيه (*لسان العرب*، «نعم»).
[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٢٢و.
[٩] ر م: أذاهم.
[١٠] ر: أنه.
[١١] م: بحججه.
[١٢] ر ن م: الشبهة.

ثم القسم بما لَطُف من الأشياء[1] ودَقّ وبما كَثُف[2] وغَلُظ وبما كَبُر وصَغُر وبما ظَهَر وخَفِي يتفق[3] كلها في إزالة الشبهة وإثبات التوحيد والرسالة والبعث، بل الأعجوبة فيما لطف من الأشياء أعظم منها بما كثف[4] وغلظ. فأقسم مرة بالكواكب ومرة بظلمة الليل وبالضحى[5] وبما شاء من خلقه؛ إذ[6] الخلائق كلها في الشهادة على وحدانيته وإثبات ربوبيته وإثبات علمه وقدرته وسلطانه متفقة؛ ولأن ما لطف من الأشياء وخفي منها يتصل بما ظهر منها، فيتضمن ذكرُ ما خفي منها واستتر ذكرَ ما ظهر منها، وفي ذكر ما ظهر منها ذكر منشئها[7] فيكون القسم في الحقيقة بالله تعالى.

ثم اختلف في الْخُنَّس والكُنَّس.[8] قال أبو بكر [الأصم]: إن الخنس والكنس هي النجوم تَخْنُس بالنهار وتظهر[9] بالليل. وقال الحسن: الخنس[10] هي النجوم التي يطلعن في مطالعها ثم يَكْنِسن[11] و يَغِبْن[12] في مغاربها.[13] والكنس هي[14] النجوم التي يطلعن في مطالعها ثم يكنسن ويختفين إلى أن يَعُدْن إلى مطالعهن فيطلعن. وقيل: الخنس الجواري الكنس هي خمس

[٨٨٨ظ] كواكب لهن مَجارٍ[15] في السماء يظهرن / بالليل ويَسْتَتِرْن[16] بالنهار، وسائر الكواكب ثوابت. ثم قيل: الخُنوس والكُنوس واحد، وهو الاختفاء[17] والغروب في مغاربها والدخول فيها.

---

[1] ن - من الأشياء.
[2] ر م: وبما كشف.
[3] ن: ينفق.
[4] ر م: بما كشف.
[5] جميع النسخ: وما يضحى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢ظ.
[6] ر م: إذ.
[7] م: منشئهما.
[8] ن: الكنس.
[9] جميع النسخ: يخنس بالنهار ويظهر. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر ث م - والكنس هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل وقال الحسن الخنس.
[11] ر ث م - ثم يكنسن.
[12] ر م: وتغير.
[13] *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/٢٣٦-٢٣٧.
[14] ر: هو.
[15] جميع النسخ: مجاري. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢ظ.
[16] جميع النسخ: ويسترن. والتصحيح من المرجع السابق.
[17] ر: الاحتفار.

وقيل: الكُنوس الاختفاء،[١] والخُنوس التأخر. وكذا قال الفراء: هي النجوم الخمسة تَخْنُس في مجراها وترجع.[٢] وفي حديث كعب فتخنس[٣] بهم النار[٤] كما تخنس النجوم الْخُنَّس، أي تحيد بهم وتتأخر.[٥] *والله أعلم*. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: هي[٦] الوحوش اللاتي تخنس من الإنس، وتكنس[٧] في مكانهن.[٨] وأيًا ما[٩] كان فهي كلها دالّة على الوجوه التي ذكرنا.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **والليل إذا عسعس**، قيل: إذا أقبل، وقيل:[١٠] إذا أدبر.[١١]

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[١٨]

وقوله:[١٢] **والصبح إذا تنفس**، إذا انفجر وإذا ارتفع. وفي إقبال الليل وإقبال النهار تثبيت القدرة والسلطان؛ وذلك أن ظلمة الليل إذا غشيت سترت وجوه[١٣] الأشياء [حتى لا يجد أحد عن الستر ملجأ، وذلك يكون بأدنى وهلة. ثم النهار إذا أقبل نَزَع [الغطاء] عن الأشياء][١٤] وكَشَفَ[١٥] عنها السِّتر. ولو أراد أحد أن يغطّي[١٦] الأشياء كلّها بالحيل والأسباب لم يتمكن منها، ولو أراد نزع الغطاء عنهم لم يملك. فذكّرهم هذا ليعلموا أنَّ من بلغت قدرتُه هذا لا يعجزه أمر ولا يتعذر عليه البعث، بل هو قادر على إحيائهم وبعثهم.

---

[١] ن + والكنوس.
[٢] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢ظ. *معاني القرآن وإعرابه* للفراء، ٣/٢٤٢.
[٣] جميع النسخ: فيخنس. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢ظ.
[٤] *النهاية في غريب الحديث والأثر* لابن الأثير، ٢/٨٣.
[٥] جميع النسخ: يحيد بهم ويتأخر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢ظ.
[٦] ر م – هي.
[٧] جميع النسخ: يخنس من الإنس ويكنس. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/٢٣٧.
[٩] جميع النسخ: وإنما. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٣٢٢ظ.
[١٠] ر ث م + إذا أقبل و.
[١١] ن + وإذا أدبر.
[١٢] جميع النسخ: وفي قوله. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] جميع النسخ: عن وجوه. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٤] الزيادة من المرجع السابق.
[١٥] ن: وكيف.
[١٦] ث: أن تغطي.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[١٩]

وقوله: **إنه لقول رسول كريم**، فموضع القسم على هذا وعلى قوله تعالى: وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ.[١] ثم تأويل قوله: **إنه لقول رسول كريم**، أي هذا الذي أتاكم به محمد صلى الله عليه وسلم تلقاه عن رسول كريم على ربه، وهو جبريل عليه السلام. ثم نسب [القول] هاهنا إلى الرسول لِما سُمع[٢] منه ولم يكن من قِبَله، وقال[٣] في آية أخرى: حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ،[٤] فسمّاه كلامَ الله على الموافقة؛ أو لِما أنّ ابتداءه يرجع إليه لا أن يكون المسموعُ كلامَه، كما يقال:[٥] هذا قول أبي حنيفة رحمه الله، وهذا قول فلان الشاعر، وليس الذي سمعتَه قولَ من نُسب إليه، ولكن نسب إليه لأن ابتداءه يرجع إليه؛ فكذلك سُمّي كلامَ الله لأنه يدلّ على كلامه، ولِما يرجع إليه ابتداؤه لا أن يكون هو[٦] نفسَ كلامه.

﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **ذي قوة عند ذي العرش مكين**. وفي وصفه[٧] بالقوة فائدتان. إحداهما ما ذكرنا أن فيه بيانَ الأمن عن تغيير يقع فيه من الأعداء من الجن[٨] والشياطين والإنس يحتجز عنهم بقوته فلا يتمكنون منه حتى يُغيّروه ويبدّلوه، ووَصَفه بالأمانة في نفسه ليُؤمن الخلقَ ناحيتَه. أو وَصَفه بالقوة على التخويف والتحذير للذين عادَوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيُخبرهم أنّ معه من يدفع عنه شرَّهم وكيدهم إنْ هموّا ذلك به. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام: «إن الله تعالى وَصَفَك بالقوة فما أثر قوتك»؟ فقال: «لَمّا أمرني الله تعالى بإهلاك قوم لوط فقلعت قُرَيَاتِهم ورفعتها بجناح واحد إلى السماء ثم قَلَبْتُها».[٩] وليس بنا إلى تعرّف قوّته حاجةٌ وإنما بنا الحاجة إلى أن نعرف[١٠] ما المعنى والحكمة في ذكر قوته؟

---

[١] الآية ٢٢ من هذه السورة.

[٢] ر ث م: ما سمع.

[٣] ن: قال.

[٤] سورة التوبة، ٦/٩.

[٥] ن: كما قال.

[٦] ن ث + هو.

[٧] أي وصف جبريل عليه السلام.

[٨] ر م + والإنس.

[٩] *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٤٠/١٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٧٤/١٥.

[١٠] ر ث م: أن يعرف.

وقوله عز وجل: **عند ذي العرش مكين**، فإن كان المراد من العرش المُلك فمعناه: عند ذي المُلك مكين، أي ذي قدرة[١] ومنزلة. وقيل: العرش السرير، فإن كان كذلك فتأويله أنه مكين عند من له سرير المُلك.

﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **مطاع ثَمَّ أمين**، قيل: إن جبريل عليه السلام رسول إلى الملائكة كما هو رسول إلى الإنس.[٢] فإن كان كذلك ففيه إخبارُ أنّ الملائكة الذين يعبدها بعض الكفرة يطيعون جبريل عليه السلام فيما يأمرهم وينهاهم، فما بالهم يتركون طاعته والائتمار بأمره؟ وقوله عز وجل: **ثَمَّ أمين**، أي هم يأتمنونه،[٣] ولا يتهمونه في شيء مما يجيء به إليهم، فكيف يتهمه هؤلاء فيما يأتي إلى الرسول من الوحي؟

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾[٢٢]

وقوله: **وما صاحبكم بمجنون**، فمنهم من يقول: إن[٤] الكفرة نسبوه إلى الجنون حين رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم[٥] جبريلَ[٦] على صورته فغُشِي عليه، وكان يتغير في كل مرة يأتي به جبريلُ عليه السلام الوحيَ لونُ وجهه[٧] فينسبونه إلى الجنون لهذا. ومنهم من يقول: إنما نسبوه إلى الجنون لأنه أظهر المخالفة لأهل الأرض، وكان في أهل الأرض الجبابرةُ والفراعنة الذين من عادتهم القتل والتعذيبُ لمن أظهر المخالفةَ لهم؛ فكان ذلك منه مخاطَرةً بنفسه وروحِه حيث انتصب لمعاداةِ مَن لا طاقة له بهم، ومن قام بخلاف مَن لا طاقة له به وانتصب لمعاداته فذلك منه حُمق وجنون في الشاهد، فنسبوه[٨] إلى الجنون لهذا. ومنهم من ذكر أنهم لم ينسبوه إلى الجنون لما ذكرنا، ولكن شدة سفههم هو الذي حملهم على هذا فنسبوه إلى الجنون مرةً،

---

[١] جميع النسخ: ذو قدر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٣و.

[٢] ر م: إلى الناس.

[٣] ر م: يأتمنون.

[٤] جميع النسخ: بأن. والترجيح من المرجع السابق.

[٥] ن – صلى الله عليه وسلم.

[٦] ث – جبريل.

[٧] ن + فمنه.

[٨] ر م: نسبوه.

وإلى أنه ساحر أخرى، ومرةً قالوا: يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ،[1] ومرة قالوا: إنْ هٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ،[2] فكانوا ينسبونه إلى كل ما ذكرنا، لا عن بحث منهم في حاله[3] ولكن على السفه والعناد. ألا ترى أنهم نسبوه[4] إلى الجنون مرة وإلى[5] السحر ثانيا، وهما أمران متناقضان؛ لأن الساحر هو الذي بلغ في العلم غايتَه، والجنون هو النهاية في الجهل. ولو كانوا يقولونه عن بحث وتدبّر لكانوا
[٨٨٩و] لا يأتون بالمختلف من القول فيظهر جهلهم لمن يريدون صدَّه عن اتباع النبي / صلى الله عليه وسلم، بل كانوا يتفقون على كلمة واحدة فيُصدرون[6] عنها حتى يقعَ التلبيس منهم موقعَه[7] فيصلون إلى مرادهم من صَدّ الناس عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم.

وكذلك فيما زعموا أنه يعلِّمه[8] بشر، وأنه إِفْكٌ افْتَرَاهُ،[9] أتوا بالمختلِف من القول لأن اختلاقه[10] وافتراءه يُثبت[11] أنّه عالمٌ بنفسه مستغنٍ[12] عن[13] تعليم غيره؛ وحاجتُه إلى أن يتعلم من غيره يُثبت[14] عجزه وجهله عن الاختلاق بنفسه. فهذا كلّه يدلّ على أنهم لم ينسبوه إلى الجنون لأعلامٍ ظهرت لهم منه[15] ولكنهم قذفوه بكل ما حَضَرهم سفها منهم وعِنادًا.

ثم إن كانوا نسبوه إلى الجنون لِما غُشِي عليه عند ما رأى جبريل عليه السلام على صورته فقد أتاهم بما لو تفكّروا فيه لَعلموا أنه ليس بصاحبهم جِنة، كما قال الله تعالى: قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلّٰهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ.[16]

---

[1] انظر: سورة النحل، ١٦/١٠٣.
[2] سورة ص، ٣٨/٧.
[3] ن: في حالة.
[4] ر ث م: ينسبونه.
[5] ر م: إلى.
[6] جميع النسخ: فيصدروا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢ظ.
[7] ر ث م: موقعة.
[8] م: علمه.
[9] سورة الفرقان، ٢٥/٤.
[10] جميع النسخ: لأن اختلافه.
[11] ر ث م: تثبيت.
[12] جميع النسخ: مستغنى.
[13] ر م: عنه.
[14] ر ث م: تثبيت.
[15] ر ث م – منه.
[16] سورة سبأ، ٣٤/٤٦.

وذلك أنه[١] أتاهم بحكمة أعجزَ حكماء الإنس والجن إتيانَ مثلها[٢] وأتاهم بكتاب عَجَز أهلُ الكتاب عن إتيان مثله. فلو تفكروا فيه لَعلموا أنه ليس من فعل المجانين ولا من علومهم، ولكنه من عند الله أكرمه به. وإن كانوا إنما[٣] نسبوه إلى الجنون لِما خاطر بروحه، فهم -بحمد الله تعالى- لم يتهيأ لهم أن يمكروا به ولا أن يقتلوه، بل أظفره الله عليهم وأظهره على الدين كلِّه، فصار ذلك الوجه الذي به نسبوه إلى الجنون آيةَ رسالته وعَلَمَ نبوّته.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **ولقد رآه بالأفق المبين**، قال الحسن: إنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بقلبه، أي عظمته وسلطانَه من وجه لا يقع به تشابه.[٤] وخص "بالأفق" لأنه من الأفق تنزل[٥] البركات وتنزل الملائكة وأنواع الخير كلها، والمراد من ذلك الأماكن كلها. وغيره من أهل التفسير صَرَف الرؤيةَ إلى جبريل عليه السلام. ذُكِرَ[٦] أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريلَ عليه السلام أن يُرِيه[٧] [ربه] على صورته، فقال له جبريل عليه السلام: «إن الأرض لا يَسَعُني ولكن إذا صليت الفجر فانظر إلى أفق السماء فهنالك تراني»،[٨] ففعل فرآه على صورته ثم دنى منه فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى.[٩] فذكر الأفق لأن الشيء من البُعد لا يتهيأ أن يُرى من أقطار الأرض لذلك خصّ[١٠] الأفق؛[١١] إذ كذلك يقع رؤية ما بَعُد. *والله أعلم.*

---

[١] ر ن م: أنهم.
[٢] جميع النسخ: مثله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٢ظ.
[٣] جميع النسخ: أكرم به وإن كانوا بما. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] انظر: *تفسير ابن أبي حاتم*، ٣٣١٩/١٠؛ و*تفسير ابن كثير*، ٣٢٥/٧.
[٥] جميع النسخ: ينزل.
[٦] ر ث م: وذكر.
[٧] م: أن يرى.
[٨] روي عن ابن مسعود أنه قال: إن محمدا لم ير جبريل في صورته إلا مرتين، أمّا مرة فإنه سأله أن يريه نفسه في صورته، فأراه صورته فسَدّ الأفق، وأمّا الأخرى فإنه صَعد معه حين صُعد به (*مسند أحمد بن حنبل*، ٤٠٧/١). وانظر: تفسير الآية ٧ من سورة النجم.
[٩] سورة النجم، ٩/٥٣.
[١٠] جميع النسخ: خصت.
[١١] ر ث م + لأن الشيء.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **وما هو على الغيب بضنين**، وقرئ بظنين.[١] قال أبو عبيدة:[٢] والظنين أولى، لأن الظنين[٣] هو الْمُتَّهَم، والضنين البخيل.[٤] ولم ينسب أحدٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إلى البخل حتى يُنفَى عنه البخل[٥] بهذه الآية، وقد كانوا يتهمونه على الغيب وهو القرآن فكانوا يقولون: [إِنَّمَا] يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ،[٦] وليس من عند الله؛ ويقولون أيضا: إِنْ هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ،[٧] فبرّأه الله تعالى مما قالوا بقوله:[٨] وما هو على الغيب بظنين.

ومن قرأ بالضاد فهو يحتمل أوجها. أحدها[٩] ما ذكره أبو بكر الأصم وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يَضِنّ[١٠] بشيء علّمه الله تعالى عن أحد من أصحابه كما يفعله غيره من العلماء، لأن العلماء لا يريدون أن يُعلِّموا من اختلف إليهم كلَّ ما عندهم من العلوم حتى يَستغنِيَ عنهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يودّ أن يُعلِّم[١١] جميع ما علم من العلوم أصحابَه فكان يقوم على تعليم كلٍّ منهم بقدر طاقته ولم يكن يمتنع عن التعليم بُخلا منه[١٢] وضِنّا.

وجائز أن يكون برّأه الله تعالى من هذا لِما علم أنه يكون في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خَصّ بعضَ أصحابه بتعليم أشياءَ لم يُطلِع عليها غيرَهم، وتخصيصُ بعض دون بعض بتعليم ما عنده بُخلٌ[١٣] في الشاهد؛ فكأنّ في قوله:

---

[١] قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب: "وما هو على الغيب بِظَنين" بالظاء (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٦٤).
[٢] جميع النسخ: أبو عبيد.
[٣] ر م – الظنين.
[٤] انظر: *مجاز القرآن* لأبي عبيدة،٢/٢٩٢.
[٥] ر ث م – حتى ينفى عنه البخل.
[٦] سورة النحل، ١٦/١٠٣.
[٧] سورة الفرقان، ٢٥/٤.
[٨] ن – بقوله.
[٩] ر م – أحدها.
[١٠] ر م: بضنين.
[١١] ر ث م: أن يعلمهم.
[١٢] ن: أمنه.
[١٣] ر ث م: بخل.

وما هو على الغيب بضنين، تكذيب أولئك الذين يدّعون هذا. وهذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «صوموا لرؤيته[١] وأفطروا لرؤيته»،[٢] فكأنه قال هذا لما علم أنه يكون في أمته من يتقدم الشهر بالصيام، فقال هذا ليعرف[٣] خطأ من يتقدم[٤] الشهر بالصيام على الخطأ والجهالة، ليس على إصابة الحق؛ فعلى ذلك الحكم فيما ذكرنا.

ثم صرفوا تأويل الغيب إلى القرآن، وهو عندنا في القرآن وفي غيره من الأشياء التي أطلع الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم عليها.[٥]

وجائز أن يكون الضِّنّ منصرفا إلى الشفاعة التي أكرم الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم بها.[٦] فهو لا يَخُصّ بعض أمته دون بعض بالشفاعة بل يعمّهم جميعا فيكون في هذا[٧] تحريضٌ[٨] على الاتباع له والانقياد لطاعته.

ويحتمل وجها آخر، وهو أنه ليس بضنينٍ في أداء شكر ما أنعم الله تعالى عليه حيث غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، بل اجتهد في أداء شكره حتى ذُكِر أنه تورّمت قدماه من طول القيام[٩] فقيل له: ألم يغفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر، فقال:[١٠] «أفلا أكونُ عبدًا شكورًا».[١١]

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **وما هو بقول شيطان رجيم**، يحتمل وجهين. أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس من شياطين الإنس ولا بمجنون كما[١٢] ذكرتم بل هو رسول كريم.

---

[١] ر م: لرؤية.
[٢] ر م: لرؤية. صحيح *البخاري*، الصوم ١١؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ٤.
[٣] ر م: ليتعرف؛ ن: لتعرف.
[٤] ر ث م + من.
[٥] ر م – عليها.
[٦] ر م – بها.
[٧] ن: فيكون هذا.
[٨] جميع النسخ: تحريضا. والتصحيح من *الشرح*، ٣٢٣ظ.
[٩] ر: القيامة.
[١٠] ن: يقال.
[١١] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢٥٥/٤، ١١٥/٦؛ وصحيح *البخاري*، التفسير ٢/٤٨؛ وسنن *ابن ماجة*، الصلاة، ٢٠٠؛ وسنن *الترمذي*، الصلاة ١٨٧؛ وسنن *النسائي*، قيام الليل ١٧.
[١٢] ث + قلتم.

أو الذي أتاكم به من القرآن لم يَتلقَّه[1] من الشياطين ولا هو من قِبَلِهم كما تلقنته الكهنة
[٨٨٩ظ] والسحرة من أقوالهم، بل هو / ذكر من الله تعالى للعالمين أنزل[ه] إليه الروحُ الأمين القويّ الذي لا يصل إليه الشيطان فيغيّره ويبدّله.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **فأين تذهبون**، أي فأين تذهبون عن طاعته واتباعه والانقياد له وقد أتاكم بما[2] يَلزمكم طاعته واتباعُه.

[٨٨٩ظ س ٥] *ثم قوله عز وجل: **فأين تذهبون**، يحتمل أوجها غيرَ ما ذكرنا. أحدها أن هذا القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم تلقّاه من رسول كريم على الله تعالى. فإذا لم تؤمنوا به ولم تقبلوه[3] فما ذهبتم إلا إلى قول شيطان رجيم.

ويحتمل **فأين تذهبون**،[4] وإلى من تفزعون[5] إذا أتاكم بأس الله تعالى ونقمته، إذا لم تؤمنوا[6] بالله تعالى وأنكرتم البعث ولم تصدّقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبركم به فإذا حلّ بكم ما أنذركم به فإلى من تلجئون، وهو كقوله تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ.[7] أو إذا لم تؤمنوا[8] بالله تعالى ولم تتبعوا[9] ما أتاكم به محمد صلى الله عليه وسلم -وقد تقرر عندكم صدقه بما أتاكم[10] من الآيات المعجزة- فبأي حديث
[٨٨٩ظ س ١٢] تصدقون[11] بعد ذلك وتذهبون إليه؟ وهو كقوله تعالى: فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ.[12]*

---

[1] ر: لم يتلقى؛ ن ت: لم يتلقا؛ م: لم يتلق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٣ظ.
[2] ر: لما؛ ن ث م: ما. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ر ث م: ولم يقبلوه.
[4] ر - تذهبون؛ ر ث م + وإلى من تذهبون.
[5] ن: يفزعون.
[6] ن: إذا لم يؤمنوا.
[7] سورة الملك، ٢٨/٦٧.
[8] ر م: لم يؤمنوا.
[9] ر م: ولم يتبعوا.
[10] جميع النسخ: إنما أتاكم.
[11] جميع النسخ: تصدقونه.
[12] سورة الأعراف، ١٨٥/٧؛ وسورة المرسلات، ٥٠/٧٧.
* وقع ما بين النجمتين خلال تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٨٨٩ظ/ سطر ٥-١٢.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **إن هو إلا ذكر للعالمين**، أي عظة للعالمين. يُذكِّرهم بما يَحِق عليهم في حالهم ويُبيِّن[١] لهم ما يؤتى وما يُتَقَى وما تصير[٢] إليه عواقبهم. أو أن يكون قوله: **ذكر للعالمين**، أي شرف لهم، يُشرِّف[٣] قدرُهم به ويصيرون[٤] أئمة يُقتدى بهم ويُختلَف إليهم ليُتعلَّم منهم. *والله أعلم*.*

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل:[٦] **لمن شاء منكم أن يستقيم**، معناه -والله أعلم- أن هذا[٧] القرآن ذكرٌ لمن شاء أن يستقيم من العالمين. فهو في نفسه ذكر وآيات وهدى، ولكن ينتفع بهذا الذكر من شاء الاستقامة ويهتدي به من طلب الهداية. قال تعالى: هُدًى لِلْمُتَّقِينَ،[٨] وهو في نفسه هدى، ولكن يهتدي بهداه المتقون، ومن ليس بمُتَّقٍ فهو عَمًى عليه ورَجْسٌ،[٩] وقال: إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ،[١٠] وهو كان ينذر[١١] من اتبع ومن لم يتبع، ولكن معناه أنه ينتفع بالذي ينذر به من اتبع الذكر. وقال:[١٢] إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ،[١٣] وهي في[١٤] أنفسها[١٥] آيات ولكن ينتفع بآياته أولوا الأبصار.

---

[١] جميع النسخ: ويتبين.

[٢] ن: وما يصير.

[٣] ر م - لهم يشرف.

[٤] ر م - ويصيرون؛ ث: وتصيرون.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة، فنقلناها إلى محلّها. انظر: ورقة ٨٨٩ظ/سطر ٥-١٢.

[٦] جميع النسخ + إن هو إلا ذكر للعالمين.

[٧] ر: أن هذه.

[٨] سورة البقرة، ٢/٢.

[٩] الرَّجس: الصوت الشديد، صوت الشيء المختلط العظيم كالجيش والسيل والرعد (*لسان العرب*، «رجس»). قارن هذا التشبيه بما ورد في سورة البقرة، الآيات ٢/١٧-٢٠.

[١٠] ن + وقال آيات لأولي الأبصار. سورة يس، ٣٦/١١.

[١١] ر م: تنذر.

[١٢] ر م: قال.

[١٣] سورة آل عمران، ٣/١٣؛ وسورة النور، ٢٤/٤٤.

[١٤] ث - في.

[١٥] جميع النسخ: أنفسهم.

وقوله[1] عز وجل: **لمن شاء منكم أن يستقيم،** فهو يحتمل وجهين. أحدهما أن يحمل على تحقيق المشيئة،[2] ويكون تأويله أن من أراد الاستقامة على أمر الله تعالى أو على الحق فهذا الذكر، وهو القرآن، يقيمه[3] على الحق وعلى الأمر ويهديه إلى ذلك. أو أن يكون[4] هذا[5] على تحقيق الفعل، فيكون معناه من استقام منكم على الحق والأمر فهو ذكر له.

والأصل أن المشيئة وصفُ فعلِ كلِّ مختار. وإذا كان هكذا صارت المشيئة مقترنة [به][6] فإذا فَعَل فقد شاء، فكان في إثبات الفعل إثباتُ المشيئة. لذلك استقام حمله على ما ذكرنا وهو أن يُجعل أحدهما كنايةً عن الآخر.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين،** فإن كان قوله: لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ،[7] على تحقيق المشيئة فمعناه أنكم لا تشاءون[8] الاستقامة على ما ذكرنا إلا أن يشاء الله. وإن كان على تحقيق الفعل فتأويله أنكم ما استقمتم على الطريقة إلا بمشيئة الله تعالى. وقال بعضهم تأويل قوله: **وما تشاءون،** أي لم تكونوا تشاءون إنزالَ هذا الكتاب فأنزله الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بغير مشيئتكم. وهذا غير محتمل عندنا لأنه قد سبق من القوم الإرادةُ والسؤال[9] بإرسال الرسول إليهم بقوله: وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ،[10] فثبت أنه قد سبق منهم السؤال بإرسال الرسول وإنزال[11] الكتاب عليه، ولكن[12] تأويله ما ذكرنا.

[1] ر: قوله.
[2] ن: المشية.
[3] ن: يقسمه.
[4] ر م – يكون.
[5] ن: بهذا.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٢٤و.
[7] الآية السابقة.
[8] ن: لا يشاءون.
[9] م – والسؤال.
[10] سورة فاطر، ٤٢/٣٥.
[11] ث: وانزل.
[12] جميع النسخ: ولكنه. والتصحيح من المرجع السابق.

ثم في هذه الآية دلالة أنَ كلَ من[١] شاء الله تعالى منه الاستقامة يوجد منه الاستقامة، ولا يجوز أن يشاء من أحد استقامته ولا يستقيم كما قالت المعتزلة؛ لأن الله تعالى مَنَّ على مَنِ استقام بمشيئته استقامتَه، فلو لم توجد[٢] الاستقامة من كلّ من شاء منه الاستقامةَ لم يكن للامتنان معنى، لأن الاستقامة وغير الاستقامة تكون[٣] به[٤] لا بالله تعالى. ***والله أعلم بالصواب.***[٥]

---

[١] ن: كل ما.

[٢] جميع النسخ: فلو لم يوجد.

[٣] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٢٤و.

[٤] أي تكون عند المعتزلة بالعبد لا بالله تعالى.

[٥] ر ن: والله المستعان؛ ث: لا بالله سبحانه وتعالى والله المستعان والحمد لله رب العالمين.

سورة التكوير

عشرون وتسع آيات مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ ﴾

اعلم أنه تعالى ذكر اثني عشر شيئًا، وقال: إذا وقعت هذه الأشياء فهنالك ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤]: **فالأول:** قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وفي التكوير وجهان: **أحدهما:** التلفيف على جهة الاستدارة كتكوير العمامة، وفي الحديث: «**نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ**» (١) أي من التشتت بعد الألفة والطي واللف، والكور والتكوير واحد، وسميت كارة القصار كارة لأنه يجمع ثيابه في ثوب واحد، ثم إن الشيء الذي يُلف لا شك أن يصير مختفيًا عن الأعين، فعبر عن إزالة النور عن جرم الشمس وتصييرها غائبة عن الأعين بالتكوير؛ فلهذا قال بعضهم: كُورت، أي طُمست. وقال آخرون: انكسفت. وقال الحسن: مُحي ضوؤها. وقال المفضل بن سلمة: كُورت أي ذهب ضوؤها، كأنها استترت في كارة. **الوجه الثاني في التكوير:** يقال: كَورت الحائط ودهورته، إذا طرحته حتى يسقط، قال الأصمعي: يقال: طعنه فكوره إذا صرعه، فقوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ أي أُلقيت ورُميت عن الفلك. **وفيه قول ثالث:** يروى عن عمر أنه لفظة مأخوذة من الفارسية، فإنه يقال للأعمى: كور، **وههنا سؤالان:**

السؤال الأول: ارتفاع الشمس على الابتداء أو الفاعلية؟ **الجواب:** بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر، يفسره كورت لأن (إذا)، يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط.

السؤال الثاني: روي أن الحسن جلس بالبصرة إلى أبي سلمة بن عبد الرحمن، فحَدَّث عن أبي هريرة أنه عليه السلام قال: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ثَوْرَانِ مُكَوَّرَانِ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» (٢)، فَقَالَ الْحَسَنُ، وَمَا ذَنْبُهُمَا؟ قَالَ: إِنِّي أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ!! فَسَكَتَ الحَسَنُ. **والجواب:** أن سؤال

---

(١) لم أجده.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في كتاب (بدء الخلق) باب (صفة الشمس والقمر بحسبان) (٣/ ١١٧١) حديث رقم (٣٠٢٨) قال: حدثنا مسدد حدثنا عبد العزيز بن المختار حدثنا عبد الله بن الداناج... مختصرًا والطحاوي في (مشكل الآثار) (١/ ٦٦-٦٧) من طريق عبد العزيز بن المختار... فذكره، وأورده الألباني في (الصحيحة) (١٢٤) ورواه تمام في (فوائده) (٣/ ٤٢٥) حديث رقم (١٤٢٣) رواه البوصيري في (إتحاف الخيرة المهرة) (٢/ ٦٣) حديث رقم (١٣٥٧) جميعًا من طريق عبد العزيز بن المختار، حدثنا عبد الله الداناج، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة... به.

الحسن ساقط؛ لأن الشمس والقمر جمادان فإلقاؤهما في النار لا يكون سببًا لمضرتهما، ولعل ذلك يصير سببًا لازدياد الحر في جهنم، فلا يكون هذا الخبر على خلاف العقل.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۞ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۞ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۞ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۞ ﴾

الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾ أي تناثرت وتساقطت، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢] والأصل في الانكدار الانصباب، قال الخليل: يقال: انكدر عليهم القوم، إذا جاؤوا أرسالاً فانصبوا عليهم. قال الكلبي: تمطر السماء يومئذٍ نجومًا فلا يبقى نجم في السماء إلا وقع على وجه الأرض. قال عطاء: وذلك أنها في قناديل معلقة بين السماء والأرض بسلاسل من النور، وتلك السلاسل في أيدي الملائكة، فإذا مات من في السماء والأرض تساقطت تلك السلاسل من أيدي الملائكة.

الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ أي عن وجه الأرض، كقوله: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠] أو في الهواء كقوله: ﴿تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨].

الرابع: قوله: ﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾، **فيه قولان:**

القول الأول: المشهور أن ﴿ ٱلْعِشَارُ ﴾ جميع عُشَراء كالنفاس في جمع نفساء، وهي التي أتي على حملها عشرة أشهر، ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة، وهي أنفس ما يكون عند أهلها وأعزها عليهم، و ﴿ عُطِّلَتْ ﴾ قال ابن عباس: أهملها أهلها لما جاءهم من أهوال يوم القيامة، وليس شيء أحب إلى العرب من النوق الحوامل، وخوطب العرب بأمر العشار لأن أكثر مالها وعيشها من الإبل، والغرض من ذلك ذهاب الأموال وبطلان الأملاك واشتغال الناس بأنفسهم، كما قال: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] وقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤].

والقول الثاني: أن العشار كناية عن السحاب، تعطلت عما فيها من الماء، وهذا وإن كان مجازًا إلا أنه أشبه بسائر ما قبله، وأيضًا فالعرب تشبه السحاب بالحامل، قال تعالى: ﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا﴾ [الذاريات: ٢].

الخامس: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ كل شيء من دواب البر مما لا يُستأنس فهو وحش، والجمع الوحوش، و ﴿ حُشِرَتْ ﴾ جُمعت من كل ناحية، قال قتادة: يُحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص. قال المعتزلة: إن الله تعالى يحشر الحيوانات كلها في ذلك اليوم ليعوضها على آلامها التي وصلت إليها في الدنيا بالموت والقتل وغير ذلك، فإذا عوضت على تلك الآلام، فإن شاء الله أن يبقي بعضها في الجنة إذا كان مستحسنًا فعل، وإن شاء أن يفنيه أفناه على ما جاء به الخبر. وأما أصحابنا فعندهم أنه لا يجب على الله شيء بحكم الاستحقاق، ولكنه

تعالى يحشر الوحوش كلها فيقتص للجَمَّاء من القُرْناء، ثم يقال لها: (موتي) فتموت.

والغرض من ذكر هذه القصة ههنا وجوه: **أحدها:** أنه تعالى إذا كان (يوم القيامة) يحشر كل الحيوانات إظهارًا للعدل، فكيف يجوز مع هذا أن لا يحشر المكلفين من الإنس والجن؟ **الثاني:** أنها تجتمع في موقف القيامة مع شدة نفرتها عن الناس في الدنيا وتبددها في الصحاري، فدل هذا على أن اجتماعها إلى الناس ليس إلا من هول ذلك اليوم. **والثالث:** أن هذه الحيوانات بعضها غذاء للبعض، ثم إنها في ذلك اليوم تجتمع ولا يتعرض بعضها لبعض، وما ذاك إلا لشدة هول ذلك اليوم: وفي الآية قول آخر لابن عباس وهو أن حشر الوحوش عبارة عن موتها، يقال إذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم: (حشرتهم السنة) وقرئ (حُشِّرت) بالتشديد.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾

السادس: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾. قرئ بالتخفيف والتشديد، وفيه وجوه: **أحدها:** أن أصل الكلمة من سجرت التنور، إذا أوقدتها، والشيء إذا وُقد فيه نشف ما فيه من الرطوبة، فحينئذٍ لا يبقى في البحار شيء من المياه ألبتة، ثم إن الجبال قد سُيرت، على ما قال: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ [النبأ: ٢٠] وحينئذٍ تصير البحار والأرض شيئًا واحدًا في غاية الحرارة والإحراق، ويحتمل أن تكون الأرض لما نشفت مياه البحار ربت فارتفعت فاستوت برؤوس الجبال، ويحتمل أن الجبال لما اندكت وتفرقت أجزاؤها وصارت كالتراب، وقع ذلك التراب في أسفل الجبال، فصار وجه الأرض مستويًا مع البحار، ويصير الكل بحرًا مسجورًا. **وثانيها:** أن يكون ﴿سُجِّرَتْ﴾ بمعنى (فُجرت) وذلك لأن بين البحار حاجزًا، على ما قال: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٠] فإذا رفع الله ذلك الحاجز فاض البعض في البعض، وصارت البحار بحرًا واحدًا، وهو قول الكلبي. **وثالثها:** ﴿سُجِّرَتْ﴾ أوقدت، قال القفال: وهذا التأويل يحتمل وجوهًا: **الأول:** أن تكون جهنم في قعور البحار، فهي الآن غير مسجورة لقيام الدنيا، فإذا انتهت مدة الدنيا أوصل الله تأثير تلك النيران إلى البحار، فصارت بالكلية مسجورة بسبب ذلك. **والثاني:** أن الله تعالى يلقي الشمس والقمر والكواكب في البحار، فتصير البحار مسجورة بسبب ذلك. **والثالث:** أن يخلق الله تعالى بالبحار نيرانًا عظيمة حتى تتسخن تلك المياه. **وأقول:** هذه الوجوه متكلفة لا حاجة إلى شيء منها؛ لأن القادر على تخريب الدنيا وإقامة القيامة لا بد وأن يكون قادرًا على أن يفعل بالبحار ما شاء من تسخين، ومن قلب مياهها نيرانًا من غير حاجة منه إلى أن يلقى فيها الشمس والقمر، أو يكون تحتها نار جهنم.

واعلم أن هذه العلامات الستة يمكن وقوعها في أول زمان تخريب الدنيا، ويمكن وقوعها أيضًا بعد قيام القيامة، وليس في اللفظ ما يدل على أحد الاحتمالين، أما الستة الباقية فإنها مختصة بالقيامة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾

السابع: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ وفيه وجوه: أحدها: قُرنت الأرواح بالأجساد. وثانيها: قال الحسن: يصيرون فيها ثلاثة أزواج، كما قال: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾[الواقعة: ٧-١٠] وثالثها: أنه يضم إلى كل صنف من كان في طبقته من الرجال والنساء، فيضم المبرز في الطاعات إلى مثله، والمتوسط إلى مثله، وأهل المعصية إلى مثله، فالتزويج أن يقرن الشيء بمثله، والمعنى أن يضم كل واحد إلى طبقته في الخير والشر. ورابعها: يضم كل رجل إلى من كان يلزمه من ملك وسلطان كما قال: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾[الصافات: ٢٢] قيل: فزدناهم من الشياطين. وخامسها: قال ابن عباس: زُوجت نفوس المؤمنين بالحور العين، وقُرنت نفوس الكافرين بالشياطين. وسادسها: قُرن كل امرئ بشيعته، اليهودي باليهودي، والنصراني بالنصراني، وقد ورد في خبر مرفوع. وسابعها: قال الزجاج: قُرنت النفوس بأعمالها. واعلم أنك إذا تأملت في الأقوال التي ذكرناها أمكنك أن تزيد عليها ما شئت.

الثامن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾، فيه مسائل:

المسألة الأولى: وأد يئد مقلوب من آد يئود أودًا، ثقل، قال تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥] أي يثقله؛ لأنه إثقال بالتراب، كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد بقاء حياتها ألبسها جبة من صوف أو شعر لترعى له الإبل والغنم في البادية، وإن أراد قتلها تركها حتى إذا بلغت قامتها ستة أشبار فيقول لأمها: طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أقاربها. وقد حفر لها بئرًا في الصحراء فيبلغ بها إلى البئر فيقول لها: انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى يستوي البئر بالأرض، وقيل: كانت الحامل إذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة، فإذا ولدت بنت رمتها في الحفرة، وإذا ولدت ابنًا أمسكته، وههنا سؤالان:

السؤال الأول: ما الذي حملهم على وأد البنات؟ الجواب: الخوف من لحوق العار بهم من أجلهم أو الخوف من الإملاق، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾[الإسراء: ٣١] وكانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات بالملائكة، وكان صعصعة بن ناجية ممن منع الوأد، فافتخر الفرزدق به في قوله:

وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَاتِ ... فَأَحْيَا الْوَئِيدَ فَلَمْ تُوأَدِ(١)

السؤال الثاني: فما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذي قُتلت به، وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها؟ الجواب: سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها، وهو كتبكيت النصارى في قوله لعيسى:

---

(١) هذا البيت ضمن قصيدة من البحر المتقارب للشاعر الفرزدق، وقد تقدمت ترجمته.

﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦].

المسألة الثانية: قرئ (سألت)، أي خاصمت عن نفسها، وسألت الله أو قاتلها، وقرئ: (قُتِّلت) بالتشديد، فإن قيل: اللفظ المطابق أن يقال: ﴿سُئِلَتْ﴾ ومن قرأ (سألت) فالمطابق أن يقرأ: ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ فما الوجه في القراءة المشهورة؟ قلنا: الجواب من وجهين: الأول: تقدير الآية: وإذا الموءودة سئلت (أيْ سئل) الوائدون عن أحوالها بأي ذنب قتلت. والثاني: أن الإنسان قد يسأل عن حال نفسه عند المعاينة بلفظ المغايبة، كما إذا أردت أن تسأل زيدًا عن حال من أحواله فتقول: ماذا فعل زيد في ذلك المعنى؟ ويكون زيد هو المسئول وهو المسئول عنه، فكذا ههنا.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾

التاسع: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد، يريد صحف الأعمال تطوى صحيفة الإنسان عند موته، ثم تُنشر إذا حوسب، ويجوز أن يراد نُشرت بين أصحابها، أي فُرقت بينهم.

العاشر: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ أي كُشفت وأزيلت عما فوقها، وهو الجنة وعرش الله، كما يكشط الإهاب عن الذبيحة، والغطاء عن الشيء، وقرأ ابن مسعود: (قُشطت) واعتقاب القاف والكاف كثير، يقال لبكت الثريد ولبقته، والكافور والقافور. قال الفراء: نُزعت فطُويت.

الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أوقدت إيقادًا شديدًا وقرئ (سُعِّرت) بالتشديد للمبالغة، قيل: سعرها غضب الله، وخطايا بني آدم، واحتج بهذه الآية من قال: النار غير مخلوقة الآن، قالوا: لأنها تدل على أن تسعيرها معلق بيوم القيامة.

الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ . أي أُدنيت من المتقين، كقوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠].

ولما ذكر الله تعالى هذه الأمور الاثني عشر ذكر الجزاء المرتب على الشروط الذي هو مجموع هذه الأشياء فقال: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ ومن المعلوم أن العمل لا يمكن إحضاره، فالمراد إذن ما أحضرته في صحائفها، وما أحضرته عند المحاسبة، وعند الميزان من آثار تلك الأعمال، والمراد: ما أحضرت من استحقاق الجنة والنار، فإن قيل: كل نفس تعلم ما أحضرت، لقوله: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠] فما معنى قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ ؟ قلنا: الجواب من وجهين: الأول: أن هذا هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به

الإفراط، وإن كان اللفظ موضوعًا للقليل، ومنه قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الحجر: ٢] كمن يسأل فاضلاً مسألة ظاهرة ويقول: هل عندك فيها شيء؟ فيقول: (ربما حضر شيء) وغرضه الإشارة إلى أن عنده في تلك المسألة ما لا يقول به غيره، فكذا ههنا. **الثاني:** لعل الكفار كانوا يتعبون أنفسهم في الأشياء التي يعتقدونها طاعات ثم بدا لهم يوم القيامة خلاف ذلك، فهو المراد من هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ الكلام في قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ قد تقدم في قوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ١]، ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ **فيه قولان:**

الأول: وهو المشهور الظاهر أنها النجوم الخنس، جمع خانس، والخنوس: الانقباض والاستخفاء، تقول: خنس من بين القوم وانخنس، وفي الحديث: «الشَّيْطَانُ يُوَسْوِسُ إِلَى الْعَبْدِ فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ» أي انقبض ولذلك سمي الخناس ﴿ٱلْكُنَّسِ﴾ جمع كانس وكانسة، يقال: كنس، إذا دخل الكناس وهو مقر الوحش، يقال كنس الظباء في كنسها، وتكنست المرأة، إذا دخلت هودجها تشبه بالظبي إذا دخل الكناس.

ثم اختلفوا في خنوس النجوم وكنوسها على ثلاثة أوجه: فالقول الأظهر: أن ذلك إشارة إلى رجوع الكواكب الخمسة السيارة واستقامتها، فرجوعها هو الخنوس، وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس، ولا شك أن هذه حالة عجيبة، وفيها أسرار عظيمة باهرة. **القول الثاني:** ما روي عن علي عليه السلام وعطاء ومقاتل وقتادة أنها هي جميع الكواكب وخنوسها عبارة عن غيبوبتها عن البصر في النهار وكنوسها عبارة عن ظهورها للبصر في الليل، أي تظهر في أماكنها كالوحش في كنسها. **والقول الثالث:** أن السبعة السيارة تختلف مطالعها ومغاربها، على ما قال تعالى: ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠] ولا شك أن فيها مطلعًا واحدًا ومغربًا واحدًا هما أقرب المطالع والمغارب إلى سمت رؤوسنا، ثم إنها تأخذ في التباعد من ذلك المطلع إلى سائر المطالع طول السنة، ثم ترجع إليه، فخنوسها عبارة عن تباعدها عن ذلك المطلع، وكنوسها عبارة عن عودها إليه، فهذا محتمل فعلى القول الأول يكون القسم واقعًا بالخمسة المتحيرة، وعلى القول الثاني يكون القسم واقعًا بجميع الكواكب، وعلى هذا الاحتمال الذي ذكرته يكون القسم واقعًا بالسبعة السيارة، والله أعلم بمراده.

والقول الثاني: أن ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ وهو قول ابن مسعود والنخعي أنها بقر الوحش. وقال سعيد بن جبير: هي الظباء. وعلى هذا: الخنس من الخنس في الأنف وهو تقعير في الأنف، فإن البقر والظباء أنوفها على هذه الصفة ﴿ٱلْكُنَّسِ﴾ جمع كانس وهي التي تدخل الكناس. والقول هو الأول، والدليل عليه أمران:

الأول: أنه قال بعد ذلك: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ وهذا بالنجوم أليق منه ببقر الوحش.

الثاني: أن محل قسم الله كلما كان أعظم وأعلى رتبة كان أَوْلى، ولا شك أن الكواكب أعلى رتبة من بقر الوحش.

الثالث: أن ﴿بِٱلْخُنَّسِ﴾ جمع خانس من الخنوس، وإما جمع خنساء وأخنس من الخنس، خنس بالسكون والتخفيف، ولا يقال: الخنس فيه بالتشديد إلا أن يجعل الخنس في الوحشية أيضًا من الخنوس وهو اختفاؤها في الكناس، إذا غابت عن الأعين.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ ذكر أهل اللغة أن عسعس من الأضداد، يقال: عسعس الليل، إذا أقبل، وعسعس إذا أدبر، وأنشدوا في ورودها بمعنى أدبر قول العجاج(١):

حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ لَهَا تَنَفَّسَا وَانْجَابَ عَنْهَا لَيْلُهَا وَعَسْعَسَا

وأنشد أبو عبيدة في معنى أقبل(٢):

مُدَرَّجَاتُ اللَّيلِ لَمَّا عَسْعَسَا

ثم منهم من قال: المراد ههنا أقبل الليل؛ لأن على هذا التقدير يكون القسم واقعًا بإقبال الليل وهو قوله: ﴿إِذَا عَسْعَسَ﴾ وبإدباره أيضًا وهو قوله: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ ومنهم من قال: بل المراد أدبر وقوله: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي امتد ضوءه وتكامل، فقوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ إشارة إلى أول طلوع الصبح، وهو مثل قوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ [المدثر: ٣٣، ٣٤] وقوله: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ إشارة إلى تكامل طلوع الصبح فلا يكون فيه تكرار.

وأما قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي إذا أسفر كقوله: ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ [المدثر: ٣٤] ثم في كيفية المجاز قولان: **أحدهما:** أنه إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله رَوْح ونسيم، فجعل ذلك نفسًا له على المجاز، وقيل: تنفس الصبح. **والثاني:** أنه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي جلس بحيث لا يتحرك، واجتمع الحزن في قلبه، فإذا تنفس وجد راحة، فههنا لما طلع الصبح فكأنه تخلص من ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس، وهو استعارة لطيفة.

واعلم أنه تعالى لما ذكر المقسم به أتبعه بذكر المقسم عليه فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾، **وفيه قولان:**

الأول: وهو المشهور أن المراد أن القرآن نزل به جبريل: فإن قيل: ههنا إشكال قوي وهو أنه

---

(١) تقدمت ترجمة العجاج.

(٢) تقدمت ترجمة أبي عبيدة.

حلف أنه قول جبريل، فوجب علينا أن نصدقه في ذلك، فإن لم نقطع بوجوب حمل اللفظ على الظاهر، فلا أقل من الاحتمال، وإذا كان الأمر كذلك ثبت أن هذا القرآن يحتمل أن يكون كلام جبريل لا كلام الله، وبتقدير أن يكون كلام جبريل يخرج عن كونه معجزًا؛ لاحتمال أن جبريل ألقاه إلى محمد ﷺ على سبيل الإضلال، ولا يمكن أن يجاب عنه بأن جبريل معصوم لا يفعل الإضلال؛ لأن العلم بعصمة جبريل مستفاد من صدق النبي، وصدق النبي مفرع على كون القرآن معجزًا، وكون القرآن معجزًا يتفرع على عصمة جبريل، فيلزم الدور وهو محال. والجواب: الذين قالوا بأن القرآن إنما كان معجزًا للصرفة، إنما ذهبوا إلى ذلك المذهب فرارًا من هذا السؤال؛ لأن الإعجاز على ذلك القول ليس في الفصاحة، بل في سلب تلك العلوم والدواعي عن القلوب، وذلك مما لا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى.

القول الثاني: أن هذا الذي أخبركم به محمد من أمر الساعة على ما ذكر في هذه السورة – ليس بكهانة ولا ظن ولا افتعال، إنما هو قول جبريل أتاه به وحيًا من عند الله تعالى.

واعلم أنه تعالى وصف جبريل ههنا بصفات ست: أولها: أنه رسول، ولا شك أنه رسول الله إلى الأنبياء فهو رسول وجميع الأنبياء أمته، وهو المراد من قوله: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢] وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] وثانيها: أنه كريم، ومن كرمه أنه يعطي أفضل العطايا، وهو المعرفة والهداية والإرشاد. وثالثها: قوله: ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ ثم منهم من حمله على الشدة، روي أنه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل: «ذَكَرَ اللَّهُ قُوَّتَكَ، فَمَاذَا بَلَغَتْ؟ قَالَ: رَفَعْتُ قُرَيَاتِ قَوْمِ لُوطٍ الْأَرْبَعَ عَلَى قَوَادِمِ جَنَاحِي حَتَّى إِذَا سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ نُبَاحَ الْكِلَابِ وَأَصْوَاتَ الدَّجَاجِ قَلَبْتُهَا»(١) وذكر مقاتل أن شيطانًا يقال له الأبيض صاحب الأنبياء، قصد أن يفتن النبي ﷺ فدفعه جبريل دفعة رقيقة وقع بها من مكة إلى أقصى الهند. ومنهم من حمله على القوة في أداء طاعة الله وترك الإخلال بها من أول الخلق إلى آخر زمان التكليف، وعلى القوة في معرفة الله وفي مطالعة جلال الله.

ورابعها: قوله تعالى: ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ وهذه العندية ليست عندية المكان، مثل قوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩] وليست عندية الجهة، بدليل قوله: (أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ) بل عندية الإكرام والتشريف والتعظيم. وأما ﴿مَكِينٍ﴾ فقال الكسائي: يقال قد مكن فلان عند فلان بضم الكاف مكنًا ومكانة، فعلى هذا المكين هو ذو الجاه الذي يعطي ما يسأل.

وخامسها: قوله تعالى: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾ اعلم أن قوله: ﴿ثَمَّ﴾ إشارة إلى الظرف المذكور، أعني ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ [التكوير: ٢٠] والمعنى أنه عند الله مطاع في ملائكته المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه، وقرئ (ثُمَّ) تعظيمًا للأمانة وبيانًا لأنها أفضل صفاته المعدودة.

---

(١) لم أجده.

وسادسها: قوله: ﴿أَمِينٍ﴾ أي هو أمين على وحي الله ورسالاته، قد عصمه الله من الخيانة والزلل.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ واحتج بهذه الآية من فضّل جبريل على محمد ﷺ فقال: إنك إذا وازنت بين قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩، ٢١] وبين قوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ ظهر التفاوت العظيم: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ يعني حيث تطلع الشمس في قول الجميع، وهذا مفسر في سورة النجم ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ أي وما محمد على الغيب بظنين، والغيب ههنا القرآن وما فيه من الأنباء والقصص، والظنين: المتهم، يقال: (ظننت زيدًا) في معنى اتهمته، وليس من الظن الذي يتعدى إلى مفعولين، والمعنى ما محمد على القرآن بمتهم، أي هو ثقة فيما يؤدي عن الله، ومن قرأ بالضاد فهو من البخل، يقال: ضننت به أضن، أي بخلت، والمعنى ليس ببخيل فيما أنزل الله، قال الفراء: يأتيه غيب السماء وهو شيء نفيس فلا يبخل به عليكم. وقال أبو علي الفارسي: المعنى أنه يخبر بالغيب فيبينه ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ذلك ويمتنع من إعلامه حتى يأخذ عليه حلوانًا. واختار أبو عبيدة القراءة الأولى لوجهين: أحدهما: أن الكفار لم يبخلوه، وإنما اتهموه فنفي التهمة أَوْلى من نفي البخل. وثانيها: قوله: ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ ولو كان المراد البخل لقال بالغيب لأنه يقال: فلان ضنين بكذا وقلما يقال: على كذا.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ كان أهل مكة يقولون: إن هذا القرآن يجيء به شيطان فيلقيه على لسانه، فنفى الله ذلك، فإن قيل: القول بصحة النبوة موقوف على نفي هذا الاحتمال، فكيف يمكن نفي هذا الاحتمال بالدليل السمعي؟ (قلنا): بينا أن على القول بالصرفة لا تتوقف صحة النبوة على نفي هذا الاحتمال، فلا جرم يمكن نفي هذا الاحتمال بالدليل السمعي.

ثم قال تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ وهذا استضلال لهم، يقال لتارك الجادة اعتسافًا: أين تذهب؟ مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل، والمعنى أي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم؟! قال الفراء: العرب تقول: إلى أين تذهب وأين تذهب؟ وتقول: ذهبت الشام وانطلقت السوق. واحتج أهل الاعتزال بهذه الآية ووجهه ظاهر.

ثم بيّن أن القرآن ما هو فقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ أي هو بيان وهداية للخلق أجمعين.

قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾

ثم قال: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ وهو بدل من العالمين، والتقدير: إن هو إلا ذكر لمن شاء منكم أن يستقيم، وفائدة هذا الإبدال أن الذين شاؤوا الاستقامة بالدخول في الإسلام هم

المنتفعون بالذكر، فكأنه لم يوعظ به غيرهم، والمعنى أن القرآن إنما ينتفع به من شاء أن يستقيم. ثم بيَّن أن مشيئة الاستقامة موقوفة على مشيئة الله.

فقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي إلا أن يشاء الله تعالى أن يعطيه تلك المشيئة؛ لأن فعل تلك المشيئة صفة محدثة فلا بد في حدوثها من مشيئة أخرى فيظهر من مجموع هذه الآيات أن فعل الاستقامة موقوف على إرادة الاستقامة. وهذه الإرادة موقوفة الحصول على أن يريد الله أن يعطيه تلك الإرادة، والموقوف على الموقوف على الشيء موقوف على ذلك الشيء، فأفعال العباد في طرفي ثبوتها وانتفائها موقوفة على مشيئة الله. وهذا هو قول أصحابنا.

وقول بعض المعتزلة: (إن هذه الآية مخصوصة بمشيئة القهر والإلجاء) ضعيف لأنا بينا أن المشيئة الاختيارية شيء حادث، فلا بد له من محدث، فيتوقف حدوثها على أن يشاء محدثها إيجادها، وحينئذٍ يعود الإلزام، والله أعلم بالصواب.

سورة التكوير

مكِّيةٌ في قول الجميع، وهي تسعٌ وعشرون آيةً

وفي الترمذيِّ: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن سرَّه أن ينظر إليَّ يومَ القيامةِ [كأنه رَأيُ عينٍ] فليقرأ: إذا الشمسُ كُوِّرتْ، وإذا السماءُ انفطَرتْ، وإذا السماء انشقَّتْ». قال: هذا حديثٌ حسنٌ [غريب][1].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ۝١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ۝١٤﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ قال ابن عباس: تكويرُها: إدخالُها في العرش. الحسن: ذهابُ ضَوئِها. وقاله قتادةُ ومجاهدٌ، وروي عن ابن عباسٍ أيضاً[2]. سعيد بن جُبير: غُوِّرَتْ[3]. أبو عبيدة[4]: كوِّرتْ مثلَ تكويرِ العمامة، تُلفُّ فتُمْحَى. وقال الربيع ابن خثيم: «كوِّرتْ»: رُميَ بها[5]، ومنه: كوَّرتُه فتكوَّر، أي: سقط[6].

---

(١) سنن الترمذي (٣٣٣٣)، وما بين حاصرتين منه، وهو عند أحمد (٤٨٠٦).

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٢٦ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة.

(٣) في (د) و(م): عورت، ولم تجود في (ظ) و(ي)، والمثبت من تفسير الطبري ٢٤/ ١٣٠، والنكت والعيون ٦/ ٢١١، وتفسير البغوي ٤/ ٤٥١، وزاد المسير ٩/ ٣٨، والدر المنثور ٦/ ٣١٨.

(٤) في مجاز القرآن ٢/ ٢٨٧.

(٥) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٥٠-٣٥١، والطبري ٢٤/ ١٣١.

(٦) الصحاح (كور).

قلت: وأصلُ التكوير: الجمع؛ مأخوذٌ مِن كارَ العمامةَ على رأسه يَكُورُها، أي: لاثَها[١] وجَمَعها، فهي تُكَوَّر ويُمحَى ضَوءُها، ثم يُرمَى بها في البحر[٢]. والله أعلم.

وعن أبي صالح: كوِّرَتْ: نكِّست[٣].

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ أي: تَهافَتتْ وتناثَرتْ. وقال أبو عبيدةَ: انصَبَّت كما تَنصَبُّ العُقابُ إذا كَسَرت[٤]. قال العجَّاج يصفُ صقراً:

أبْصَرَ خِرْبانَ قضاءٍ فانكَدرْ تقَضِّيَ البازِي إذا البازِي كَسَرْ[٥]

ورَوى أبو صالح عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَبْقى في السماء يومئذٍ نجمٌ إلَّا سقط في الأرض، حتى يفزَعَ أهلُ الأرضِ السابعةِ ممَّا لَقِيتْ وأصابَ العليا» يعني الأرضَ. وروى الضحاكُ عن ابن عباس قال: تساقَطَتْ؛ وذلك أنها قناديلُ معلَّقةٌ بين السماء والأرض بسلاسلَ من نورٍ، وتلك السلاسلُ بأيدي ملائكةٍ من نور، فإذا جاءت النفخةُ الأولى مات مَن في الأرض ومَن في السماوات، فتناثَرتَ تلك الكواكبُ وتَساقطت السلاسلُ من أيدي الملائكةِ؛ لأنَّه مات مَن كان يُمسكها[٦].

ويحتمل أن يكون انكدارُها طَمسُ آثارِها[٧]. وسُميت النجومُ نجوماً لظهورها في

---

(١) لاث العمامة على رأسه يَلوثُها لَوثاً، أي: عصبها، الصحاح (لوث).

(٢) وقال الألوسي في روح المعاني ٣٠/ ٥٠ : جاء في الأخبار الصحيحة أن الشمس تدنو يوم القيامة من الرؤوس في المحشر حتى تكون على قَدْر ميل، ويُلْجِم الناسَ العرقُ يومئذٍ، ولا بحرَ حينئذٍ لتُلقى فيه بَعْدُ.

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٣٠ .

(٤) في النسخ عدا (د): انكسرت، والمثبت من (د)، والعبارة في مجاز القرآن ٢/ ٢٨٧ : «انكدرت» يقال: انكدر فلان: انصبَّ.

(٥) ديوان العجاج ص٨٣ على اختلاف في الترتيب بين البيتين، ولم يذكر أبو عبيدة سوى الأول. قوله: خربان، هو جمع خَرَب: وهو ذكر الحُبَارى. ويقال للطائر إذا ضم جناحيه: كسر. سمط اللآلي ٢/ ٧٩١ . وتقضَّى البازي: انقضَّ. القاموس (قضى).

(٦) ذكر الخبرين الواحدي في الوسيط ٤/ ٢٢٨ عن الكلبي وعطاء.

(٧) في (ظ): نارها.

السماء بضوئها. وعن ابن عباس أيضاً: «انكدرت»: تغيَّرتْ فلم يَبْقَ لها ضوء[١]؛ لزوالها عن أماكنها. والمعنى متقارِبٌ.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ يعني قُلِعَتْ من الأرض، وسيِّرتْ في الهواء؛ وهو مِثْلُ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]. وقيل: سَيرُها: تَحوُّلُها عن منزلة الحجارة، فتكونُ كثيباً مَهيلاً، أي: رملاً سائلاً، وتكونُ كالعِهْن، وتكونُ هَباءً منثوراً[٢]، وتكون سَراباً، مثل السَّرابِ الذي ليس بشيء. وعادت الأرضُ قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوَجاً ولا أمْتاً. وقد تقدَّم في غير موضعٍ والحمد لله.

﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ أي: النُّوقُ الحَواملُ التي في بطونها أولادُها، الواحدةُ عُشَراء، وهي التي[٣] أتى عليها في الحمل عشرةُ أشهرٍ، ثم لا يزالُ ذلك اسمها حتى تَضعَ، وبعد ما تضعُ أيضاً. ومن عادة العرب أن يُسَمُّوا الشيءَ باسمه المتقدِّم وإن كان قد جاوَزَ ذلك؛ يقول الرجل لفرسه وقد قَرح[٤]: هاتوا مُهْري، وقرِّبوا مُهْري، يسمِّيه بمتقدِّم اسمِه؛ قال عنترة:

لا تَـذْكُـري مُـهْـري ومـا أطْـعَـمْـتُـه فيكونَ جِلدُك مِثلَ جِلدِ الأجْرَبِ[٥]

وقال أيضاً:

وحَمَلْتُ مُهري وسطَها فمضاها[٦]

وإنَّما خصَّ العِشار بالذِّكر؛ لأنَّها أعزُّ ما تكون على العرب، وليس يُعَطِّلها أهلُها إلَّا حالَ القيامة. وهذا على وَجهِ المَثَل؛ لأنَّ في القيامة لا تكونُ ناقةٌ عُشَراءُ، ولكنْ

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٢١١ ، وأخرجه الطبري ٢٤/ ١٣٣ دون قوله: فلَم يَبْقَ لها ضوء.

(٢) في (ظ): منبثا.

(٣) في (م): أو التي، بدل: وهي التي.

(٤) قَرَح الفرس يقرح قروحاً، وقَرِح قَرَحاً: إذا انتهت أسنانه، وإنما تنتهي في خمس سنين. اللسان (قرح).

(٥) سلف ١٤/ ٢٠٣ .

(٦) وصدره: وضربتُ قرنَيْ كبشها فتجدَّلا، وهو في ديوان عنترة ص٧٥ ، وسلف صدره ١٤/ ٤٠٠ .

أراد به المثل، [يعني] أنَّ هَوْلَ يوم القيامةِ بحالٍ لو كان للرجل ناقةٌ عُشَراءُ، لعطَّلها واشتغلَ بنفسه(١).

وقيل: إنَّهم إذا قاموا من قبورهم، وشاهد بعضُهم بعضاً، ورَأوا الوُحوشَ والدوابَّ محشورةً، وفيها عِشارُهم التي كانت أنْفَسَ أموالهم، لم يعبؤوا بها، ولم يهمَّهم أمرُها. وخُوطبت العربُ بأمر العِشار لأن مالَها وعيشَها أكثَرُه من الإبل.

ورَوَى الضحَّاكُ عن ابن عباس: «عُطِّلت»: عَطَّلها أهلُها لاشتغالهم بأنفسهم(٢).

وقال الأعشى:

هو الواهِبُ المئةَ المُصطَفا ةَ إمَّا مَخاضاً وإما عِشارا(٣)

وقال آخرُ:

ترى المرءَ مهجوراً إذا قلَّ مالهُ وبيتُ الغِنَى يُهدَى له ويُزارُ
وما ينفعُ الزوارَ مالُ مَزُورِهم إذا سَرَحَتْ شَولٌ له وعِشار(٤)

يقال: ناقة عُشَراء، وناقتان عُشَراوان، ونوق عِشارٌ وعُشَراوات، يُبدِلون من همزة التأنيث واواً. وقد عَشَّرت الناقةُ تعشيراً، أي: صارتْ عُشَراء(٥).

وقيل: العِشار: السحابُ يُعَطَّل مما يكونُ فيه ـ وهو الماء ـ فلا يُمطِر؛ والعربُ تشبِّه السحابَ بالحامل(٦).

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٥١ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) ذكره بنحوه الرزاي في التفسير ٣١/ ٦٧ .

(٣) ديوان الأعشى ص١٠١ . وقال الشارح: مخاضاً: تهيأ للنتاج.

(٤) لم نقف عليهما. والشَّوْل جمع شائلة، وهي من الإبل ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها. القاموس (شول).

(٥) الصحاح (عشر).

(٦) تفسير الرازي ٣١/ ٦٧ .

وقيل: الديار تُعَطَّلُ فلا تُسكن. وقيل: الأرضُ التي يُعشَّر زَرْعُها تعطَّلُ فلا تُزرَع[١]. والأولُ أشهرُ، وعليه من الناسِ الأكثرُ.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أي: جُمعت، والحَشرُ: الجمع. عن الحسن وقتادةَ وغيرِهما[٢]. وقال ابن عباس: حَشرُها: موتُها ـ رواه عنه عِكرمةُ ـ وحَشرُ كلِّ شيء: الموتُ، غيرَ الجنِّ والإنس، فإنهما يُوافيان[٣] يومَ القيامة.

وعن ابن عباس أيضاً قال: يُحشَر كلُّ شيء حتى الذُّبابُ[٤]. قال ابن عباس: تُحشَر الوحوشُ غداً، أي: تُجمع حتى يُقتصَّ لبعضها من بعض، فيقتصُّ للجَمَّاء من القَرناء، ثم يقال لها: كوني تراباً، فتموتُ. وهذا أصحُّ ممَّا رواه عنه عِكرمة، وقد بينَّاه في كتاب «التذكرة» مستوفى[٥]، ومضى في سورة الأنعام بعضُه[٦]. أي: إنَّ الوحوش إذا كانت هذه حالها فكيف ببني آدم.

وقيل: عُنيَ بهذا أنَّها مع نُفرتها اليومَ من الناس، وتبدُّدِها في الصحارَى، تنضمُّ غداً إلى الناس من أهوال ذلك اليوم[٧]. قال معناه أُبيُّ بنُ كعب[٨].

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أي: مُلئتْ من الماء، والعربُ تقول: سَجَرْتُ الحوضَ أسجُره سَجْراً: إذا ملأتَه، وهو مسجورٌ، والمسجورُ والسَّاجِر في اللغة: المَلآن. وروى

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٢١٢ . قوله: يعشَّر، أي: يؤخَذ منه العشر، في القاموس (عشر): عشَّرهم: أخذ عُشر أموالهم.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٥٦ عن قتادة، وأخرجه عنه الطبري بنحوه ٢٤/ ١٣٧ .

(٣) في تفسير الطبري ٢٤/ ١٣٩ : يوقفان، وكذا وقع في الدر المنثور ٦/ ٣١٩ عن الفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وغيرهم.

(٤) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣١٩ .

(٥) ص٢٧٣ .

(٦) ٨/ ٣٧٢ .

(٧) تفسير الرازي ٣١/ ٦٨ .

(٨) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢١٢ بلفظ: اختلطت وصارت بين الناس.

الربيع بن خثيم: «سُجِّرتْ»: فاضَتْ ومُلئت. وقاله الكلبيُّ ومقاتلٌ والحسن والضحَّاك[١]. قال ابن أبي زَمَنين[٢]: «سُجِّرتْ» حقيقتُه: مُلِئتْ، فيفضي[٣] بعضُها إلى بعضٍ، فتصيرُ شيئاً واحداً. وهو معنى قولِ الحسن.

وقيل: أُرسل عَذبُها على مالحها، ومالحُها على عَذبِها، حتى امتلأتْ. عن الضحاك ومجاهد: أي: فُجِّرتْ، فصارت بحراً واحداً[٤]. القُشيريُّ: وذلك بأن يرفع الله الحاجزَ الذي ذَكره في قوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠]، فإذا رُفع ذلك البرزخُ تفجَّرت مياهُ البحار، فعمَّتْ الأرضَ كلَّها، وصارت البحار بحراً واحداً[٥]. وقيل: صارتْ بحراً واحداً من الحميم لأهل النار.

وعن الحسن أيضاً وقتادةَ وابنِ حَيَّان: تَيْبَسُ فلا يبقى من مائها قطرة[٦].

القُشيريُّ: وهو من سَجَرتُ التنورَ أسجُره سَجراً: إذا أحْميته، وإذا سُلِّط عليه الإيقادُ نَشِفَ ما فيه من الرطوبة، وتُسيَّر الجبال حينئذٍ، وتصيرُ البحار والأرضُ كلُّها بساطاً واحداً، بأن يُملأَ مكانُ البحارِ بتراب الجبال.

وقال النحاس: وقد تكونُ الأقوالُ متفقةً؛ يكون: تيبسُ من الماء بعد أن يفيض بعضُها إلى بعض، فتقلَبُ ناراً.

قلت: ثم تُسَيَّر الجبالُ حينئذٍ، كما ذكر القشيريُّ، والله أعلم.

وقال ابن زيد وشَمِر وعطية[٧] وسفيانُ ووهبٌ وأُبيٌّ وعليّ بنُ أبي طالب، وابنُ

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ١٣٩ عن الربيع والكلبي والضحاك.

(٢) هو محمد بن عبد الله بن عيسى المرِّي.

(٣) في (م): فيفيض.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢١٣ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٥١ .

(٥) ذكره الرازي ٣١/ ٦٨ عن الكلبي.

(٦) تفسير الطبري ٢٤/ ١٤٠ وتفسير البغوي ٤/ ٤٥١ عن الحسن وقتادة.

(٧) كذا في النسخ، وهو في تفسير الطبري ٢٤/ ١٣٨ والدر المنثور ٦/ ٣١٩ عن شَمِر بن عطية.

عباسٍ في رواية الضحَّاك عنه: أُوقِدَتْ فصارتْ ناراً[(١)]. قال ابن عباس: يُكوِّرُ الله الشمسَ والقمرَ والنجومَ في البحر، ثم يبعثُ عليها ريحاً دَبُوراً، فتنفخُه حتى يصير ناراً[(٢)]. وكذا في بعض الحديث: يأمرُ الله جلَّ ثناؤه الشمسَ والقمرَ والنجومَ فيَنْتَثِرون في البحر، ثم يبعثُ الله جلَّ ثناؤه الدَّبورَ فيسجِّرُها ناراً، فتلك نارُ الله الكبرى، التي يعذِّبُ بها الكفار[(٣)].

قال القشيريُّ: قيل[(٤)] في تفسير قولِ ابنِ عباس: «سُجِّرتْ»: أُوقِدَتْ، يحتملُ أن تكون جهنم في قُعورٍ من البحار، فهي الآنَ غيرُ مَسجورةٍ؛ لِقوَام الدنيا، فإذا انقضت الدنيا سُجِّرت، فصارت كلُّها ناراً يدخِلُها الله أهلَها. ويحتملُ أن تكون تحت البحر نارٌ، ثم يوقِدُ الله البحر كلَّه فيصير ناراً. وفي الخبر: البحرُ نارٌ في نارٍ[(٥)]. وقال معاويةُ ابن سعيد: بحرُ الرومِ وَسْطَ الأرضِ، أسفلُه آبارٌ مُطبقةٌ بنُحاسٍ يُسجَّر ناراً يومَ القيامة[(٦)]. وقيل: تكون الشمس في البحر، فيصيرُ البحرُ ناراً بحرِّ الشمس.

ثم جميعُ ما في هذه الآياتِ يجوزُ أن يكون في الدنيا قبلَ يومِ القيامة ويكون من أشراطِها، ويجوزُ أن يكون يومَ القيامة، وما بعدَ هذه الآيات فيكونُ في يوم القيامة.

قلت: رُوِي عن عبد الله بن عمرو: لا يتوضَّأ بماء البحر لأنه طبقُ جَهنم[(٧)].

---

(١) أخرج قولهم الطبري ٢٤/١٣٨ .

(٢) أخرجه هناد في الزهد (٣٣٤)، والطبري ٢٤/١٣٨ .

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٩٣١) عن علي ﷺ، أنه كان يقول عن يهودي: ما كان في اليهود أعلم منه، قال: البحر نار الله الكبرى يَنْتَثِر فيها الشمس والقمر والنجوم، فيبعث الله عز وجل الدبور، فيسجره ناراً.

(٤) في (ظ): قال المفسرون.

(٥) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/١٨٩ ، وسلف ٢١/٢٦٦ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير عند هذه الآية. قال ابن كثير: هذا أثر غريب عجيب. ومعاوية بن سعيد التُّجَيْبِيُّ الفَهميُّ مولاهم، مصريٌّ، من رجال التهذيب ٤/١٠٦ .

(٧) سلف ١٥/٤٤١-٤٤٢ ، وينظر الأوسط ١/٢٤٩ .

وقال أُبيّ بنُ كعب: ستُّ آياتٍ من قبلِ يومِ القيامة: بينما الناسُ في أسواقهم ذهب ضوءُ الشمس وبدت النجومُ فتحيَّروا ودُهِشوا، فبينما هم كذلك ينظرون إذ تناثرت النجومُ وتَساقطت، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبالُ على وجه الأرض، فتحرَّكت واضطربت واحترقت، فصارت هباءً منثوراً، ففزعت الإنسُ إلى الجنِّ والجنُّ إلى الإنس، واختلطت الدوابُّ والوحوشُ والهوامُّ والطير، وماج بعضُها في بعض؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ثم قالت الجنُّ للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، فانطَلَقوا إلى البحار فإذا هي نارٌ تأجَّجُ، فبينما هم كذلك إذ تصدَّعتِ الأرضُ صدعةً واحدةً إلى الأرض السابعة السُّفْلَى، وإلى السماء السابعة العليا. فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريحٌ فأماتتهم[(١)].

وقيل: معنى «سُجِّرت»: هو حُمرةُ مائها، حتى تصير كالدَّم؛ مأخوذٌ من قولهم: عينٌ سَجراء، أي: حمراء[(٢)].

وقرأ ابن كثير: «سُجِرَتْ» وأبو عمرو أيضاً[(٣)]، إخباراً عن حالها مرةً واحدةً. وقرأ الباقون بالتشديد إخباراً عن حالها في تكرير ذلك منها مرةً بعد أخرى.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال النعمان بنُ بشير: قال النبيُّ ﷺ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال: «يُقرَنُ كلُّ رجلٍ مع كلِّ قومٍ كانوا يعملون كعمله»[(٤)]. وقال عمر ابن الخطاب: يُقرَنُ الفاجر مع الفاجرِ، ويقرنُ الصالح مع الصالح[(٥)]. وقال ابن عباس: ذلك حين يكون الناس أزواجاً ثلاثة[(٦)]، السابقون زوجٌ ـ يعني صنفاً ـ

---

(١) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٢٨ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢١٣ .

(٣) السبعة ص٦٧٣ ، والتيسر ص٢٢٠ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٤٢ .

(٥) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٥١ ، والطبري ٢٤/ ١٤٢ .

(٦) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٤٣ .

وأصحابُ اليمينِ زوجٌ، وأصحابُ الشمالِ زوجٌ.

وعنه أيضاً قال: زُوِّجَتْ نفوسُ المؤمنين بالحُورِ العين، وقُرِنَ الكافر بالشياطين[١]، وكذلك المنافقون.

وعنه أيضاً: قُرِن كلُّ شَكلٍ بشَكلِه من أهلِ الجنة وأهلِ النار، فيُضَمُّ المبرِّزُ في الطاعة إلى مثلِه، والمتوسِّطُ إلى مِثْلِه، وأهل المعصيةِ إلى مِثْلِه؛ فالتزويجُ: أنْ يُقرنَ الشيءُ بمثله[٢]؛ والمعنى: وإذا النفوسُ قُرِنَت إلى أشكالها في الجنة والنار.

وقيل: يُضَمُّ كلُّ رجلٍ إلى مَن كان يَلْزمُه من مَلِكٍ وسلطان، كما قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢].

وقال عبد الرحمن بن زيد: جُعِلوا أزواجاً على أشباهِ أعمالِهم، ليس بتزويجٍ، أصحابُ اليمين زوجٌ، وأصحابُ الشمالِ زوجٌ، والسابقون زوجٌ، وقد قال جلَّ ثناؤه: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ أي: أشكالَهم.

وقال عِكرمةُ: «وإذا النفوسُ زُوِّجتْ»: قُرِنَتْ الأرواحُ بالأجساد، أي: رُدَّتْ إليها[٣].

وقال الحسن: أُلْحِقَ كلُّ امرئ بشيعته[٤]؛ اليهودُ باليهود، والنصارى بالنصارى، والمجوسُ بالمجوس، وكلُّ مَن كان يعبدُ شيئاً من دون الله يُلحَقُ بعضُهم ببعضٍ، والمنافقون بالمنافقين، والمؤمنون بالمؤمنين.

وقيل: يُقرَنُ الغاوي بمَن أغواه من شيطانٍ أو إنسان، على جهةِ البغضِ والعداوة، ويُقرَنُ المطيعُ بمَن دعاه إلى الطاعة من الأنبياء والمؤمنين.

---

(١) ذكره الرازي في التفسير ٣١/ ٦٩ ، وأخرجه عبد بن حميد وابن المنذر عن الكلبي، كما في الدر المنثور ٦/ ٣١٩ .

(٢) ذكره الرازي ٣١/ ٦٩ دون نسبة.

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٤٤ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٤٣ .

وقيل: قُرِنت النفوسُ بأعمالها، فصارت لاختصاصِها به كالتزويج[١].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ الموؤودة المقتولةُ، وهي الجاريةُ تُدفَنُ وهي حيةٌ، سمِّيتْ بذلك لمَا يطرحُ عليها من التراب، فيؤودها، أي: يُثقِلُها حتى تموت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥] أي: لا يُثقِلُه؛ وقال متمِّم ابنُ نُويرةَ:

ومَوءودةٍ مَقبورةٍ في مَفازةٍ بآمَتِها مَوسودةٍ لم تُمهَّدِ[٢]

وكانوا يدفنون بناتهم أحياءً لخصلتين؛ إحداهما: كانوا يقولون: إنَّ الملائكة بناتُ الله، فألحقوا البناتِ به. الثانية: إمَّا مخافة الحاجةِ والإملاق، وإمَّا خوفاً من السَّبْيِ والاسْتِرقاق. وقد مضى في سورة النحل هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ [الآية: ٥٩] مستوفًى.

وقد كان ذَوُو الشَّرفِ منهم يمتنعون من هذا ويمنعون منه، حتى افتخر به الفرزدق، فقال:

ومِنَّا الَّذي منعَ الوائِداتِ وأحيا الوئِيدَ فلم يُوْأَدِ[٣]

يعني جدَّه صَعْصَعة[٤]؛ كان يشتريهنَّ من آبائهن، فجاء الإسلامُ وقد أحيا سبعين موءودةً.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٢١٤، وذكر هذا القول أيضاً الرازي ٣١/ ٦٩ وقال: واعلم أنك إذا تأمَّلتَ في الأقوال التي ذكرناها، أمكَنَك أن تزيد عليها ما شئت.

(٢) في (ظ) و(ي): موسومة لم تمهد، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٦/ ٢١٤، والكلام منه. والبيت في تهذيب اللغة ١٥/ ٦٤٥، واللسان (أوم) و(عوز) منسوب لحسان بن ثابت برواية:

ومـوءودةٍ مقرورة في مَعاوزٍ بآمَتِها مرسومة لم تُوَسَّدِ

ولم نقف عليه في ديوانه. الآمة: ما يعلق بسرة المولود إذا سقط من بطن أمه، ويقال: ما لُفَّ فيه من خرقة وما خرج معه. والمعاوِز: خُلْقانُ الثياب. اللسان (أوم) و(عوز).

(٣) ديوان الفرزدق ١/ ١٧٣.

(٤) ابن ناجية التميمي الدارمي، قال ابن السكن: له صحبة، وكان من أشراف بني مجاشع في الجاهلية والإسلام، وهو ابن عم الأقرع ابن حابس. الإصابة ٥/ ١٤٢.

وقال ابن عباس: كانت المرأةُ في الجاهلية إذا حملتْ حَفَرت حفرةً، وتَمخَّضتْ على رأسها. فإنْ ولدت جاريةً رَمَتْ بها في الحفرة، وردَّتِ الترابَ عليها، وإن ولدتْ غلاماً حَبسَته[(١)]، ومنه قولُ الراجزِ:

سَمَّيْتُها إذ وُلِدتْ تموتُ والقبرُ صِهرٌ ضامِنٌ زِمِّيتُ[(٢)]

الزِّميتُ: الوقور، والزميتُ مثالُ الفِسِّيقِ أوْقَر من الزَّمِيت، وفلانٌ أزْمتُ الناس، أي: أوْقَرُهم، وما أشدَّ تزمُّتَه؛ عن الفرَّاء[(٣)].

وقال قتادةُ: كانت الجاهليةُ يقتلُ أحدهم ابنته، ويَغذُو كَلبَه، فعاتَبَهم الله على ذلك، وتَوعَّدهم بقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾[(٤)].

قال عمر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ قال: جاء قيس بنُ عاصم إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله إنِّي وأدْتُ ثمان بناتٍ كنَّ لي في الجاهلية، قال: «فأعتِقْ عن كلِّ واحدةٍ منهنَّ رقبةً» قال: يا رسولَ الله، إنِّي صاحب إبلٍ، قال: «فأهْدِ عن كلِّ واحدةٍ منهنَّ بَدَنةً إنْ شِئْتَ»[(٥)].

وقوله تعالى: «سُئِلت» سؤال الموؤودةِ توبيخٌ[(٦)] لقاتلها، كما يقال للطفل إذا ضُرِب: لم ضُرِبتَ؟ وما ذَنْبُك؟ قال الحسن: أراد الله أن يُوبِّخ قاتلها؛ لأنها قُتلت بغير ذنب.

وقال ابن أسلم: بأيِّ ذَنبٍ ضُربت، وكانوا يضربونها.

---

(١) أخرجه الواحدي في الوسيط ٤/٤٢٩ ، وذكره البغوي ٤/ ٤٥٢ ، وابن الجوزي ٩/ ٤٠ .

(٢) الرجز في جمهرة اللغة ٢/ ١٦ ، واللسان (ربت). والثاني في العين ٧/ ٣٥٩ ، وتهذيب اللغة ١٣/ ١٨٦ ، والصحاح (زمت)، واللسان (زمت).

(٣) الصحاح (زمت).

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٤٧ ، وفيه: فعاب الله عليهم ذلك، بدل: فعاتبهم الله على ذلك...

(٥) أخرجه البزار في مسنده (٢٣٧)، والطبراني في الكبير ١٨/ (٨٦٣)، وابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير عند هذه الآية، ووقع عند البزار «فانحر عن كل واحدة...».

(٦) في (د) و(م): سؤال الموؤودة سؤال توبيخ.

وذكر بعض أهل العلم في قوله تعالى: «سُئلتْ» قال: طُلِبت؛ كأنه يريدُ كما يُطلب بدم القتيل، قال: وهو كقوله: ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ [الأحزاب:١٥] أي: مطلوباً. فكأنها طُلِبت منهم، فقيل: أين أولادُكم[١]؟

وقرأ الضحاك وأبو الضُّحا عن جابر بن زيد وأبي صالح: «وإذا الموؤودة سألت»[٢] فتتعلَّق الجارية بأبيها، فتقول: بأيِّ ذنبٍ قَتلتني؟ فلا يكونُ له عذرٌ؛ قاله ابن عباس، وكان يقرأ: «وإذا الموؤودة سألَتْ»[٣]، وكذلك هو في مصحف أُبيٍّ[٤]. وروى عكرمةُ عن ابن عباس عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ المرأة التي تقتلُ ولدَها تأتي يومَ القيامةِ مُتعلِّقاً ولدُها بثدييها، ملطَّخاً بدمائه، فيقول: ياربِّ، هذه أمِّي، وهذه قَتَلتْني»[٥].

والقولُ الأولُ عليه الجمهور، وهو مثلُ قوله تعالى لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة:١١٦] على جهة التَّوبيخِ والتَّبكيتِ لهم، فكذلك سؤالُ الموؤودة توبيخٌ لوائدِها، وهو أبلغُ من سؤالها عن قَتلِها؛ لأنَّ هذا مما لا يصحُّ إلَّا بذنبٍ، فبأيِّ ذنبٍ كان ذلك. فإذا ظَهَر أنه لا ذنبَ لها، كان أعظمَ في البليةِ وظهور الحجة على قاتلها. والله أعلم.

وقرئ: «قتِّلت» بالتشديد. وفيه دليلٌ بيِّنٌ على أنَّ أطفالَ المشركين لا يُعَذَّبون، وعلى أنَّ التعذيب لا يُستحقُّ إلَّا بذنبٍ[٦].

---

(١) ذكره الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٤١ .

(٢) القراءات الشاذة ص١٦٩ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٤٢ ، وذكر ابن عطية أن بعض مَن قرأ بهذه القراءة قرأ ايضاً: «قُتِلْتُ» بسكون اللام وضم التاء.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٢١٤ ، وأخرجه الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٤٠ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٥٨ .

(٥) لم نقف عليه.

(٦) الكشاف ٤/ ٢٢٢ ، وقراءة «قتِّلت» في القراءات الشاذة ص١٦٩ .

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ أي: فُتِحَتْ بعدَ أنْ كانت مَطوِيَّةً، والمرادُ صحفُ الأعمال التي كَتَبت الملائكةُ فيها ما فعلَ أهلُها من خيرٍ وشرّ، تُطوَى بالموت، وتُنشَر في القيامة، فيقفُ كلُّ إنسانٍ على صحيفته، فيَعْلَم ما فيها، فيقول: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩][١].

وروي عن مَرثَد بن وَدَاعة قال: إذا كان يومُ القيامة تطايرت الصحفُ من تحتِ العرش، فتقع صحيفةُ المؤمن في يده ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٢-٢٤] وتقع صحيفة الكافر في يده ﴿فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٢-٤٤][٢].

ورُوي عن أمِّ سلمةَ رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يُحشَرُ الناسُ يوم القيامةِ حُفاةً عُراةً» فقلتُ: يا رسولَ الله! كيف بالنساء؟ قال: «شُغِلَ الناسُ يا أمَّ سَلَمة». قلتُ: وما شَغَلَهم؟ قال: «نَشرُ الصُّحُفِ، فيها مثاقيلُ الذرِّ ومثاقيلِ الخَرْدَلِ»[٣].

وقد مضى في سورة سُبحان[٤] قولُ أبي السَّوَّار العدَوِيِّ: هما نَشرَتان وطَيَّةٌ، أما ما حَييتَ يا ابنَ آدم فصحيفتُكَ المنشورةُ، فأَمْلِ فيها ما شِئتَ، فإذا متَّ طُوِيتْ، حتى إذا بُعثتَ نُشِرَتْ ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

وقال مقاتل: إذا مات المرءُ طُوِيتْ صحيفةُ عمله، فإذا كان يومُ القيامةِ نُشِرتْ.

وعن عمر ﷺ أنه كان إذا قرأها قال: إليكَ يُساقُ الأمرُ يا ابنَ آدم[٥].

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٢١٥.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٢٣، وزاد في آخره: أي مكتوب فيها ذلك، وهي صحف غير صحف الأعمال. اهـ. ومرثَد بن وَداعة هو أبو قتيلة الحمصي، قال البخاري: له صحبة. الإصابة ٩/ ١٦٣.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٨٣٧). ونقله المصنف عن الكشاف ٤/ ٢٢٢-٢٢٣.

(٤) ١٣/ ٤١.

(٥) الكشاف ٤/ ٢٢٢.

وقرأ نافعٌ وابن عامرٍ وعاصمٌ وأبو عمرو: «نُشِرَت» مخفَّفةً[١]، على نَشرِها مرةً واحدةً، لقيام الحجة. الباقون بالتشديد، على تكرار النَّشرِ؛ للمبالغة في تقريع العاصي، وتبشيرِ المطيع. وقيل: لتكرارِ ذلك من الإنسان والملائكةِ الشُّهداءِ عليه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾: الكَشْطُ: قَلْعٌ عن شدَّةِ الْتِزاقٍ، فالسماءُ تُكشَطُ كما يكشَطُ الجلد عن الكبش وغيره. والقَشطُ لغةٌ فيه، وفي قراءةِ عبدِ الله: «وإذا السماءُ قُشِطَت». وكَشَطْتُ البعيرَ كَشْطاً: نزعت جِلدَه، ولا يقال: سَلختُه؛ لأنَّ العرب لا تقولُ في البعير إلَّا كشَطْته أو جَلَّدته، وانكشط [رَوْعُه]، أي: ذهب[٢]. فالسماءُ تُنزَع من مكانها كما ينزعُ الغِطاءُ عن الشيء.

وقيل: تُطوَى، كما قال تعالى: ﴿يوم نطوِي السماء كطيّ السِّجلّ لِلكتابِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. فكأنَّ المعنى: قُلِعَتْ فطُوِيتْ. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ﴾ أي: أُوْقدَتْ فأضرمت للكفار وزِيدَ في إحمائها. يقال: سَعَّرتُ النار وأسعَرتها. وقراءةُ العامَّةِ بالتخفيف، من السعير. وقرأ نافعٌ وابنُ ذكوانَ ورُويْس بالتشديد[٣]؛ لأنَّها أوقدَتْ مرةً بعد مرةٍ. قال قتادة: سَعَّرها غضبُ الله، وخطايا بني آدم[٤].

وفي الترمذيِّ[٥] عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قال: «أُوقِدَ على النار ألف سنةٍ حتى احْمَرَّتْ، ثم أُوْقِدَ عليها ألف سنةٍ حتى ابيَضَّتْ، ثم أُوقِدَ عليها ألف سنةٍ حتى

---

(١) السبعة ص٦٧٣، والنشر ٢/٣٩٨ عن نافع وابن عامر وعاصم، أما أبو عمرو فقرأ: «نشِّرت» بتشديد الشين.

(٢) الصحاح (كشط)، وما بين حاصرتين منه. وقراءة عبد الله ﷺ ذكرها أيضاً الفراء في معاني القرآن ٣/٢٤١.

(٣) وقرأ بها أيضاً من العشرة حفص وأبو جعفر. السبعة ص٦٧٣، والتيسير ص٢٢٠، والنشر ٢/٣٩٨.

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/١٥٠.

(٥) برقم (٢٥٩١).

اسوَدَّتْ، فهي سوداءُ مُظلمة». ورُوي موقوفاً[١].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أي: دَنَتْ وقرِّبت من المتَّقين. قال الحسن: إنهم يُقرَّبون منها؛ لا أنَّها تَزولُ عن مَوضِعها. وكان عبدُ الرحمن بنُ زيد يقول: زُيِّنت[٢].

والزُّلفَى في كلام العرب: القُربة؛ قال الله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠] وتزلَّف فلانٌ: تَقرَّبَ.

قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ يعني ما عَمِلَتْ من خيرٍ وشرٍّ. وهذا جوابُ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وما بَعدَها. قال عمر ﷺ: لهذا أُجْرِيَ الحديث[٣]. ورُوِيَ عن ابن عباس وعمر رضي الله عنهما أنَّهما قرآها، فلمَّا بلغا ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ قالا: لهذا أُجرِيَت القصةُ. فالمعنى على هذا: إذا الشمسُ كُوِّرَتْ وكانت هذه الأشياء، عَلمتْ نفسٌ ما أَحْضرتْ من عملها.

وفي الصحيحين عن عديّ بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم مِن أحدٍ إلَّا وسيُكلِّمه الله ما بينه وبينه تَرجُمان، فينظر أيمنَ منه فلا يرى إلَّا شيئاً قدَّمه، وينظر أشأمَ منه فلا يرى إلَّا شيئاً قدَّمه، وينظر أمامه، فتستقبلُه النار، فَمَن استطاع منكم أن يتَّقي النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ فلْيفعَلْ»[٤].

وقال الحسن: «إذ الشمسُ كوِّرتْ» قسمٌ وقع على قوله: «علمتْ نفسٌ ما أحضَرتْ»[٥] كما يقال: إذا نَفَر زيدٌ نفرَ عمرو. والقولُ الأولُ أصح.

وقال ابن زيد عن ابن عباس في قوله تعالى: «إذا الشمسُ كُوِّرتْ» إلى قوله:

---

(١) أخرجه الترمذي إثر المرفوع، ثم قال: حديث أبي هريرة في هذا موقوف أصح.

(٢) في (ظ): تزينت.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٢٠، وأخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ١٥١-١٥٢.

(٤) صحيح البخاري (١٤١٣)، وصحيح مسلم (١٠١٦)، وهو عند أحمد (١٨٢٤٦).

(٥) النكت والعيون ٦/ ٢١٥.

«وإذا الجنة أُزلِفت» اثنتا عشرةَ خصلةً: ستَّةٌ في الدنيا، وستَّةٌ في الآخرة[١]، وقد بينَّا الستَّةَ الأُولى بقولِ أبيّ بنِ كعب[٢].

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ۝٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ أي: أُقسِمُ، و«لا» زائدةٌ، كما تقدَّم[٣]. ﴿بِٱلۡخُنَّسِ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ هي الكواكبُ الخمسةُ الدَّراريُّ: زُحَلُ والمُشتري وعُطارِدُ والمرِّيخُ والزُّهرةُ، فيما ذكر أهلُ التفسير. والله أعلم. وهو مَرْويٌّ عن عليٍّ كَرَّم الله وَجهَه[٤].

وفي تخصيصها بالذِّكر من بينِ سائرِ النجوم وجهان: أحدُهما: لأنَّها تستقبلُ الشمس؛ قاله بكر بنُ عبد الله المُزَنيُّ. الثاني: لأنها تقطعُ المجرَّة؛ قاله ابن عباس[٥].

وقال الحسن وقتادةُ: هي النجومُ التي تَخْنسُ بالنهار، وإذا غَرَبَت[٦]، وقاله عليٌّ ﷺ، قال: هي النجومُ تَخنسُ بالنهار، وتَظهَرُ بالليل، وتَكنِسُ في وقتِ غروبها[٧]، أي: تتأخَّر عن البصر لخفائها، فلا تُرَى.

---

(١) زاد المسير ٩/ ٤١.

(٢) سلف ص١٠٠ من هذا الجزء.

(٣) عند تفسير الآية (٧٥) من سورة الواقعة، والآية (٤٠) من سورة المعارج.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢١٦، وزاد المسير ٩/ ٤٢، وأخرجه عن علي ﷺ ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٢٠، وفيه: بَهْرام، بدل: المريخ، وهما واحد، كما في زاد المسير، والأزمنة والأمكنة ٢/ ٤٣٨.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٢١٦، وأخرجه عن ابن عباس أبو الشيخ في العظمة (٦٨٦). وعن بكر بن عبد الله الطبري ٢٤/ ١٥٣.

(٦) في (د): إذا غربت، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٦/ ٢١٦، والكلام منه. وأخرج القول بنحوه عن قتادة والحسن الطبري ٢٤/ ١٥٤.

(٧) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٥٢-١٥٣ بلفظ: تخنس بالنهار، وتكنس بالليل، وفي رواية: تجري بالليل، وتخنس بالنهار. وفي رواية: تكنس بالنهار، وتبدو بالليل.

وفي «الصحاح»: و«الخُنَّس»: الكواكب كلُّها؛ لأنها تَخنسُ في المغيب، أو لأنَّها تَخفَى نهاراً[١]. ويقال: هي الكواكبُ السيارةُ منها دون الثابتة. وقال الفرَّاء في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ . ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾: إنَّها النجومُ الخمسةُ؛ زُحلُ والمشتري والمرِّيخ والزُّهرةُ وعُطاردٌ؛ لأنها تُخنسُ في مجراها، وتَكنِسُ، أي: تَستَتِر كما تَكنِسُ الظِّباءُ في المَغَارِ، وهو الكِنَاس[٢]. ويقال: سمِّيتْ خُنَّساً لتأخُّرها؛ لأنَّها الكواكبُ المتحيِّرةُ التي تَرجعُ وتستقيم؛ يقال: خَنَس عنه يَخنُس ـ بالضَّم ـ خُنوساً: تأخَّر، وأخْنَسه غيرُه: إذا خلَّفه ومَضى عنه[٣]. والخَنَس: تَأخُّر الأنفِ عن الوجه مع ارتفاعٍ قليلٍ في الأرنبة، والرجلُ أخنَسُ، والمرأةُ خَنساءُ، والبقرُ كلُّها خُنسٌ.

وقد روي عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: «فلا أُقسِم بِالخُنس»: هي بقرُ الوحش؛ روى هُشَيم عن زكريا، عن أبي إسحاقَ، عن أبي ميسرةَ عمرو بنِ شُرحبيل قال: قال لي عبد الله بنُ مسعود: إنكم قومٌ عربٌ، فما الخنَّس؟ قلت: هي بقرُ الوَحشِ، قال: وأنا أرى ذلك[٤]. وقاله إبراهيم وجابر بنُ عبد الله[٥]. وروي عن ابن عباس: إنَّما أقسمَ الله ببقرِ الوحش[٦]. وروى عنه عِكرمة قال: «الخُنَّسُ»: البقرُ، و«الكُنَّس»: هي الظِّباء[٧]، فهي خُنَّسٌ؛ إذا رأينَ الإنسان خَنَسنَ وانقبضنَ وتأخَّرنْ ودَخَلنَ كِناسَهنَّ.

---

(١) في (م): تخنس نهاراً، وفي الصحاح (خنس): تختفي بالنهار، والمثبت من النسخ الخطية، وهو موافق لما في مختار الصحاح.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٤٥، ونقله المصنف عنه بواسطة الجوهري في الصحاح (خنس).

(٣) في مختار الصحاح: وخنس يكون متعدياً ولازماً... وبعضهم لا يجعله متعدياً إلا بالألف، فيقول: أخنسه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٥١، والطبري ٢٤/ ١٥٤-١٥٥.

(٥) أخرجه عن إبراهيم الطبري ٢٤/ ١٥٦-١٥٧، ولم نقف عليه عن جابر بن عبد الله.

(٦) أخرجه أبو داود الطيالسي، كما في تفسير ابن كثير، بلفظ: «الجواري الكنس» قال: البقر الوحش تكنس إلى الظل.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٤٧٣، وفيه: المعز، بدل: البقر.

القشيريُّ: وقيل على هذا: «الخُنْس» من الخنَس في الأنف، وهو تأخُّر الأرنبةِ وقصَرُ القَصَبةِ، وأنوفُ البقرِ والظِّباءِ خنسٌ، والأصلُ[1] الحملُ على النجوم، لذِكرِ الليلِ والصُّبحِ بعد هذا، فذِكرُ النجومِ أَليَقُ بذلك.

قلت: لله أن يقسمَ بما شاء مِن مخلوقاته من حيوان وجماد، وإن لم يُعلَم وَجهُ الحكمةِ في ذلك. وقد جاء عن ابن مسعود وجابر بنِ عبد الله ـ وهما صحابيَّان ـ والنخعيّ: أنَّها بقرُ الوحش. وعن ابن عباس وسعيد بن جُبير: أنها الظِّباء[2]. وعن الحجاج بن منذر قال: سألتُ جابر بنَ زيد عن الجواري الكنَّس، فقال: الظِّباءُ والبقر[3]. فلا يَبْعُدُ أن يكون المرادُ النجوم.

وقد قيل: إنَّها الملائكة؛ حكاه الماورديُّ[4]. والكنَّس الغُيَّب؛ مأخوذةٌ من الكِناس، وهو كِناسُ الوحشِ الذي يختفي فيه. قال أوس بن حَجَر:

أَلَـمْ تَـر أنَّ الـلـه أنـزلَ مُـزْنَـةً وعُـفْـرُ الـظـبـاءِ فـي الـكِـنـاسِ تَـقَـمَّعُ[5]

وقال طَرَفة:

كـأنَّ كِـنـاسَـيْ ضـالَـةٍ يَـكْـنُـفـانِـهـا وأَطْـرَ قِـسِـيٍّ تـحـتَ صُـلْـبٍ مُـؤيَّـدِ[6]

---

(١) في (م): والأصح.

(٢) أخرجه عنهما الطبري ٢٤/ ١٥٧ .

(٣) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير ٢/ ٣٧٤ ، والطبري ٢٤/ ١٥٥ .

(٤) في النكت والعيون ٦/ ٢١٥ و٢١٦ .

(٥) ديوان أوس بن حجر ص٥٧ ، والمعاني الكبير ٢/ ٦٠٥ ، وسلف ١٧/ ٢٩١ . قال ابن قتيبة: تَقَمَّع: تطرد عنها القمعة، وهو ذباب أزرق، يقول: خصَّه الله بهذه المزنة في غير وقت مطر، في الحر، والذباب لم يَخِفَّ ولم يذهب.

(٦) ديوان طرفة ص٢٥ ، الكناس: بيت يتخذه الوحش في أصل شجرة. والضَّالُ: ضَرْبٌ من الشجر، وهو السِّدر البري، الواحدة ضالَة. كنفت الشيء: صرت في ناحيته، والكنف الناحية. والأطر: العَطْف، ومُنحنَى القوس. والمؤيَّد: المقوَّى. شبَّه إبطي الناقة في السَّعة ببيتين من بيوت الوحش في أصل شجرة، وشبَّه أضلاعها بقِسِيٍّ معطوفة وسعةُ الإبط أبْعَدُ لها من العِثَار؛ لذلك مَدحها بها. شرح المعلقات للزوزني في ص٥١ .

وقيل: الكُنوسُ: أنْ تأويَ إلى مَكانسها، وهي المواضعُ التي تأوي إليها الوحشُ والظِّباء.

قال الأعشى:

فلمَّا أتينا الحيَّ أتلَعَ أُنَّسٌ كما أتلَعَتْ تحتَ المكانِسِ رَبْرَبُ[١]

يقال: تَلَع النهار: ارتفع، وأتْلَعتِ الظَّبيةُ من كِناسها، أي: سَمَتْ بجيدِها. وقال امرُؤ القيس:

تَعَشَّى قليلاً ثم أنْحى ظُلُوفَه يثِيرُ الترابَ عن مَبيتٍ ومَكنِسِ[٢]

والكُنَّس: جمعُ كانِس وكانِسةٍ، وكذا الخُنَّسُ جمعُ خانِسٍ وخانِسةٍ. والجواري: جمعُ جاريةٍ، مِن جَرى يَجري.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ قال الفرَّاء: أجمعَ المفسِّرون على أنَّ معنى عَسْعَسَ: أدبَر ـ حكاه الجوهريُّ ـ وقال بعضُ أصحابنا: إنه [إذا] دنا من أوَّله وأظْلَم، وكذلك السَّحابُ إذا دنا من الأرض[٣].

المهدويُّ: «والليل إذا عَسْعَسَ»: أدْبَرَ بظَلامِه؛ عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما[٤]. وروي عنهما أيضاً وعن الحسن وغيره: أقبلَ بظلامه[٥]. زيد بن أسلَم: «عسعسَ»: ذهب[٦].

---

(١) ديوان الأعشى ص١١ (طبعة دار صادر) برواية: فلما ادَّرَكْتُ. وهو في تفسير الطبري ٢٤/ ١٥٨ برواية: فلما لحقنا. قوله: أتلع، يقال: أتلع رأسه، أي: أطلعه فنظر. والربرب: القطيع من بقر الوحش، وقيل: من الظباء، ولا واحد له. اللسان (ربب) و(تلع).

(٢) ديوان امرئ القيس ص١٠٢ . قال الشارح: قوله: تعشى، أي: دخل في العشاء، وهو أول الليل، كأنه قال: أمسى قليلاً ثم أنحى ظلوفه، أي: اعتمد بأظلافه يحفر مربضاً يبيت فيه ويكنس.

(٣) الصحاح (عسس)، وما سلف بين حاصرتين منه وكلام الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٤٢ .

(٤) تفسير الطبري ٢٤/ ١٥٩-١٦٠ .

(٥) تفسير الطبري ٢٤/ ١٦٠ و١٦١ عن مجاهد والحسن. وأخرجه عن ابن عباس عبد الرزاق ٢/ ٣٥٢ ، وابن الأنباري في الأضداد ص٣٣ .

(٦) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٦١ .

الفراء: العربُ تقول: عَسْعَسَ الليلُ وسَعْسَع: إذا لم يَبْقَ منه إلّا اليسيرُ[١].

الخليلُ وغيرُه: عَسْعَسَ الليلُ: إذا أقبلَ أو أدْبَر. المبرِّد: هو من الأضداد، والمعنيان يرجعان إلى شيءٍ واحدٍ، وهو ابتداءُ الظلامِ في أوَّله، وإدبارُه في آخره[٢]؛ وقال علقمةُ بنُ قُرْطٍ:

حتى إذا الصبحُ لها تَنفَّسا وانْجابَ عنها ليلُها وعَسْعَسا[٣]

وقال رُؤبة:

يا هندُ ما أَسْرعَ ما تَسَعْسَعا مِن بَعدِ ما كان فَتًى سَرَعرَعَا[٤]

وهذه حجةُ الفرَّاء. وقال امرؤُ القيس:

عَسْعَسَ حتى لو يشاءُ ادَّنا كان لنا مِن نارِهِ مَقبِسُ[٥]

فهذا يدلُّ على الدنوّ.

وقال الحسن ومجاهدٌ: عَسْعَسَ: أظلَم؛ قال الشاعر:

حتى إذا ما ليلُهنَّ عَسْعَسَا رَكِبْنَ مِن حدِّ الظلامِ حِنْدِسَا[٦]

---

(١) ذكره البغوي ٤/ ٤٥٣ دون نسبة، ولم نقف عليه في معاني القرآن للفراء.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٩٢ ، وتهذيب اللغة ١/ ٧٩ .

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٢٨٨ ، وتفسير الطبري ٢٤/ ٢٣٨ ، والأضداد لابن السكيت ص١٦٧ ، والأضداد لابن الأنباري ص٣٣ ، والأزمنة والأمكنة ١/ ٣٢٥ .

(٤) الأول في الديوان ص٨٨ ، والبيتان في العين ١/ ٧٥ . قوله: سرعرعاً، أي: شابًا قويًا، كما ذكر صاحب العين. وتسعسع الرجل، أي: كَبِر حتى هرم وولى. الصحاح (سعسع).

(٥) كذا ذكره ابن الأنباري عن امرئ القيس ضمن خبر أخرجه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، وقد ذُكر البيت في ملحقات ديوان امرئ القيس ص٤٦٣ عن ابن الأنباري. وذكر الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٤٢ : أن أبا البلاد النحوي كان ينشد هذا البيت، قال: وكانوا يرون أن هذا البيت مصنوع، وذكر في شرحه: أن معناه: لو يشاء إذ دنا، فتركت همزة إذ، وأبدلوا من الذال دالاً، وأدغموها في الدال التي بعدها.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٢١٧ ، وأنشده ابن الأنباري في الأضداد ص٣٤ برواية:

حتى إذا الليل عليها عسعسا وادَّرعت منه بهيماً حِندساً

قال ابن الأنباري: الحندس: الشديد السواد، والبهيم: الذي لا يخالط لونَه لونٌ آخر.

الماورديُّ: وأصلُ العسِّ: الامتلاءُ، ومنه قيل للقدح الكبير: عُسٌّ؛ لامتلائه بما فيه، فانْطَلَق على إقبال الليل لابتداءِ امتلائه، وانطلق على إدباره لانتهاءِ امتلائه، وانطلق على ظلامه لاستكمال امتلائه(١). وأمَّا قولُ امرئ القيس:

أَلِمَّا على الرَّبْعِ القديم بِعَسْعَسَا(٢)

فموضعٌ بالبادية، وعسعسٌ أيضاً اسمُ رجلٍ؛ قال الراجز:

وعَسْعَسٌ نِعمَ الفتى تَبَيَّاهُ(٣)

أي: تَعْتَمِدُه. ويقال للذئب: العَسْعَسُ والعَسعاسُ والعَسَّاس؛ لأنه يَعُسُّ بالليل ويَطلبُ. ويقال للقنادفذ: العَسَاعِسُ؛ لكَثْرةِ تَردُّدِها بالليل. قال أبو عمرو: والتَّعَسْعُس: الشمُّ، وأنشد:

كَمَنْخَرِ الذِّئبِ إذا تَعَسْعَسَا(٤)

والتَّعَسْعُس أيضاً: طَلَبُ الصيدِ [بالليل].

قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي: امتدَّ حتى يصيرَ نهاراً واضحاً؛ يقال للنهار إذا زاد: تنفَّس. وكذلك الموجُ إذا نَضحَ الماءَ. ومعنى التنفُّسِ: خروجُ النسيمِ من الجَوْف.

وقيل: «إذا تنفَّس»، أي: انشقَّ وانفَلَقَ، ومنه: تَنفَّستِ القوسُ(٥)، أي: تَصَدَّعتْ.

---

(١) في النكت والعيون ٦/ ٢١٧ ، وليس في مطبوعه: وانطلق على إدباره لانتهاء امتلائه.

(٢) ديوان امرئ القيس ص١٠٥ ، وعجزه: كأني أنادي أو أكلِّم أخرسا. قال شارح الديوان: يقول لصاحبيه: ألمَّا على الرَّبْع، أي: انزلا عليه مساعدة لي حتى أسأله عن أهله، ثم أخبر أنه ناداه فلم يُجبْه.

(٣) البيت لرويشد الأسدي كما في التاج (بيي)، وهو دون نسبة في أدب الكاتب ص٤٥ ، والصحاح (عسس)، والاقتضاب ص٣٠٩ ، وذكر البطليوسي قبله: منَّا يزيد وأبو مُحيَّاهْ.

(٤) الصحاح (عسس)، وما سيأتي بين حاصرتين منه.

(٥) في النسخ: تنفست القوس والنفوس، والمثبت من تهذيب اللغة ١٣/ ١٠ والصحاح (نفس) واللباب ٢٠/ ١٨٨ ، وفتح القدير ٦/ ٣٩١ . واللسان (نفس).

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ هذا جوابُ القَسَم. والرسولُ الكريم: جبريل؛ قاله الحسنُ وقتادةُ والضحاك[١]. والمعنى: «إنه لقولُ رسولٍ» عن الله، «كريمٍ» على الله. وأضاف الكلام إلى جبريلَ عليه السلام، ثم عدَّاه عنه بقوله: «تنزيلٌ مِن ربِّ العالَمِين» ليعلم أهلُ التحقيق في التصديق، أنَّ الكلام للهِ عزَّ وجلَّ.

وقيل: هو محمدٌ عليه الصلاة والسلام[٢] ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾: مَن جعَله جبريلَ فقوَّتُه ظاهرةٌ، فروى الضحاكُ عن ابن عباس قال: مِن قوَّته قَلْعُه مَدائنَ قومِ لُوطٍ بقوادمِ جناحه[٣].

﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ أي: عند الله جلَّ ثناؤه ﴿مَكِينٍ﴾ أي: ذي منزلةٍ ومكانةٍ، فرُوي عن أبي صالح قال: يدخلُ سبعين سُرادِقاً بغيرِ إذنٍ[٤].

﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾ أي: في السماوات؛ قال ابن عباس: من طاعةِ الملائكةِ جبريلَ، أنه لمَّا أسرِيَ برسول الله ﷺ قال جبريل عليه السلام لرضوان خازِنِ الجِنَان: افتح له، ففتح، فدخل ورأى ما فيها، وقال لمالكٍ خازِنِ النار: افتح له جهنَّم حتى ينظرَ إليها، فأطاعه وفتح له[٥].

﴿أَمِينٍ﴾ أي: مؤتَمن على الوحي الذي يجيءُ به.

ومَن قال: إنَّ المرادَ محمدٌ ﷺ، فالمعنى: «ذي قوةٍ» على تبليغ الرسالة[٦]، «مُطاعٍ» أي: يطيعُه مَن أطاع الله جلّ وعزّ.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ يعني محمداً ﷺ، ليس بمجنون حتى يُتَّهم في قوله. وهو من

---

(١) النكت والعيون ٦/٢١٨، وأخرجه عن قتادة عبد الرزاق ٢/٣٥٢، والطبري ٢٤/١٦٣.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/٢١٨ عن ابن عيسى.

(٣) سلف ٢٠/١٢ عن الكلبي، ولم نقف عليه عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/١٦٤، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٩/٤٣، كلاهما في تفسير قوله تعالى: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ ولفظه: أمين على أن يدخل سبعين سرادقاً من نور بغير إذن.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٩/٤٣ دون نسبة.

(٦) في (د) و(ظ): الوحي.

جواب القَسَم.

وقيل: أراد النبيُّ ﷺ أن يرى جبريلَ في الصورة التي يكونُ بها عند ربِّه جلَّ وعزَّ، فقال: ما ذاك إليَّ؛ فأذِنَ له الربُّ جلَّ ثناؤه، فأتاه وقد سَدَّ الأُفقَ، فلمَّا نظرَ إليه النبيُّ ﷺ خرَّ مَغشيًّا عليه، فقال المشركون: إنَّه مجنون، فنزلت: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾[1] وإنَّما رأى جبريلَ على صورته فهابَه، وورد عليه ما لم تَحْتَمِلْ بِنيتُه، فخرَّ مَغشيًّا عليه.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ أي: رأى جبريلَ في صورته، له ستُّ مئة جناحٍ[2]. «بِالأفقِ المُبينِ» أي: بمطلع الشمس من قِبَلِ المَشرِق؛ لأنَّ هذا الأفقَ إذا كان منه تطلعُ الشمسُ فهو مُبين. أي: من جهته تُرَى الأشياء.

وقيل: الأفقُ المبينُ: أقطارُ السماءِ ونواحيها؛ قال الشاعر:

أخَذْنا بِآفاقِ السماءِ عليكُمُ   لنا قَمراها والنجومُ الطَّوالِعُ[3]

الماورديُّ: فَعلَى هذا فيه ثلاثةُ أقاويلَ؛ أحدُها: أنه رآه في أفقِ السماءِ الشرقيِّ؛ قاله سفيان. الثاني: في أفق السماء الغربيِّ، حكاه ابن شجرة. الثالث: أنه رآه نَحوَ أجياد، وهو مَشرقُ مكةَ؛ قاله مجاهد[4].

وحكى الثعلبيُّ عن ابن عباس: قال النبيُّ ﷺ لجبريلَ: «إنِّي أحبُّ أن أراكَ في

---

(١) لم نقف عليه بهذا السياق، وسيأتي خبر رؤية النبي ﷺ لجبريل في صورته التي يكون فيها في السماء.

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٦٦-١٦٧ عن أبي الأحوص، وأخرج عبد الرزاق ٢/ ٣٥٢ عن ابن مسعود ﷺ قال: رأى جبريل له خمس مئة جناح قد سدَّ الأفق.

(٣) البيت للفرزدق، وهو في الكامل للمبرد ١/ ١٨٧ ، وطبقات فحول الشعراء ١/ ١٨٠ ، والخزانة ٩/ ١١٤ . قوله: قمراها، قال المبرد: يريد الشمس والقمر.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢١٨-٢١٩ ، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٤/ ١٦٦ .

صورتك التي تكونُ فيها في السماء» قال: لن تقدرَ على ذلك. قال: «بلى» قال: فأين تشاءُ أن أتخيَّل لك؟ قال: «بالأبطح» قال: لا يَسعُني. قال: «فبمِنًى» قال: لا يسعني. قال: «فبعرفات» قال: ذلك بالحريِّ أن يَسعني. فَواعَدَه، فخرج النبيُّ ﷺ للوقت، فإذا هو قد أقبلَ بخَشْخَشةٍ وكَلْكلةٍ من جبال عَرفات، قد ملأ ما بينَ المشرقِ والمغرب، ورأسُه في السماء ورجلاه في الأرض، فلمَّا رآه النبيُّ ﷺ خرَّ مغشيًّا عليه، فتحوَّل جبريلُ في صورته، وضمَّه إلى صدره. وقال: يا محمدُ لا تَخَفْ، فكيف لو رأيتَ إسرافيلَ، ورأسُه من تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة، وإنَّ العرش على كاهله، وإنه ليتضاءلُ أحياناً من خشية الله، حتى يصير مثل الوَصَع ـ يعني العصفور ـ حتى ما يحملُ عرشَ ربِّك إلَّا عظمتُه[(١)].

وقيل: إنَّ محمداً عليه الصلاة والسلام رأى ربَّه عزَّ وجلَّ بالأفق المبين. وهو معنى قولِ ابنِ مسعود[(٢)]. وقد مضى القولُ في هذا في «والنَّجْمِ» مستوفًى[(٣)]، فتأمَّلْه هناك.

وفي «المبين» قولان: أحدُهما أنه صفةُ الأفقِ؛ قاله الربيع. الثاني: أنه صفةٌ لمن رآه؛ قاله مجاهد.

﴿وما هو على الغيب بِظَنينٍ﴾ بالظاء، قراءةُ ابنِ كثير وأبي عمرو والكسائيِّ[(٤)]، أي: بمتَّهم، والظِّنَّة: التُّهمة؛ قال الشاعر:

أَمَا وكتابِ اللهِ لا عن شَناءةٍ ... هُجِرتُ ولكنَّ الظَّنِينَ ظَنينُ[(٥)]

---

(١) أخرجه البغوي في التفسير ٤/ ٤٥٤ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢١٨ .

(٣) ٢٠/ ٢١ وما بعد، وقول ابن مسعود هناك هو أن الذي رآه رسول الله ﷺ هو جبريل، وقد ذكر المصنف ٨/ ٤٨٣-٤٨٤ عن ابن مسعود القولين؛ الأول: أنه إنما رأى جبريل. والثاني: ذكره عن بعض المتكلمين عن ابن مسعود أن محمداً ﷺ رأى ربه. ثم قال: والأول عنه أشهر.

(٤) السبعة ص٦٧٣ ، والتيسير ص٢٢٠ .

(٥) البيت لعبد الرحمن بن حسان، كما في الكامل ١/ ٢٣ ، وتهذيب اللغة ١٤/ ٣٦٤ ، ونسبه ابن بري =

واختاره أبو عُبيد؛ لأنهم لم يُبَخِّلوه ولكن كذَّبوه؛ ولأنَّ الأكثر من كلام العرب: ما هو بكذا، ولا يقولون: ما هو على كذا، إنَّما يقولون: ما أنت على هذا بمتَّهم.

وقرأ الباقون: «بِضَنِينٍ» بالضاد: أي: ببخيل؛ من ضَنِنْتُ بالشيء أضِنُّ ضِنًّا. فروى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال: لا يَضنُّ عليكم بما يَعلَم[١]، بل يُعَلِّم الخَلقَ كلامَ اللهِ وأحكامَه. وقال الشاعر:

أجُودُ بمكنونِ الحديث وإنَّني ... بِسِرِّكِ عمَّن سالَني لضَنِينٍ[٢]

والغَيْب: القرآنُ وخبرُ السماء. ثم هذا صفةُ محمدٍ عليه الصلاة والسلام. وقيل: صفةُ جبريلَ عليه السلام.

وقيل: بظَنين: بضعيف. حكاه الفرَّاء والمبرِّد؛ يقال: رجلٌ ظَنينٌ[٣]، أي: ضعيفٌ. وبئر ظَنونٌ: إذا كانت قليلةَ الماء؛ قال الأعشى:

ما جُعِل الجُدُّ الظَّنونُ الذي ... جُنِّبَ صَوبَ اللَّجِبِ الماطِرِ

مِثلَ الفُراتيِّ إذا ما طما ... يَقذِفُ بالبُوصِيِّ والماهِرِ[٤]

والظَّنونُ: الدَّينُ الذي لا يُدْرَى أيقْضِيه آخِذُه أم لا؟ ومنه حديثُ عليٍّ عليه السلامُ في الرجل يكون له الدَّينُ الظَّنون، قال: يزكِّيه لِمَا مضى إذا قَبَضَه إن كان صادقاً[٥].

= لنَهار بن تَوسِعة، كما في اللسان (ظنن). ووقع في هذه المصادر: جناية، بدل: شناءة. والشناءة: أشدُّ البغض. المعجم الوسيط (شنأ).

(١) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٦٨ .

(٢) البيت لقيس بن الخطيم، كما في أمالي القالي ٢/ ١٧٧ ، وفيه: أجود بمكنون التلاد...، وذكره أيضاً القالي في الأمالي ٢/ ٢٠٢ ، وابن عبد البر في بهجة المجالس ١/ ٤٦٠ برواية: أجود بمضنون التلاد. والتلاد: ما ولد عندك من مالك أو نتج. القاموس (تلد).

(٣) في معاني القرآن للفراء: ظنون، وكذا نقل عنه الطبري ٢٤/ ١٧٠ ، والأزهري في تهذيب اللغة ١٤/ ٣٦٣ .

(٤) ديوان الأعشى ص١٩١ ، واللسان (مهر)، وفيه: الجُدُّ: البئر، والفراتي: الماء المنسوب إلى الفرات. وطما: ارتفع. والبوصي: الملاح. والماهر: السابح. قال شارح الديوان: أي: ليس البئر القليل الماء قد جانَبه السيل الزاخر، مثلَ الفرات إذا جاش بالماء يقذف بالسَّفين وبالسبَّاح.

(٥) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث ٣/ ٤٦٤ ، وأحمد كما في مسائل ابنه عبد الله ٢/ ٥٣٢ .

والظَّنون: الرجلُ السيِّئُ الخُلُقِ[١]؛ فهو لفظٌ مُشترَكٌ.

﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ أي: مرجومٍ ملعونٍ، كما قالت قريش. قال عطاءٌ: يريدُ بالشيطان الأبيضَ الذي كان يأتي النبيَّ ﷺ في صورةِ جبريلَ يريدُ أنْ يَفْتِنَه.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ قال قتادةُ: فإلى أين تَعدِلون عن هذا القول وعن طاعته؟ كذا رَوَى مَعمر عن قتادة[٢]، أي: أين تذهبون عن كتابي وطاعتي؟

وقال الزجَّاج[٣]: فأيَّ طريقةٍ تَسلُكون أبينَ من هذه الطريقةِ التي بيّنت لكم؟ ويقال: أين تذهبُ؟ وإلى أين تذهبُ؟ وحَكَى الفرَّاء[٤] عن العرب: ذهبتُ الشامَ وخرجتُ العراقَ وانطلقتُ السوقَ، أي: إليها. قال: سمعناه في هذه الأحرفِ الثلاثة، وأنشدني بعضُ بني عقيل:

تَصِيحُ بنا حَنِيفةُ إذْ رَأتْنا ... وأيَّ الأرضِ تَذْهبُ بالصِّياحِ[٥]

يريد: إلى أيِّ أرضٍ تذهبُ، فحذف إلى. وقال الجنيد: معنى الآيةِ مقرونٌ[٦] بآيةٍ أخرى، وهي قولُه تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: ٢١] المعنى: أيَّ طريقٍ تسلُكون أبينَ من الطريق الذي بينه الله لكم. وهذا معنى قولِ الزجَّاج.

---

(١) في المعاجم: الظنون: الرجل السيء الظن. زاد الأزهري عن الليث، والظنون: الرجل القليل الخير. تهذيب اللغة ٤/ ٣٦٣ .

(٢) أخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ١٧١ من طريق سعيد عن قتادة، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢١٩ .

(٣) في معاني القرآن ٥/ ٢٩٣ .

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٢٤٣ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٤٣ ، وإصلاح المنطق ص٩٩ ، وفيهما: تذهب للصياح. والبيت كما قال السيرافي في شرح أبيات إصلاح المنطق ص٢٤٨ لعتي بن مالك العقيلي من قصيدة قالها في يوم الفَلَج، وهو يوم كان بينهم وبين بني حنيفة. ومعناه: أنهم شجعان لا يبرحون مكاناً، إذا صيح بهم في الحرب ثبتوا.

(٦) في (د): معروف.

﴿إِنۡ هُوَ﴾ يعني القرآن ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: موعظةٌ وزَجرٌ. و«إنْ» بمعنى «ما». وقيل: ما محمدٌ إلاّ ذِكر. ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ أي: يتّبع الحقَّ ويُقيم عليه.

وقال أبو هريرةَ وسليمان بنُ موسى: لمَّا نزلتْ ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ قال أبو جهل: الأمرُ إلينا، إنْ شئنا استقَمْنا، وإنْ شئنا لم نَسْتَقِمْ ـ وهذا هو القَدَرُ، وهو رأسُ القَدَرية ـ فنزلت ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]، فبيَّن بهذا أنه لا يعملُ العبدُ خيراً إلَّا بتوفيقِ الله، ولا شرًّا إلَّا بخذلانه. وقال الحسن: والله ما شاءت العربُ الإسلامَ حتى شاءه الله لها.

وقال وهب بن مُنبِّه: قرأتُ في سبعةٍ وثمانين كتاباً ممَّا أنزلَ الله على الأنبياء: مَن جعل إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كَفَر[2]. وفي التنزيل: ﴿وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٠٠]. وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [القصص: ٥٦] والآيُ في هذا كثير، وكذلك الأخبارُ، وأنَّ الله سبحانه هَدَى بالإسلام، وأضلَّ بالكفر، كما تقدَّم في غيرِ موضعٍ.

خُتمت السورة والحمد لله.

---

(١) أخرجه الطبري ٢٤/ ١٧٣ عن سليمان بن موسى، وأخرجه عن أبي هريرة ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر المنثور ٦/ ٣٢٢.

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١١٧٠) و(١٢٥٨)، وأبو نعيم في الحلية ٤/ ٢٤، وفيه: قرأت نيِّفاً وتسعين كتاباً...

سُورَةُ التَّكۡوِيرِ

مكيَّةٌ، وآيُها تسعٌ وعِشرونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾: لُفَّتْ، مِن كوَّرْتُ العِمامةَ: إذا لفَفْتَها، بمعنَى رُفِعَت؛ لأنَّ الثَّوبَ إذا أريدَ رَفعُهُ لُفَّ.

أو: لُفَّ ضَوْؤُها فذهبَ انبساطُه في الآفاقِ وزالَ أثرُهُ.

أو: أُلقِيَت عَن فَلَكِها؛ مِن طَعَنَهُ فكوَّرَه: إذا ألقاهُ مُجتَمِعًا، والتَّركيبُ للإدارةِ والجمعِ.

وارتفاعُ ﴿ٱلشَّمۡسُ﴾ بفعلٍ يفسِّرُه ما بعدَها أَوْلَى؛ لأنَّ (إذا) الشَّرطيَّةَ تَطلُبُ الفِعلَ.

(٢) ـ ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾: انقضَّتْ، قال:

أَبصَـرَ خِرْبَـانَ فَضَـاءٍ فَانْكَـدَرْ[1]

---

(١) الرجز للعجاج، انظر: «ديوانه» (ص: ٨٣)، و«الأزمنة وتلبية الجاهلية» لقطرب (ص: ٣٠)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٧)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ١٣٢)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٤٢٣).

«خِربان»: جمعُ خَرَبٍ وهو ذكَرُ الحُبارى، «فانكدَر»؛ أي: فانقضَّ وسقطَ، والشِّعرُ للعجَّاجِ يمدحُ عمرَ بن معمَرٍ. انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (١٦/ ٣٠٥).

أو: أظلمَتْ؛ من: كدَّرْتُ الماءَ فانكدَرَ.

(٣) ـ ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ عن وجهِ الأرضِ أو في الجوِّ.

(٤) ـ ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾: النُّوقُ التي أتى على حَمْلِهنَّ عشرةُ أشهُرٍ، جمعُ عُشَرَاءَ ﴿عُطِّلَتْ﴾: تُرِكَتْ مُهملَةً، أو السَّحائِبُ عُطِّلَت عَن المطرِ، وقُرِئَ بالتَّخفيفِ[١].

(٥) ـ ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾: جُمِعَتْ مِن كُلِّ جانبٍ، أو بُعِثَتْ للقِصاصِ ثمَّ رُدَّتْ تُرابًا، أو أُميتَتْ، مِن قَولِهم: «إذا أَجْحَفَت السَّنَةُ بالنَّاسِ حَشَرَتْهُم»، وقُرِئَ بالتَّشديدِ[٢].

(٦) ـ ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾: أُحمِيَتْ، أو: مُلِئَت بتَفجيرِ بَعضِها إلى بعضٍ حتَّى تعودَ بحرًا واحدًا؛ من سجَّر التَّنورَ: إذا ملأَهُ بالحطبِ ليُحْمِيَهُ، وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو ورَوْحٌ بالتَّخفيفِ[٣].

(٧) ـ ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾: قُرِنَتْ بالأَبدانِ، أو: كلٌّ مِنها بشَكلِها، أو بكتابِها وعَمَلِها.

أو: نفوسُ المؤمنينَ بالحُورِ ونُفُوسُ الكافرينَ بالشَّياطينِ.

(٨ ـ ٩) ـ ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾: المدفونةُ حيَّةً ـ وكانت العربُ تَئِدُ البناتِ مخافةَ الإملاقِ أو لحوقِ العارِ بهم مِن أجلهنَّ ـ ﴿سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ تبكيتًا لوائِدِها، كتَبكيتِ النَّصارَى بقولِه تَعالى لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى﴾ [المائدة: ١١٦]، وقُرِئَ: (سَأَلَتْ)[٤]؛ أي: خاصمَتْ عَن نفسِها.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٩) عن ابن كثير، وهي خلاف المشهور عنه.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٩) عن عمرو بن ميمون.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٣)، و«التيسير» (ص: ٢٢٠)، و«النشر» (٢/ ٣٩٨).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٩) عن علي وابن مسعود وابن عباس رضي الله =

وإنما قيل: ﴿قُتِلَتْ﴾ على الإخبار عنها، وقُرِئَ: (قُتِلْتُ) على الحكايةِ[1].

(١٠) ـ ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ يعني: صُحفَ الأَعمالِ فإنَّها تُطوَى عندَ الموتِ وتُنشَرُ وقتَ الحسابِ.

وقيل: ﴿نُشِرَتْ﴾: فُرِّقَتْ بينَ أَصحابِها.

وقرأَ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو وحمزةُ والكِسائيُّ بالتَّشديدِ[2] للمُبالغَةِ في النَّشرِ، أو لكثرةِ الصُّحُفِ، أو شدَّةِ التَّطايُرِ.

(١١) ـ ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾: قُلِعَتْ وأُزِيلَتْ كما يُكشَطُ الإهابُ عَن الذَّبيحَةِ، وقُرِئَ: (قُشِطَتْ)[3]، واعتقابُ القافِ والكافِ كثيرٌ.

(١٢) ـ ﴿وإذا الجحيمُ سُعِرَتْ﴾: أُوقِدَتْ إيقادًا شديدًا، وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ بروايةِ ابنِ ذكوانَ وحَفصٌ ورُوَيسٌ بالتَّشديدِ[4].

(١٣) ـ ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾: قُرِّبَتْ مِن المُؤمنينَ.

= عنهم، وعن عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ.

(١) قرأ بها مَن قرأ (سألت). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٩) عن علي وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم، وعن عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ.

وعبارة الزمخشري (٩/ ٤٩٤): وإنَّما قِيل: ﴿قُتِلَتْ﴾ بناءً على أنَّ الكلامَ إخبارٌ عنها، ولَو حُكِيَ ما خُوطِبَتْ به حِين سُئِلَتْ لَقِيْلَ: «قُتِلْتِ» أو كلامُها حيْنَ سألَتْ لَقِيل: «قُتِلتُ»، وقرأ ابن عبَّاس: (قُتِلْتُ) على الحكايةِ.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٣).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤١)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٩) عن ابن مسعود.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٣)، و«التيسير» (ص: ٢٢٠)، و«النشر» (٢/ ٣٩٨).

(١٤) ـ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ جوابُ (إذا)، وإنَّما صَحَّ ـ والمذكورُ في سياقِها ثنتا عشرةَ خصلةً، ستٌّ منها في مبادئِ قيامِ السَّاعةِ قبلَ فَناءِ الدُّنيا، وسِتٌّ بعدَهُ ـ لأنَّ المرادَ زمانٌ مُتَّسِعٌ شامِلٌ لها ولِمُجازاةِ النُّفوسِ على أعمالِها، و﴿نَفْسٌ﴾ في مَعنى العُمومِ[١] كقولِهم: «تَمْرَةٌ خيرٌ مِن جرادَةٍ»[٢].

(١٥) ـ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾: بالكواكبِ الرَّواجعِ؛ مِن خَنَسَ: إذا تأخَّرَ، وهي ما سِوَى النَّيِّرَيْنِ مِن الكواكبِ السَّياراتِ، ولذلك وصفَهَا بقولِه:

(١٦) ـ ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾؛ أي: السَّيَّاراتِ التي تختفي تحتَ ضَوءِ الشَّمسِ؛ مِن كَنَسَ الوَحشيُّ: إذا دخلَ كِناسَهُ، وهو بيتُهُ المتَّخذُ[٣] مِن أغصانِ الشَّجرِ.

(١٧) ـ ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾: أقبلَ ظَلامُهُ أو أدبرَ، وهو مِن الأضدادِ، يقال: عَسْعَسَ الليلُ وسَعْسَعَ: إذا أدبرَ.

(١٨) ـ ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾؛ أي: أضاءَ، عبَّرَ بِهِ عن[٤] إقبالِ رَوْحٍ ونَسيمٍ.

(١٩ ـ ٢١) ـ ﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ القرآنَ ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يعني: جبريلَ؛ فإنَّه قالَه عَن اللهِ تَعالى ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ كقولِه: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥]، ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾:

---

(١) في نسخة الفاروقي: «نفوس».

(٢) قالَه ابنُ عمرَ لبعضِ أهلِ الشّامِ، وقد سألَه عن المُحرِمِ إذا قتلَ جرادةً، أيتصَدَّقُ بتمرةٍ فديةً لها؟ فقالَ ذلكَ؛ يعني: لا يلزمُه شيءٌ، وهي هنا عامّةٌ في الإثباتِ، ولذا ساغَ الابتداءُ بها. قاله الشهاب.

(٣) في نسخة الفاروقي: «وهو بيت متخذ».

(٤) قوله: «أضاء غبرته عند» هو استعارة بتشبيه أجزاء الظلام مع الفجر لاختلاطه بالنور بغبار مرتفع في الجو، وقد وقع في هذا الموضع اختلاف في النسخ حكاه أصحاب الحواشي، ففي بعضها: «غرّته» أي: أوله؛ من غرة الفرس، بعضها: «عبر به عن»، وهو الظاهر في السياق، كما في «حاشية الخفاجي» و«حاشية ابن التمجيد»: (٢٠/ ١٢٠).

عــندَ اللهِ ذي مكانــةٍ ﴿مُّطَاعٍ﴾ فـي ملائكَتِـه ﴿ثَمَّ أَمِينٍ﴾ على الوَحـيِ، و﴿ثَمَّ﴾ يحتملُ اتِّصالَـهُ بمـا قبلَهُ ومـا بعدَهُ.

وقُرِئَ: (ثُمَّ)(١) تعظيمًا للأمانةِ وتفضيلًا لها على سائرِ الصِّفاتِ.

(٢٢) ـ ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ كمـا تَبْهَتُـه الكَفَـرةُ، واسـتُدِلَّ بذلـك على فَضلِ جبريـلَ علـى محمَّدٍ عليهِمَا السَّـلامُ حيـثُ عَدَّ فضائِـلَ جبرئيلَ، واقتصـرَ على نفيِ الجُنـونِ عَـن النَّبـيِّ ﷺ، وهو ضعيـفٌ؛ إذ المقصـودُ مِنْهُ نفـيُ قولهم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣] ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ [سبأ: ٨]، لا تعـدادُ فضلِهِمَـا والموازنـةُ بينَهُمَا.

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾: ولقد رأى رسولُ اللهِ جبريلَ ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾: بمطلعِ الشَّمسِ الأعلى ﴿وَمَا هُوَ﴾: وما مُحمَّدٌ ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾: على ما يخبرُهُ مِن الوَحيِ إليهِ وغيرِه مِن الغيوبِ، ﴿بظنينٍ﴾ بمُتَّهَمٍ؛ مِن الظِّنَّةِ وهي التُّهَمَةُ، وقرأَ نافعٌ وعاصِمٌ وحمزَةُ وابنُ عامرٍ بالضَّادِ: ﴿بِضَنِينٍ﴾(٢) مِن الضَّنِّ وهو البخلُ؛ أي: لا يبخلُ بالتَّبليغِ والتَّعليمِ، والضَّادُ مِن أصلِ حافةِ اللسانِ وما يليها مِن الأضراسِ مِن يمينِ اللسانِ أو يسارِهِ، والظَّاءُ مِن طرفِ اللسانِ وأُصُولِ الثَّنايَا العُلْيَا.

(٢٥) ـ ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ بقولِ بعضِ المُسترِقَةِ للسَّمعِ، وهو نفيٌ لقَوْلِهم: إنَّه لَكهانةٌ وسِحْرٌ.

(٢٦) ـ ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ استِضلالٌ لَهُم فيما يسلكونَهُ في أمرِ الرَّسُولِ والقرآنِ، كقولك لتاركِ الجادَّةِ: أينَ تذهَبُ؟

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٩) عن أبي حيوة.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٣)، و«التيسير» (ص: ٢٢٠).

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: تذكيرٌ لِمَن يعلَمُ ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ بتحرِّي الحقِّ وملازمَةِ الصَّوابِ، وإبدالُه مِن (العالمين)؛ لأنَّهم المنتفِعونَ بالتَّذكيرِ.

(٢٩) ـ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ الاستقامةَ يا مَن يَشاؤُها ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: إلا وقتَ أَنْ يشاءَ مَشيئتَكُم، فلَهُ الفَضلُ والحقُّ عليكم باستقامَتِكُم ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مالكُ الخلقِ كلِّهِ.

قال عليهِ السَّلامُ: «مَن قرَأَ سُورةَ التَّكويرِ أعاذَهُ اللهُ أَنْ يفضحَهُ حينَ تنشرُ صَحِيفَتُه»[١].

***

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٤١٤)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٢٢)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. انظر: «الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

سورة التكوير[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤ ﴾.

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها في غاية الظهور. «كورت» قال ابن عباس: أدخلت في العرش.

و﴿ ٱنكَدَرَتْ ﴾ قال ابن عباس: تساقطت.

و﴿ سُيِّرَتْ ﴾ أي: في الجو تسيير السحاب.

﴿ ٱلْعِشَارُ ﴾ أنفس ما عند العرب من المال وتعطيلها: تركها مسيّبة مهملة.

﴿ حُشِرَتْ ﴾ أي: جمعت من كل ناحية. قال ابن عباس: جمعت بالموت فلا تبعث ولا تحضر يوم القيامة.

---

(١) مكية وآياتها تسع وعشرون.

و﴿سُجِّرَتْ﴾ تقدم الكلام عليه في الطور[١].

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ أي: المؤمن مع المؤمن والكافر مع الكافر كقوله ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧﴾ [الواقعة].

و﴿ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ البنت. ووَأْدها: دفنها في التراب كقوله ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۝٥٩﴾ [النحل]. ﴿سُئِلَتْ﴾ هذا السؤال لتوبيخ الفاعلين للوأد، لأن سؤالها يؤدي إلى سؤال الفاعلين. وجاء ﴿قُتِلَتْ﴾ بناء على أن الكلام إخبار عنها، ولو حكى ما خوطبت به حين سئلت لقيل: قُتِلْتِ.

والصحف المنشورة: صحف الأعمال، كانت مطوية على الأعمال، فنشرت يوم القيامة ليقرأ كل إنسان كتابه.

وكَشْطُ السماء: طيُّها كطيّ السجل. ﴿سُعِّرَتْ﴾ أُضرمت. ﴿أُزْلِفَتْ﴾ قُرِّبت.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ من خير تدخل به الجنة، أو شرّ تدخل به النار.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾.

﴿بِٱلْخُنَّسِ﴾ قال الجمهور: الدراري السبعة: الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والزهرة والمشتري، تجري الخمسة مع الشمس والقمر، وترجع

(١) انظر تفسير الآية ٦ من الطور.

حتى تخفى مع ضوء الشمس. فخنوسها رجوعها، وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس.

﴿عَسْعَسَ﴾ أقسم بإقباله وإدباره وتنفّسه، كونه يجيء معه روح ونسيم، فكأنه نَفَس له على المجاز.

﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن. ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ الجمهور على أنه جبريل عليه السلام. ووصفه بـ[الكريم] يقتضي[١] نفي المذامّ كلّها وإثبات صفة المدح اللائقة به.

﴿ثَمَّ﴾ إشارة إلى «قوة عند ذي العرش» أي: أنه مطاع في ملائكته [٥٧٣/أ] المقرّبين، يصدرون عن أمره. «أمين» مقبول القول يُصدَّق فيما يقوله، مؤتمن على ما يُرسَل به من [وحي وامتثال أمر.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ نفى عنه ما كانوا ينسبون إليه ويبهتونه به من] الجنون.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ أي: رأى الرسول جبريل. والأفق: الناحية من السماء القريبة[٢].

﴿بِضَنِينٍ﴾ من قرأ بالظاء، أي: بمتّهم. ومن قرأ بالضاد معناه: ببخيل.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ أي: الذي يتراءى له إنما هو ملك لا مثل الذي يتراءى للكهّان.

(١) ق: وصفه تقتضي.

(٢) ق: العربية.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ استضلال لهم حيث نسبوه مرة إلى الجنون، ومرة إلى الكهانة، ومرة إلى غير ذلك ممّا هو بريء منه.

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: القرآن. ﴿ذِكْرٌ﴾ تذكرة وعظة. ﴿لِمَن شَآءَ﴾ بدل من «للعالمين».

ثم عذق[١] مشيئة العبد بمشيئة الله تعالى.

(١) أي: ربطها بها.

مفردات سورة التكوير

«انْكَدَرت» النجومُ: انتَثَرت، وقال أبو عبيدة: انْصَبَّت كما تَنصَبُّ القُعابُ إذا كَسَرت، قال العجَّاج يَصفُ صقراً:

أَبْصَرَ خِرْبانَ[1] فلاةٍ فانْكَدَرْ ... تَقَضِّيَ البازي إذا البازِي كَسَرْ[2]

«العِشَار»: جمع: عُشَراء، وهي: النَّاقةُ التي مَرَّ لحَمْلها عَشَرةُ أشهرٍ، ثم هو اسمُها إلى أنْ تَضَعَ في تمامِ السَّنَة[3].

التَّعْطِيل: التفريغ والإهمال[4].

الوحش: حيوانُ البَرِّ الذِّي ليس في طَبْعِه التآنُس ببني آدم.

«المَوْؤُدة»: البنت التي تُدفَن حيَّةً، وأصله مِن النَّقْل، كأنَّها تُثْقَل بالتراب حتى تموتَ، ومنه: اتَّئِدْ، أي: تَوقَّر وأَثْقِل ولا تَخِفَّ.

الكَشْطُ: التَّقْشِير، كَشَطْتُ جِلْدَ الشاة: سَلَخْتُه عنها.

الخُنَّس: جمع: خانِس، والخُنُوس: الانقباض والاستخفاء، تقول: خَنَسَ بينَ

---

(١) في (ع): حربات، وفي المطبوع: حرمات. والخَرَب: الذَّكَر من الحُبارى، ويجمع على: خِربان. العين (خرب).

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٤، وكلام أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ٢٨٧بنحوه، والبيتان في ديوان العجاج ص٨٣ على اختلاف في الترتيب بين البيتين، ويقال للطائر إذا ضمَّ جناحيه: كَسَر. سمط اللآلي ٢/ ٧٩١، وتقضِّي البازي: انقضَّ. القاموس (قضى).

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٥، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٤١.

(٤) الصحاح (عطل).

القومِ وانْخَنَسَ[١].

«الكُنَّس»: جمع: كانِسٍ وكانِسَةٍ، يقال: كَنَسَ: إذا دخلَ الكِنَاس، وهو المكان الذي تأوي إليه الظِّباء.

والخَنَسُ: تأخُّر الأنف عن الشَّفَة مع ارتفاعٍ قليلٍ من الأرنبة.

«عَسْعَسَ»: قال الفرَّاء: عَسْعَسَ الليلُ وسَعْسَعَ: إذا لم يَبْقَ منه إلَّا القليل[٢].

وقال الخليل: عَسْعَسَ الليلُ: أَقْبَلَ وأَدْبَرَ. قال المُبَرِّد: هو مِن الأضداد، وقال عَلْقمةُ بنُ قُرْطٍ:

حتى إذا الصُّبْحُ لها تَنَفَّسا ... وانجابَ عنها ليلُها وعَسْعَسَا[٣]

وقال رؤبة:

يا هندُ ما أَسْرَعَ ما تَسَعْسَعا[٤] ... مِن بَعْدِ ما كانَ فتًى قَرَعرَعَا[٥]

التَّنفُّس: خروج النَّسيم مِن الجوف، واستعير للصُّبح، ومعناه: امتدادُه حتى يصيرَ نهاراً واضِحاً[٦].

---

(١) تفسير الرازي ٣١/٦٦، وما بعده منه أيضاً، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/١٠٩-١١٠.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ١١٢، ولم نقف على كلام الفراء في كتابه معاني القرآن، وأورده الثعلبيُّ في تفسيره ٦/ ٣٩٠، والبغويّ ٤/ ٤٥٣ ولم ينسبه.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ١١٢، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٤، والبيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٨٨، وتفسير الطبري ٢٤/ ٢٣٨، والأضداد لابن السكيت ص١٦٧، ولابن الأنباري ص٣٣، والأزمنة والأمكنة ١/ ٣٢٥.

(٤) في المطبوع: ما تعسعسا.

(٥) في النسخ عدا (ع) و(يه): فرعرعا. والمثبت منهما، وفي تفسير القرطبي ٢٢/ ١١٢: سرعرعا. والرجز في العين ١/ ٧٥، والأول منهما في ديوان رؤبة ص٨٨، وقوله: سرعرعاً، أي: شابًّا قويًّا، كما ذكر صاحب العين، وتسعسع الرجل، أي: كَبِر حتى هرم وولَّى. الصحاح (سعسع).

(٦) تفسير القرطبي ٢٢/ ١١٣.

الظَّنِين: المُتهم، فَعِيْل بمعنى مفعول، ظَننتُ الرَّجُلَ: اتَّهَمْتُه، والضَّنِين: البخيل، قال الشاعر:

أَجُودُ بمَكْنونِ الحديثِ وإنَّني ... بِسِرِّكِ عمَّن سالَني لضَنِينُ[(1)]

* * *

سورة التكوير

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ
عُطِّلَتۡ ۝٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧ وَإِذَا
ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١ وَإِذَا
ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ۝١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ۝١٤ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥
ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩
ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ۝٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ
بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ۝٢٥ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ
۝٢٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ
ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾.

هذه السورة مَكِّيَّة، ومُناسبتها لِمَا قَبْلَها في غاية الظُّهور.

وتَكويرُ الشمس: قال ابنُ عباس: إدخالها في العَرْش، وقال مجاهد وقتادة والحسن: ذهابُ ضوئِها. وقال الربيع بنُ خثيم: رُميَ بها، ومنه: كَوَّرته فتكوَّر،

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ١١٧، والبيت لقيس بن الخطيم كما في أمالي القالي ٢/ ١٧٧، وفيه: التلاد، بدل: الحديث، وذكره أيضاً القالي في الأمالي ٢/ ٢٠٢، وابنُ عبد البرّ في بهجة المجالس ١/ ٤٦٠ برواية: بمضمون التلاد. والتلاد: ما وَلَد عندك من مالك أو نتج. القاموس (تلد).

وقال أبو صالح: نُكِّسَت[١].

وعن ابنِ عباس أيضاً: أظلمت، وعن مجاهدٍ: اضمحلَّت[٢]، وقيل: غُوِّرت[٣]، وقيل: يُلَفُّ بعضُها ببعض ويُرمَى بها في البحر.

وقال أبو عُبيدة: «كُوِّرت» مِثلَ تكوير العمامة[٤]، وقال القرطبيُ: مِن كارَ العِمامةَ على رأسِه يَكُورُها، أي: لاثَها[٥] وجَمَعها، فهي تُكوَّر ثم يُمحَى ضوءُها ثم يُرمَى بها[٦].

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: ارتفاعُ «الشمس» على الابتداء أو الفاعليَّة؟

قلت: بل على الفاعليَّة، رافِعُها فِعْلٌ مُضمَر يُفسِّره «كُوِّرت»، لأنَّ «إذا» يطلبُ الفعلَ لما فيه مِن معنى الشَّرْط[٧]. انتهى.

ومِن طريقته أنَّه يُسمِّي المفعولَ الذي لم يُسَمَّ فاعله فاعلاً، ولا مشاحَّةَ في الاصطلاح، وليس ما ذكرَ مِن الإعراب مُجمَعاً على تحتُّمه عند النُّحاة، بل يَجوز رفع «الشمس» على الابتداء عند الأخفش والكوفيِّين؛ لأنَّهم يُجيزونَ أنْ تَجِيْءَ الجملة الاسميَّة بَعْدَ «إذا»، نحو: إذا زيد مُكْرِمك فأكْرِمه.

«انْكَدَرت» عن ابنِ عباس: تساقَطت، وعنه أيضاً: تغيَّرت فلم يَبْقَ لها ضوءٌ؛

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٣-٩٤، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٨٤-٣٨٥، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ١٢٦، ١٣٠، وقول الربيع بن خثيم عند عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٣٥٠-٣٥١، والطبريّ ٢٤/ ١٣١.

(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٨٤.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٣، والثعلبي ٦/ ٣٨٤، والنكت والعيون ٦/ ٢١١، ونُسبَ لسعيد بن جبير، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٤/ ١٣٠.

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٨٧، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٣.

(٥) أي: عَصَبها. الصحاح (لوث).

(٦) بعدها في تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٤: في البحر. وينظر ما قاله الآلوسي في روح المعاني ٣٠/ ٥٠ حول هذا المعنى.

(٧) الكشاف ٤/ ٢٢١.

لزوالها عن أماكنها[١]، من قولهم: ماءٌ كَدِر، أي: مُتغيِّر اللَّون، وتَسيير الجبال، أي: عن وَجْهِ الأرض، أو سُيِّرت في الجَوِّ تسييرَ السَّحَاب، كقوله: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] وهذا قَبْلَ نَسْفِها، وذلك في أوَّل هول يوم القيامة.

والعِشَار: أَنْفَسُ ما عندَ العرب مِن المال، وتعطيلُها تَرْكُها مسيَّبة مُهمَلة، أو عن الحَلْب؛ لاشتغالهم بأنفسِهم، أو عن أنْ يحمل عنها الفُحُول، وأطلقَ عليها عشاراً؛ باعتبار ما سَبَقَ لها ذلك.

قال القرطبيُّ: وهذا على وَجْهِ المَثَل؛ لأنَّه في القيامة لا يكون عُشَراء، فالمعنى أنَّه لو كان عُشَراء لعطَّلها أهلُها واشتغلوا بأنفسِهم[٢].

وقيل: إذا قاموا مِن القبور وشاهدوا الوحوشَ والدَّوابَّ محشورةً، وعشارهم فيها التي كانت كرائمَ أموالهم لم يَعْبَؤوا بها؛ لشُغْلهم بأنفسِهم.

وقيل: العِشَار: السَّحاب، وتعطيلها مِن الماء فلا تُمطِر، والعرب تُسمِّي السحابَ بالحامل[٣].

وقيل: العِشار: الدِّيار تُعطَّل فلا تُسكَن، وقيل: العِشَار: الأرض التي يُعشَّر زَرْعُها، تُعطَّل فلا تُزرَع[٤].

وقرأ الجمهور: «عُطِّلَت» بتشديد الطاء، ومُضَر عن اليزيديِّ[٥]:

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٤-٩٥، وينظر النكت والعيون ٦/ ٢١١، والخبر الثاني عن ابن عباس عند الطبريّ ٢٤/ ١٣٣، وفيه الخبر الأول أيضاً لكن عن قتادة.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٥-٩٦، وتفسير أبي الليث ٣/ ٤٥١.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٦، والرازي ٣١/ ٦٧.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٧، والنكت والعيون ٦/ ٢١٢.

(٥) كذا في النسخ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٤١، واليزيدي هو: يحيى بن المبارك بن المغيرة، أبو محمد العدوي البصري، وعُرف باليزيدي لصحبته يحيى بن منصور الحميري خال المهدي، توفي سنة (٢٠٢هـ).
ومُضَر لعلَّه: مضر بن محمد بن خالد أبو محمد الضَّبّي الأسدي الكوفي، روى الحروف عنه ابن مجاهد وابن شنبوذ وغيرهما. طبقات القراء لابن الجزري ٢/ ٢٩٩ و٣٧٥.
=

بتخفيفها[١]، وكذا في كتاب ابنِ خالويه[٢]، وفي كتاب «اللوامح»: عن ابنِ كثير، قال في «اللوامح»: وقيل: هُوَ وَهْمٌ إنَّما هو: «عَطَلَتْ» بفتحتين بمعنى تعطَّلت؛ لأنَّ التشديدَ فيه التعدِّي، يقال منه: عَطَّلتُ الشيءَ، وأعطلتُه فعَطَلَ بنفسِه، وعَطَلتِ المرأةُ فهي عاطِل: إذا لم يكن عليها الحَلْي، فلعلَّ هذه القراءة عن ابنِ كثير لغةٌ استوى فيها: فَعَلْت وأفْعَلْت، والله أعلم. انتهى.

وقال امرؤ القيس[٣]:

وجِيْدٍ كجِيْدِ الرِّيم ليس بفاحشٍ إذا هي نَصَّتْهُ ولا بِمُعَطَّلِ

«حُشِرَت» أي: جُمعت مِن كلِّ ناحية، فقال ابنُ عباس: جُمعَت بالموت فلا تُبعَث، ولا يحضر في القيامة غيرُ الثَّقَلين.

وعنه وعن قتادة وجماعة: يُحشَر كلُّ شيءٍ حتى الذُّباب، وعنه: تُحشَر الوحوشُ حتى يقتصَّ مِن بعضها لبعض، ثم يقتصّ للجمَّاء مِن القَرْناء، ثم يقال لها: مُوتي، فتموت.

وقيل: إذا قضيَ بينها رُدَّت تراباً، فلا يَبقى منها إلّا ما فيه سرورٌ لبني آدم وإعجابٌ بصورته، كالطاووس ونحوه.

وقال أُبيّ: في الدُّنيا في أوَّل الهولِ تفرُّ في الأرض وتَجتمع إلى بني آدم تأنُّساً بهم[٤].

= والقراءة سترد الآن عن ابن كثير. والراوي عن ابنِ كثير البَزيُّ، والراوي عنه: مُضَر، ينظر السبعة ص٦٠٠ و٦٥٠ و٦٩٩، فلعلَّ القراءةَ عن مضر، عن البزيّ، عن ابن كثير، والله أعلم.

(١) أي: «عُطِلَت».

(٢) القراءات الشاذَّة ص١٦٩ عن ابن كثير، وينظر السبعة ص٥٢٣.

(٣) ديوان امرئ القيس ص١٦، وسلف.

(٤) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٧، والثعلبي ٦/ ٣٨٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٤١، والنكت والعيون ٦/ ٢١٢-٢١٣، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ١٣٦-١٣٧.

وقرأ الجمهور: «حُشِرَت» بخفِّ الشين، والحسن وعمرو بن ميمون: بشدِّها[(١)].

«وإذا البحارُ سُجِّرَت» تقدَّم أقوالُ العلماء في سَجْرِ البحر وقولِه في «الطُّور»: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝﴾.

وفي كتاب «لغات القرآن»: «سُجِرَت»: جُمِعَت، بلغة خَثْعَم.

وقال فيها ابنُ عطيَّة: ويحتمل أنْ يكون المعنى: مُلِكَت وقيِّد اضطرابها حتى لا تخرجَ على الأرض مِن الهَوْل، فتكون اللفظة مأخوذةً مِن سَاجُور الكلب[(٢)].

وقرأ ابنُ كثير وأبو عمرو: بخفِّ الجيم، وباقي السبعة: بشدِّها[(٣)].

قال ابنُ عطيَّة: وذهب قومٌ إلى أنَّ هذه الأشياء المذكورة استعاراتٌ في كلِّ ابنِ آدم وأحوالِه عند الموت، فالشمسُ نَفْسُه، والنُّجوم عيناهُ وحواسُّه، وهذا قولٌ ذاهب إلى إثباتِ الرُّموز في كتاب الله تعالى[(٤)]. انتهى.

وهذا مذهبُ الباطنيَّة ومذهبُ مَن ينتمي إلى الإسلام مِن غُلاة الصُّوفيَّة، وقد أَشرنا إليهم في خطبةِ هذا الكتاب، وإنَّما هؤلاء زنادقة تَستَّروا بالانتماء إلى ملَّة الإسلام، وكتابُ الله جاءَ بلسانٍ عربيٍّ مبين لا رمزَ فيه ولا لُغْزَ ولا باطنَ ولا إيماءَ لشيء ممَّا تنتحله الفلاسفةُ ولا أهلُ الطبائع، ولقد ضمَّن تفسيرَه أبو عبد الله الرازيُّ المعروف بابنِ خطيب الرَّيّ أشياءَ ممَّا قاله الحكماءُ عنده وأصحابُ النجوم وأصحابُ الهيئة وذلك كلّه بمعزلٍ من تفسيرِ كتاب الله عزَّ وجلَّ، وكذلك ما ذَكَره صاحبُ «التحرير والتحبير» في آخِرِ ما يفسّره مِن الآيات مِن كلامِ مَن ينتمي إلى

(١) أي: «حشّرت». القراءات الشاذة ص١٦٩ عن عمرو بن ميمون، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٤١ عن الحسن، والكشاف ٤/ ٢٢٢ دون نسبة.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٢، وسلف في تفسير سورة الطور عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝﴾ أنها القلادة من عود أو حديد تُمسِكه.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٢، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٠٠، والقراءة في السبعة ص٦٧٣، والتيسير ص٢٢٠، والنشر ٢/ ٣٩٨.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٢.

الصُّوف ويُسمِّيها الحقائق، وفيها ما لا يَحلُّ كتابته، فَضْلاً عن أَنْ يُعتَقد، نسألُ الله تعالى السلامةَ في أدياننا وعقائدنا وما به قوامُ ديننا ودنيانا.

«وإذا النفوسُ زُوِّجت» أي: المؤمن مع المؤمن، والكافر مع الكافر، كقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧﴾ [الواقعة: ٧] قاله عمر وابن عباس، أو نفوس المؤمنين بأزواجهم من الحُور العِيْن وغيرِهنَّ، قاله مقاتل بن سليمان، أو: الأرواحُ الأجسادَ، قاله عكرمة والضحاك والشعبيُّ[1].

وقرأ عاصم في رواية: «زُوْوِجَت» على فُوعِلَت[2]، والمفاعلة تكون بين اثنين، والجمهور: بواوٍ مشدَّدة.

وقال الزمخشريُّ: وَأَدَ يَئِدُ، مقلوب مِن: آدَ يَؤُوْد، إذا أَثْقَلَ، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] لأنَّه إثقالٌ بالتراب[3]. انتهى.

ولا يُدَّعى في وَأَدَ أنَّه مقلوبٌ مِن آدَ، لأنَّ كلًّا منهما كامل التصرُّف في الماضي والأمْر والمضارع والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول، وليس فيه شيءٌ مِن مسوِّغات ادِّعاء القَلْب.

والذي يُعلَم به الأصالةُ والآخَرُ[4] مِن القَلْب أَنْ يكون أَحَدُ النَّظْمَين فيه حكمٌ يَشهد له بالأصالة والآخَر ليس كذلك، أو كونه مجرَّداً مِن حروف الزيادة والآخَر فيه مزيداً، وكونه أكثر تصرُّفاً، والآخَر ليس كذلك، أو أكثر استعمالاً مِن الآخَر، وهذا على ما قُرِّرَ وأُحْكِمَ في عِلْم التصريف، فالأوَّل كـ: يَئِسَ وأَيِسَ، والثاني: كـ: طَأْمَن واطْمَأنَّ، والثالث: كـ: شوايع وشواعٍ[5]، والرابع كـ: لَعَمْرِي ورَعملي.

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٢، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٠٠-١٠١، والثعلبي ٦/ ٣٨٦-٣٨٧، والنكت والعيون ٦/ ٢١٣-٢١٤، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ١٤١-١٤٥.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٢.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٢٢.

(٤) زيادة من (يه).

(٥) جاءت الخيلُ شوائعَ وشواعيَ ـ على القَلْب ـ أي: متفرِّقة. تاج العروس (شيع).

وقرأ الجمهور: «المَوءُودَة» بهمزةٍ بين الواوَين اسم مفعول، وقرأ البَزِيُّ في رواية: «المَؤُوْدَة» بهمزة مضمومة على الواو[1]، فاحتمل أنْ يكون الأصل: «الموءودة» كقراءة الجمهور، ثم نقل حركة الهمزة إلى الواو بَعْدَ حذف الهمزة، ثم همز الواو المنقول إليها الحركةُ، واحتمل أنْ يكون اسمَ مفعول مِن آدَ، فالأصل: مَأْوُودة، فحذف إحدى الواوين على الخلاف الذي فيه المحذوف؛ واو المدِّ أو الواو التي هي عين، نحو: مَقْوُوْل حيث قالوا: مَقُوْل.

وقرئ: «المَوُوْدَة» بضمِّ الواو الأولى وتسهيل الهمزة[2]، أعني: التسهيل بالحذف ونقل حركتها إلى الواو.

وقرأ الأعمش: «المَوْدَة» بسكون الواو، على وزن الفَعْلَة[3]، وكذا وقف حمزة، وابنُ مجاهد[(٤]، وهو قولُ القُرَّاء، وعلَّةُ ذلك أنّه حَذَفَ الهمزة اعتباطاً، فالتقى ساكنان، فحذف الثاني. قاله أبو الحسن بن الباذش.

وقال أبو محمد مكّيّ: خفّف على القياس في الموودة، فاستثقل الضَّمَّة على الواو فحذفها، فالتقى ساكنان فحذف[٤)].

ونَقل القُرَّاء أنَّ حمزةَ يَقِفُ عليها كالمَوْزَة؛ لأجل الخطِّ، لأنَّها رُسمت كذلك، والرَّسْمُ سُنَّةٌ مُتَّبعة[5].

وقرأ الجمهور: «سُئِلَت» مبنيًّا للمفعول «بأيِّ ذنبٍ قُتِلَت» كذلك، وخَفّ التاء، وبتاء التأنيث فيهما، وهذا السؤال هو لتوبيخ الفاعِلين للوَأْد؛ لأنَّ سؤالها يؤول إلى سؤالِ الفاعلين، وجاء: «قُتِلْتُ» بناءً على أنَّ الكلامَ إخبارٌ عنها، ولو حكى ما خُوطبت به حين سُئلت لقيل: قُتِلَتْ.

---

(١) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه السمين في الدر المصون ١٠/٧٠٣، والآلوسيّ في روح المعاني ٢٨/٣٢٧.

(٢) المحرر الوجيز ٥/٤٤٢.

(٣) المصدر السابق، والقراءات الشاذة ص١٦٩.

(٤-٤) زيادة من (يه) ولم ترد في بقيّة النسخ، وجاء مكانها بياض في (ع) بمقدار سطرين.

(٥) من قوله: ونقل القُراء... إلى هنا، لم يرد في (ع) و(يه).

وقرأ الحسن والأعرج: «سِيلت» بكسر السين[١]، وذلك على لغة من قال: سأل، بغير همز.

وقرأ أبو جعفر: «سُيِّلَت» بشدِّ الياء[٢]؛ لأنَّ الموءودة اسمُ جنس، فناسبَ التكثيرَ باعتبار الأشخاص.

وقرأ ابنُ مسعود وعليٌّ وابنُ عباس وجابر بنُ زيد وأبو الضحى ومجاهد: «سَأَلَت» مبنيًّا للفاعل «قُتِلْتُ» بسكون اللام وضمِّ التاء، حكايةً لكلامها حينَ سَألت.

وعن أُبَيّ وابنِ مسعود أيضاً والربيع بن خثيم وابنِ يَعمر: «سَأَلَت» مبنيًّا للفاعل، «بأيِّ ذنبٍ قُتِلَتْ» مبنيًّا للمفعول، بتاء التأنيث فيهما إخباراً عنهما[٣]، ولو حكى كلامها لكان: قُتِلْتُ، بضمِّ التاء.

وكان للعرب إذا وُلدَ لأحدهم بنتٌ واستحياها ألبسها جُبَّةً مِن صوفٍ أو شَعَر وتَرَكها تَرعى له الإبلَ والغنم، وإذا أرادوا قَتْلَها تَركوها حتى إذا صارت سداسيَّةً[٤] قالوا لأمِّها: طَيِّبيها وزَيِّنيها حتى أذهبَ بها إلى أحبَّائها[٥]، وقد حَفَرَ حفرةً أو بئراً في الصحراء فيَذهب بها إليها، ويقول لها: انظُري فيها. ثم يَدفعها مِن خَلْفِها ويُهيل عليها الترابَ حتى يستوي بالأرض[٦].

وقيل: كانت الحاملُ إذا قَرُبَ وَضْعُها حَفَرَت حفرةً فتمخَّضت على رأسِها، فإذا وَلَدت بنتاً رَمَت بها في الحفرة، وإن وَلَدت ابناً حَبَسَتْه[٧].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٢.

(٢) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه الآلوسيّ في روح المعاني ٢٨/ ٣٢٨.

(٣) القراءتان في المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٢، والقراءة الأولى في القراءات الشاذة ص١٦٩.

(٤) جاء بهامش النسخة الخطية من روح المعاني ٢٨/ ٣٢٦ ـ كما هو مذكور بهامش مطبوعه عند قوله: سداسيَّة ـ: بلغت قامتها ستَّة أشبار.

(٥) في المطبوع: أحمائها.

(٦) ينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٨٧، والكشاف ٤/ ٢٢٢.

(٧) ينظر المصدران السابقان، وينظر أيضاً الوسيط للواحدي ٤/ ٤٢٩ حيث أخرج الخبرَ عن ابن عباس، والبغوي ٤/ ٤٥٢، وزاد المسير ٩/ ٤٠.

وقد افتخرَ الفرزدقُ ـ وهو أبو فراس همَّام بنُ غالب بنِ صَعْصَعَة بنِ ناجية بجدِّه صَعْصَعة إذ كان مَنَعَ وَأْدَ البناتِ، فقال:

ومِنَّا الذي مَنَعَ الوَائِدَاتِ فأحيا الوئِيدَ فلم يُوأدِ[1]

وفي «الكامل» لأبي العباس المبرِّد أنَّ صعصعةَ بنَ ناجِية أحيا مئتي موءودة وثمانين وأنقذها من الوأد، يشتري البنت من أبيها بناقتين عُشَراوَين[2] وجمل، وكانت تلك سُنَّة في الجاهليَّة، وأخبر بذلك ـ حين أسلم ـ رسولَ الله ﷺ، في خبرٍ طويل ذكره، وقال: هل ينفعني ذلك اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا ينفعك ذلك؛ لأنَّك لم تبتغِ به وجهَ الله، وإنْ تعمل في إسلامك عملاً صالحاً ثُبِتَ عليه»[3].

«وإذا الصُّحُف نُشِرَت» الصُّحُف المنشورةُ الأعمال كانت مطويَّةً على الأعمال فنُشِرَت يومَ القيامة ليقرأ كلُّ إنسانٍ كتابَه.

وقيل: الصُّحُف التي تتطاير بالإيمان والشمائل بالجزاء، وهي صُحُفٌ غيرُ صُحُفِ الأعمال.

وقرأ أبو رجاء وقتادة والحسن والأعرج وشيبة وأبو جعفر ونافع وابنُ عامر وعاصم: «نُشِرَت» بخفِّ الشين، وباقي السبعة: بشَدِّها[4].

---

(١) ينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١٠٢، والكشاف ٤/ ٢٢٢، والبيت في ديوان الفرزدق ١/ ١٧٣، وصعصعة هو: ابن ناجية التميمي الدارمي، قال ابن السكن: له صحبة، وكان من أشراف بني مجاشع في الجاهلية والإسلام، وهو ابنُ عمّ الأقرع بن حابس. الإصابة ٥/ ١٤٢.

(٢) العُشَراء: الناقة التي قد أَتَى عليها منذ حملت عشرة أشهر أو ثمانية. القاموس (عشر).

(٣) من قوله: وفي الكامل لأبي العباس المبرد. . . إلى هنا، زيادة من (يه) ولم ترد في بقيَّة النسخ، وجاء مكانها بياض في (ع) بمقدار ثلاثة أسطر، والكلام في الكامل للمبرِّد ٢/ ٦٤، وينظر أيضاً التذكرة الحمدونيَّة ٢/ ٣٨٩، وينظر خبره عند الطبراني في المعجم الكبير (٧٤١٢)، وعند العقيلي في الضعفاء ٢/ ٢٢٨، وفي إسناده: الطفيل بن عمرو التميمي، قال البخاريّ: لا يصحّ حديثه، وقال العقيلي: لا يتابع عليه.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٣، والقراءة في السبعة ص٦٧٣، والتيسير ص٢٢٠، والنشر ٢/ ٣٩٨.

وكَشْطُ السماءِ: طَيُّها كطَيِّ السِّجِل، وقيل: أُزيلَت كما يُكشَط الجِلْدُ عن الذَّبِيحة.

وقرأ عبد الله: «قُشِطَت» بالقاف[١]، وهما كثيراً ما يتعاقبان، كقولهم: عربيّ قحّ وكحّ، وتَقدّمت قراءته: «قافوراً»[٢] أي: كافوراً.

وقرأ نافع وابنُ عامر وحفص: «سُعِّرَت» بشدِّ العين، وباقي السبعة: بخفِّها، وهي قراءة عليٍّ[٣].

قال قتادة: سَعَّرَها غَضَبُ اللهِ تعالى وذنوبُ بني آدم[٤].

وجواب «إذا» وما عُطف عليه: «عَلِمَت نفسٌ ما أَحضرت»، و«نَفْس» نكرة تعمُّ في الإثبات من حيث المعنى «ما أَحضرت» مِن خيرٍ تدخل به الجنَّة، أو مِن شَرٍّ تدخلُ به النار.

وقال ابنُ عطيَّة: ووقع الإفراد؛ ليتنبَّه الذِّهنُ على حقارةِ المَرْء الواحد وقلَّة دفاعه عن نفسِه[٥]. انتهى.

وقُرِئت هذه السورة عند عبد الله، فلمَّا بَلَغَ القارِئُ: «عَلِمت نفسٌ ما أحضرت»، قال عبد الله: واانقطاعُ ظهرياه[٦].

«بالخُنَّس» قال الجمهور: الدَّراري السَّبْعَة: الشمس، والقمر، وزُحَل، وعُطارِد، والمرِّيخ، والزُّهرة، والمُشتري.

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٠٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٤٣، والقراءات الشاذة ص١٦٩.

(٢) عند تفسير قوله تعالى: ﴿مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥].

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٣، والقراءة في السبعة ص٦٧٣، والتيسير ص٢٢٠، والنشر ٢/ ٣٩٨.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٣، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٠٧، والثعلبي ٦/ ٣٨٩، والنكت والعيون ٦/ ٢١٥، وأخرجه الطبريُّ ٢٤/ ١٥٠.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٣.

(٦) أورده ابنُ خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٩، والزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٢٣.

وقال علي: الخمسة دونَ الشمس والقمر[(١)]، تجري الخمسةُ مع الشمس والقَمَر وتَرجع حتى تخفى مع ضَوء الشمس، فخنوسُها رجوعُها، وكنوسُها اختفاؤها تحت ضوء الشمس، قاله الزمخشريُّ[(٢)].

وقال ابنُ عطيَّة: تَخْنُسُ في جريها أي: تتقهقر فيما ترى العين وهي جَوَارٍ في السماء، وهي تكنسُ في أبراجها، أي: تَستتر، وقال عليٌّ أيضاً والحسن وقتادة: هي النجوم كلُّها؛ لأنَّها تَخنُس وتكنسُ بالنهار حين تختفي[(٣)].

وقال الزمخشريُّ: تَخْنُسُ بالنَّهار فتغيب عن العيون، وتكنس بالليل، أي: تطلع في أماكنها كالوحش في كُنُسها[(٤)]. انتهى.

وقال عبد الله والنَّخَعيُّ وجابر بنُ زيد وجماعة: المراد بـ «الخُنَّس الجوارِ الكُنَّس» بَقَرُ الوَحْش؛ لأنَّها تفعل هذه الأفعال في كناسها، وقال ابنُ عباس وابنُ جبير والضحاك: هي الظِّباء، والخُنَّس مِن صفة الأُنوق؛ لأنَّها يَلزمها الخَنَس، وكذا بَقَر الوحش[(٥)].

«عَسْعَسَ» أَدْبَرَ، بلغة قريش، وقال الحسن: أَقبل ظَلَامه[(٦)]، ويُرجِّحه مقابلته بقوله: «والصُّبْح إذا تنفَّس»، فهما حالتان.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٣، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١٠٨، والنكت والعيون ٦/ ٢١٦، وزاد المسير ٩/ ٤٢، وأخرجه عنه الثعلبيُّ في تفسيره ٦/ ٣٨٩، والطبريُّ ٢٤/ ١٥٢-١٥٣.

(٢) الكشاف ٤/ ٢٢٣-٢٢٤.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٣، وينظر النكت والعيون ٦/ ٢١٦، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٠٨، وقول عليّ والحسن وقتادة عند الطبريّ ٢٤/ ١٥٤.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٢٤، والكِنَاس: مولجٌ للوحش من البقر تسكن فيه من الحَرِّ. تهذيب اللغة ١٠/ ٣٨ (كنس).

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٣، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١١٠-١١١، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ١٥٥-١٥٨.

(٦) تفسير القرطبي ٢٢/ ١١١، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٤، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٤/ ١٦١.

وقال المُبرِّد: أقسم بإقبالِه وإدبارِه[1]، وتنفُّسه كونه يَجِيْءُ معه رَوح ونَسِيم، فكأنَّه نَفَسٌ له، على المَجاز.

«إنَّه» أي: إنَّ هذا المُقسَم عليه، أي: إنَّ القرآن «لَقولُ رسولٍ كريم» الجمهور على أنَّه جبريل عليه السلام، وقيل: محمَّد ﷺ، و«كريم» صفة تقتضي نَفْيَ المذامِّ كلِّها وإثباتَ صفاتِ المدح اللائِقَة به.

«ذي قوَّة» كقوله: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥]. «عند ذي العرش» أي: كائن عند ذي العرش الكينونةَ اللائقةَ مِن شَرف المنزلة وعِظَم المكانة. وقيل: «عند ذي العرش» متعلِّق بـ «مكين».

«مُطَاعٍ ثَمَّ» إشارة إلى «عند ذي العرش»، أي: إنَّه مُطاعٌ في ملائكة اللهِ المقرَّبين يَصدُرون عن أمْره.

وقرأ أبو جعفر وأبو حيوة وأبو البَرَهْسم وابنُ مِقْسم: «ثُمَّ» بضمِّ الثاء[2]، حرف عطف، والجمهور: «ثَمَّ» بفتحها، ظرف مكان للبعيد.

وقال الزمخشريُّ: وقُرئَ: «ثُمَّ» تعظيماً للأمانة وبياناً؛ لأنَّها أفضلُ صفاته المعدودة[3]. انتهى.

وقال صاحب «اللوامح»: بمعنى: مُطاع وأَمين، وإنَّما صارت «ثمَّ» بمعنى الواو بَعْدَ «إنَّ» مُواضَعتها للمُهلة والتراخِي عطفاً، وذلك لأنَّ جبريلَ عليه السلام كان بالصِّفتين معاً في حالٍ واحدة، فلو ذهبَ ذاهبٌ إلى الترتيب والمُهلة في هذا العطف بمعنى: «مطاع» في المَلَأ الأعلى «ثُمَّ أمين» عند انفصاله عنهم حالَ وَحْيه على الأنبياء عليهم الصلاة والسَّلام = لجازَ إنْ لو وَرَدَ به أَثَرٌ. انتهى.

---

(١) ينظر المصادر السابقة، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٩٢، وتهذيب اللغة للأزهري ١/ ٧٩.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٤ عن أبي جعفر، والقراءات الشاذة ص١٦٩ عن أبي حيوة، وزاد المسير ٩/ ٤٣ عن أُبَيّ وابن مسعود وأبي حيوة.
(٣) الكشاف ٤/ ٢٢٤-٢٢٥.

«أمين» مَقبُول القولِ، يُصدَّق فيما يقوله، مُؤتَمن على ما يُرسَل به مِن وحي وامتثالِ أمرٍ.

«وما صاحِبُكم بمجنون» نفي عنه ما كانوا ينسبون إليه ويبهتونَهُ به مِن الجنون.

«ولقد رَآهُ» أي: رأى الرسولُ ﷺ جبريلَ عليه السلام، وهذه الرؤية بعد أمْرِ غارِ حِرَاء حين رَآهُ على كرسيٍّ بين السماء والأرض في صورته له ستُّ مئة جَنَاح[1].

وقيل: هي الرُّؤية التي رَآهُ فيها عند سِدْرَة المنتهى، وسمَّى ذلك الموضع أُفُقاً مجازاً، وقد كانت له عليه السلام رؤيةٌ ثانية بالمدينة، وليست هذه، ووصف الأُفُق بـ «المبين»؛ لأنَّه رُوي أنَّه كان في الشَّرْق مِن حيث تطلع الشمس، قاله قتادة وسفيان وأيضاً، فكلُّ أفقٍ في غاية البيان[2].

وقيل: في أفقِ السماء الغربيّ، حكاه ابنُ شَجَرة، وقال مجاهد: رَآهُ نحو جِيَاد، وهو مشرق مكَّة[3].

وقرأ عبد الله وابنُ عباس وزيد بن ثابت وابنُ عمر وابنُ الزبير وعائشة وعمر بنُ عبد العزيز وابنُ جبير وعروة ومسلم وابنُ جندب ومجاهد وغيرهم، ومِن السبعة النَّحْوِيَّان وابن كثير: «بظَنِين» بالظاء، أي: بمتَّهم، وهذا نظير الوصفِ السابق بـ «أمين». وقيل: معناه بضعيف القوَّة على التبليغ مِن قولهم: بئر ظنون، إذا كانت قليلةَ الماء، وكذا هو بالظاء في مصحف عبد الله.

وقرأ عثمان وابنُ عباس أيضاً والحسن وأبو رجاء والأعرج وأبو جعفر وشَيبة

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١١٥، والخبر عند الطبريّ ٢٤/ ١٦٦-١٦٧ عن أبي الأحوص، وأخرج عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٣٥٢ عن ابن مسعود ﷺ أنّه قال: رأى جبريلَ له خمس مئة جناح قد سَدَّ الأفق.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٤، وقول قتادة عند الطبريّ ٢٤/ ١٦٦، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٣٩٠، والقرطبي ٢٢/ ١١٥.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢/ ١١٥، والنكت والعيون ٦/ ٢١٨-٢١٩، وقول مجاهد عند الطبريّ ٢٤/ ١٦٦.

وجماعة غيرهم وباقي السبعة: بالضَّاد[١]، أي: ببخيل يشحّ به ولا يُبلِّغ ما قيل له ويَبْخَل كما يفعل الكاهن حتى يُعطَى حُلوانَه[٢].

قال الطبريُّ: وبالضادِ خُطُوطُ المصاحفِ كلّها[٣].

«وما هو بقولِ شيطانٍ رجيم» أي: الذي يَتراأى له إنَّما هو مَلَكٌ لا مِثْل الذي يَتراأى للكُهَّان.

«فأينَ تذهبون» استضلالٌ لهم؛ حيث نَسَبوه مرَّة إلى الجنون، ومرَّة إلى الكهانة، ومرَّة إلى غير ذلك، ممَّا هو بَريْء منه.

وقال الزمخشريُّ: كما يقال لتارِك الجادَّة [٤]اعتسافاً أو ذهاباً[٤] في بُنيَّات الطريق: أين تذهب؟ مُثِّلَت حالهم بحاله في تَرْكهم الحقَّ وَعُدُولهم عنه إلى الباطل. انتهى.

«ذِكْرٌ» تَذْكِرة وعِظَةٌ «لِمَن شاءَ» بدل مِن «للعَالَمِين»، ثم عذقَ مشيئةَ العبد بمشيئة الله تعالى، قال ابنُ عطيَّة: ثم خصّص تعالى مَن شاء الاستقامةَ بالذِّكر؛ تشريفاً وتنبيهاً وذكراً لتكسُّبهم أفعالَ الاستقامة، ثم بيَّن تعالى أنَّ تكسُّبَ المرء على العموم في استقامةٍ وغيرها إنَّما يكون مع خَلْقِ الله تعالى واختراعِه الإيمانَ في صَدْر المرء[٥]. انتهى.

وقال الزمخشريُّ: وإنَّما أبدلوا منهم؛ لأنَّ الذين شاؤوا الاستقامةَ بالدُّخول في الإسلام هم المنتفعون بالذِّكْر، فكأنَّه لم يُوعَظ به غيرُهم وإنْ كانوا موعوظين

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٤، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ١١٦-١١٧، والثعلبي ٦/ ٣٩١، والقراءة في السبعة ص٦٧٣، والتيسير ص٢٢٠، والنشر ٢/ ٣٩٨.

(٢) حُلْوان الكاهن: هو ما يُعطاه من الأجر والرّشوة على كهانته. النهاية في غريب الحديث (حلن).

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ١٧٠.

(٤-٤) ليست في (يه).

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٥.

جميعاً، «وما تشاؤون» الاستقامةَ يا مَن يَشاؤها إلَّا بتوفيقِ الله تعالى ولُطْفه، أو ما تشاؤونها أنتم يا مَن لا يشاؤها إلَّا بقَسْرِ الله وإلجائه[1]. انتهى. ففسّر كلٌّ مِن ابنِ عطيَّة والزمخشريّ المشيئةَ على مذهبه.

وقال الحسن: ما شاءَت العَرَبُ الإسلامَ حتى شاءَ اللهُ لها[2].

---

(١) الكشاف ٤/٢٢٦.

(٢) الكشف والبيان ٦/٣٩٢، وتفسير القرطبي ٢٢/١١٩.

(٨١) سورة التكوير مكية
وآياتها تسع وعشرون

قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: ﴿إذا الشمس كورت﴾ و ﴿إذا السماء انفطرت﴾ و ﴿إذا السماء انشقت﴾» أخرجه أحمد.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾

قال ابن عباس: ﴿إذا الشمس كورت﴾ يعني أظلمت، وقال العوفي عنه: ذهبت، وقال مجاهد: اضمحلت وذهبت، وقال قتادة: ذهب ضوءها، وقال سعيد بن جبير: ﴿كورت﴾ غورت، وقال زيد بن أسلم: تقع في الأرض، قال ابن جرير: والصواب من القول عندنا في ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه على بعض، ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب بعضها إلى بعض، فمعنى قوله تعالى: ﴿كورت﴾ جمع بعضها إلى بعض، ثم لفت فرمي بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها، روي عن ابن عباس أنه قال: يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث الله ريحاً دبوراً فتضرمها ناراً[1]، وروى البخاري، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «الشمس والقمر يكوران يوم القيامة»[2]. وقوله تعالى: ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ أي انتثرت كما قال تعالى: ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾. وأصل الانكدار الانصباب، قال أبي بن كعب: ست آيات قبل يوم القيامة،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٢) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق.

بينا الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحركت واضطربت واختلطت، ففزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطير والوحوش، فماجوا بعضهم في بعض، ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ قال: اختلطت، ﴿وإذا العشار عطلت﴾ قال: أهملها أهلها، ﴿وإذ البحار سجرت﴾ قال، قالت الجن: نحن نأتيكم بالخبر، قال: فانطلقوا إلى البحر، فإذا هو نار تتأجج، قال: فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، وإلى السماء السابعة العليا، قال: فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم[1]، وقال ابن عباس: ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ أي تغيرت، وعن يزيد بن أبي مريم مرفوعاً: «انكدرت في جهنم، وكل من عبد من دون الله فهو في جهنم، إلا ما كان من عيسى وأمه، ولو رضيا أن يعبدا لدخلاها»[2].

وقوله تعالى: ﴿وإذا الجبال سيرت﴾ أي زالت عن أماكنها ونسفت فتركت الأرض قاعاً صفصفاً، وقوله: ﴿وإذا العشار عطلت﴾ عشار الإبل، قال مجاهد: ﴿عطلت﴾ تركت وسيّبت، وقال أُبيّ بن كعب: أهملها أهلها، وقال الربيع بن خيثم: لم تحلب ولم تصر، تخلى عنها أربابها، والمعنى في هذا كله متقارب، والمقصود أن العشار من الإبل وهي خيارها والحوامل منها، واحدتها عشراء قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها، بما دهمهم من الأمر العظيم الهائل، وهو أمر يوم القيامة ووقوع مقدماتها، وقيل: بل يكون ذلك يوم القيامة يراها أصحابها، كذلك لا سبيل لهم إليها، وقد قيل في العشار: إنها السحاب تعطل عن المسير بين السماء والأرض لخراب الدنيا، والراجح أنها الإبل، والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ أي جمعت كما قال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾ قال ابن عباس: يحشر كل شيء حتى الذباب، وقال عكرمة: حشرها موتها، وعن ابن عباس قال: حشر البهائم موتها وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس[3]. وعن الربيع بن خيثم ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ قال: أتى عليها أمر الله، وعن أُبيّ بن كعب أنه قال: ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ اختلطت، قال ابن جرير: والأولى قول من قال حشرت جمعت، قال الله تعالى: ﴿والطير محشورة﴾ أي مجموعة، وقوله تعالى: ﴿وإذا البحار سجرت﴾ قال ابن عباس: يرسل الله عليها الرياح الدبور فتسعرها وتصير ناراً تأجج، وفي سنن أبي داود: «لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز، فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً» الحديث، وقال مجاهد ﴿سجرت﴾: أوقدت، وقال الحسن: يبست، وقال الضحّاك وقتادة: غاض ماؤها فذهب فلم يبق فيها قطرة، وقال الضحّاك أيضاً: ﴿سجرت﴾ فجّرت، وقال السدي: فتحت وصيرت، وقوله تعالى: ﴿وإذا النفوس زوّجت﴾ أي جمع كل شكل إلى نظيره كقوله تعالى: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ أي الضرباء كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله. روى النعمان بن بشير أن عمر بن الخطاب خطب الناس فقرأ: ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ فقال: تزوجها

---

(١) أخرجه ابن جرير.

(٢) رواه ابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه ابن جرير.

أن تؤلف كل شيعة إلى شيعتهم، يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار، فذلك تزويج الأنفس[١]، وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ قال: ذلك حين يكون الناس أزواجاً ثلاثة، وقال مجاهد: ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ قال: الأمثال من الناس جمع بينهم، واختاره ابن جرير، وقال الحسن البصري وعكرمة: زوجت الأرواح بالأبدان، وقيل: زوج المؤمنون بالحور العين، وزوج الكافرون بالشياطين[٢].

وقوله تعالى: ﴿وإذا الموءودة سئلت ۝ بأي ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ الموءودة هي التي كانت أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات، فيوم القيامة تسأل الموءودة على أي ذنت قُتلت ليكون ذلك تهديداً لقاتلها، فإنه إذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذاً؟ وقال ابن عباس: ﴿وإذا الموءودة سئلت﴾ أي سألت أي طالبت بدمها. وقد وردت أحاديث تتعلق بالموءودة فقال الإمام أحمد عن جذامة بنت وهب أخت عكاشة قالت: حضرت رسول الله ﷺ في ناس وهو يقول: لقد هممت أن أنهى عن الغيلة فنظرت في الروم وفارس، فإذا هم يغيلون أولادهم، ولا يضر أولادهم ذلك شيئاً»، ثم سألوه عن العزل؟ فقال رسول الله ﷺ: «ذلك الوأد الخفي وهو الموءودة سئلت»[٣]. وروى الإمام أحمد عن سلمة بن يزيد الجعفي قال: انطلقت أنا وأخي إلى رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله إن أمنا مليكة كانت تصل الرحم، وتقري الضيف، وتفعل، هلكت في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئاً؟ قال: «لا»، قلنا: فإنها كانت وأدت أختاً لنـا في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئاً؟ قال: «الوائدة والموءودة في النار، إلا أن يدرك الوائدة الإسلام فيعفو الله عنها»[٤]. وفي الحديث: «النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والموءودة في الجنة»[٥]. وعن قرة قال: سمعت الحسن يقول: قيل، يا رسول الله مَن في الجنة؟ قال: «الموءودة في الجنة»[٦]. وقال ابن عباس: أطفال المشركين في الجنة، فمن زعم أنهم في النار فقد كذب، يقول الله تعالى: ﴿وإذا الموءودة سئلت ۝ بأي ذنب قتلت﴾، قال ابن عباس: هي المدفونة، وقال عبد الرزاق: جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني وأدت بنات لي في الجاهلية، قال: «أعتق عن كل واحدة منهن رقبة» قال: يا رسول الله إني صاحب إبل، قال فانحر عن كل واحدة منهن بدنة»[٧] وقوله تعالى: ﴿وإذا الصحف نشرت﴾ قال الضحّاك: أعطى كل إنسان صحيفته بيمينه أو بشماله، وقال قتادة: يا ابن آدم تملي فيها ثم تطوى، ثم تنشر عليك يوم القيامة، فلينظر رجل ماذا يملي في صحيفته، قوله تعالى: ﴿وإذا السماء كشطت﴾ قال مجاهد: اجتذبت، وقال السدي: كشفت، وقال الضحّاك: تنكشط فتذهب، وقوله تعالى: ﴿وإذا الجحيم سعرت﴾ قال

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٢) حكاه القرطبي في التذكرة.

(٣) أخرجه أحمد ورواه مسلم وأبو داود والترمذي بنحوه.

(٤) أخرجه أحمد والنسائي.

(٥) أخرجه أحمد من حديث خنساء بنت معاوية الصريمية عن عمها قال، قلت: يا رسول الله من في الجنة؟ فقال الحديث.

(٦) هذا من مراسيل الحسن ومنهم من قبله.

(٧) أخرجه عبد الرزاق والحافظ البزار بنحوه عن عمر بن الخطاب.

السدي: أحميت، وقال قتادة: أوقدت، قال: وإنما يسعرها غضب الله وخطايا بني آدم، وقوله تعالى: ﴿وإذا الجنة أزلفت﴾ قال الضحّاك: أي قربت إلى أهلها، وقوله تعالى: ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ هذا هو الجواب أي إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت، وأحضر ذلك لها كما قال تعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾، وقال تعالى: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾. عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: لما نزلت: ﴿إذا الشمس كورت﴾ قال عمر: لما بلغ ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ قال: لهذا أجري الحديث.

فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

﴿**فلا أقسم بالخنَّس ۝ الجوار الكُنَّس**﴾ قال علي: هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل. وروى ابن جرير عن خالد بن عرعرة سمعت علياً، وسئل عن ﴿لا أُقسم بالخنس ۝ الجوار الكنس﴾ فقال: هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل[1]، وكذا روي عن ابن عباس ومجاهد والحسن: أنها النجوم، وقال بعض الأئمة: إنما قيل للنجوم الخنس، أي في حال طلوعها، ثم هي جوار في فلكها، وفي حال غيبوبتها يقال لها كنّس، من قول العرب: أوى الظبي إلى كناسه، إذا تغيب فيه، وروى الأعمش عن عبدالله ﴿فلا أقسم بالخنس﴾ قال: بقر الوحش، وقال ابن عباس ﴿الجوار الكنس﴾ البقر تكنس إلى الظل، وقال العوفي عن ابن عباس: هي الظباء[2]، وقال أبو الشعثاء: هي الظباء والبقر، وتوقف ابن جرير في المراد بقوله: ﴿الخنس الجوار الكنس﴾ هل هو النجوم أو الظباء وبقر الوحش؟ قال: ويحتمل أن يكون الجميع مراداً، وقوله تعالى: ﴿والليل إذا عسعس﴾ فيه قولان (**أحدهما**): إقباله بظلامه، قال مجاهد: أظلم: وقال سعيد بن جبير: إذا نشأ، وقال الحسن البصري: إذا غشي الناس، (**والثاني**): إدباره، قال ابن عباس: ﴿إذا عسعس﴾ إذا أدبر، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحّاك ﴿إذا عسعس﴾ أي إذا ذهب فتولى، وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله: ﴿إذا عسعس﴾ إذا أدبر، قال: لقوله تعالى: ﴿والصبح إذا تنفس﴾ أي أضاء، واستشهد بقول الشاعر أيضاً:

حتى إذا الصبح له تنفسا ... وانجاب عنها ليلها وعسعسا

---

(١) أخرجه ابن جرير.

(٢) وكذا قال سعيد بن جبير ومجاهد والضحاك.

أي أدبر ، وعندي أن المراد بقوله : ﴿ إذا عسعس ﴾ إذا أقبل ، وإن كان يصح استعماله في الإدبار أيضاً، لكن الإقبال ههنا أنسب ، كأنه أقسم بالليل وظلامه إذا أقبل، وبالفجر وضيائه إذا أشرق، كما قال تعالى: ﴿ والليل إذا يغشى ۞ والنهار إذا تجلى ﴾، وقال تعالى: ﴿ والضحى ۞ والليل إذا سجى ﴾، وقال تعالى: ﴿ فالق الاصباح وجعل الليل سكناً ﴾ وغير ذلك من الآيات، وقوله تعالى: ﴿ والصبح إذا تنفس ﴾ قال الضحّاك: إذا طلع، وقال قتادة: إذا أضاء وأقبل، وقال سعيد بن جبير : إذا نشأ، وقال ابن جرير : يعني ضوء النهار إذا أقبل وتبيّن .

وقوله تعالى : ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ يعني إن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم، أي ملك شريف حسن الخلق بهي المنظر ، وهو (جبريل) عليه الصلاة والسلام، ﴿ ذي قوة ﴾ كقوله تعالى: ﴿ علمه شديد القوى ۞ ذو مرة ﴾ أي شديد الخلق شديد البطش والفعل، ﴿ عند ذي العرش مكين ﴾ أي له مكانة عند الله عزَّ وجلَّ ومنزلة رفيعة، ﴿ مطاع ثَمّ ﴾ أي له وجاهة وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى، قال قتادة: ﴿ مطاع ثم ﴾ أي في السماوات، يعني ليس هو من أفناد[1] الملائكة، بل هو من السادة والأشراف، معتنى به انتخب لهذه الرسالة العظيمة، وقوله تعالى: ﴿ أمين ﴾ صفة لجبريل بالأمانة، وهذا عظيم جداً، أن الرب عزَّ وجلَّ يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل كما زكى عبده ورسوله البشري محمداً ﷺ بقوله تعالى: ﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾ قال الشعبي وميمون: المراد بقوله ﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾ يعني محمداً ﷺ، وقوله تعالى : ﴿ ولقد رآه بالأفق المبين ﴾ يعني ولقد رأى محمد (جبريل)، الذي يأتيه بالرسالة عن الله عزَّ وجلَّ، على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح، ﴿ بالأفق المبين ﴾ أي البين، وهي الرؤية الأولى كانت بالبطحاء، وهي المذكورة في قوله: ﴿ علمه شديد القوى ۞ ذو مرة فاستوى ۞ وهو بالأفق الأعلى ﴾، والظاهر أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء، لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهي الأولى، وأما الثانية وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ ولقد رآه نزلة أُخرى ۞ عند سدرة المنتهى ۞ عندها جنة المأوى ۞ إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾ فتلك إنما ذكرت في سورة النجم، وقد نزلت بعد سورة الإسراء، وقوله تعالى: ﴿ وما هو على الغيب بظنين ﴾ أي بمتهم، ومنهم من قرأ ذلك بالضاد، أي ببخيل بل يبذله لكل أحد . قال سفيان بن عيينة: (ظنين) و (ضنين) سواء، أي ما هو بفاجر ، و (الظنين) المتهم ، و (الضنين) البخيل، وقال قتادة: كان القرآن غيباً فأنزله الله على محمد، فما ضنّ به على الناس بل نشره وبلغه وبذله لكل من أراده ، واختار ابن جرير قراءة الضاد . (**قلت**) : وكلاهما متواتر ومعناه صحيح كما تقدَّم ، وقوله تعالى : ﴿ وما هو بقول شيطان رجيم ﴾ أي وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم، أي لا يقدر على حمله ولا يريده ولا ينبغي له ، كما قال تعالى: ﴿ وما تنزلت به الشياطين ۞ وما ينبغي لهم وما يستطيعون ۞ إنهم عن السمع لمعزولون ﴾ . وقوله تعالى: ﴿ فأين تذهبون ﴾ ؟ فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن، مع ظهوره ووضوحه وبيان كونه حقاً من عند الله عزَّ وجل ! كما قال الصديق رضي الله عنه لوفد بني حنيفة حين قدموا مسلمين، وأمرهم فتلوا عليه شيئاً من قرآن مسيلمة الكذّاب الذي هو في غاية الهذيان والركاكة فقال: ويحكم أين تذهب عقولكم ؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إل » أي من إله، وقال قتادة: ﴿ فأين تذهبون ﴾ أي عن كتاب الله

(١) أفناد : جماعات .

وعن طاعته، وقوله تعالى: ﴿ إن هو إلا ذكر للعـالمين ﴾ أي هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون بـه ويتعظون ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم ﴾ أي لمن أراد الهداية فعليه بهذا القرآن فإنه مناجاة له وهداية، ولا هداية فيما سواه، ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ أي ليست المشيئة موكولة إليكم، بـل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين، قال سفيان الثوري: لمـا نزلت هذه الآية: ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم ﴾ قال أبو جهل: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ .

[آخر تفسير سورة التكوير ، ولله الحمد والمنة]

* * *

تفسير سورة التكوير

وهى مكية .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا عبد الله بن بحير القاص : أن عبد الرحمن بن يزيد الصنعانى أخبره : أنه سمع ابن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ : « من سَرَّه أن ينظر إلىّ يوم القيامة كأنه رأىُ عين فليقرأ : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ ، و ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴾ ، و ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ » .

وهكذا رواه الترمذى ، عن العباس بن عبد العظيم العَنْبَرىّ ، عن عبد الرزاق ، به [١] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ⑧ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ⑨ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ⑩ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ⑫ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ⑬ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ⑭ ﴾ .

قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ يعنى : أظلمت . وقال العوفى ، عنه : ذهبت ، وقال مجاهد : اضمحلّت وذَهَبت . وكذا قال الضحاك .

وقال قتادة : ذهب ضوؤها . وقال سعيد بن جبير : ﴿ كُوِّرَتْ ﴾ : غُوِّرت .

وقال الربيع بن خُثَيم : ﴿ كُوِّرَتْ ﴾ يعنى : رمى بها .

وقال أبو صالح : ﴿ كُوِّرَتْ ﴾ : ألقيت . وعنه أيضا : نكست . وقال زيد بن أسلم : تقع فى الأرض .

قال ابن جرير : والصواب من القول عندنا فى ذلك أن التكوير جَمعُ الشىء بعضه إلى [٢] بعض، ومنه تكوير العمامة [وهو لفها على الرأس ، وكتكوير الكاره ، وهى] [٣] جمع الثياب بعضها إلى[٤] بعض ، فمعنى قوله : ﴿ كُوِّرَتْ ﴾ : جمع بعضها إلى بعض ، ثم لفت فرمى بها ، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها [٥] .

---

(١) المسند (٢/٢٧) ، وسنن الترمذى برقم (٣٣٣٣) ، وقال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب » .

(٢) فى م :« على » .

(٣) زيادة من تفسير الطبرى .

(٤) فى م :« على » .

(٥) تفسير الطبرى (٣٠/٤١) .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودى ، حدثنا أبو أسامة ، عن مجالد ، عن شيخ من بَجِيلة ، عن ابن عباس : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ قال : يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فى البحر ، ويبعث الله ريحا دبوراً فتضرمها نارا . وكذا قال عامر الشعبى . ثم قال ابن أبى حاتم :

حدثنا أبى ، حدثنا أبو صالح ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن ابن يزيد بن أبى مريم ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال فى قول الله : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ ، قال : « كورت فى جهنم » (١) .

وقال الحافظ أبو يعلى فى مسنده : حدثنا موسى بن محمد بن حَيَّان ، حدثنا دُرُسْتُ بن زياد ، حدثنا يزيد الرقاشى ، حدثنا أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « الشمس والقمر ثوران (٢) عقيران فى النار » (٣) .

هذا حديث ضعيف ؛ لأن يزيد الرقاشى ضعيف ، والذى رواه البخارى فى الصحيح بدون هذه الزيادة ، ثم قال البخارى :

حدثنا مُسَدَّد ، حدثنا عبد العزيز بن المختار ، حدثنا عبد الله الداناجُ ، حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ : « الشمس والقمر يكوران يوم القيامة » (٤) .

انفرد به البخارى وهذا لفظه ، وإنما أخرجه فى كتاب « بدء الخلق » ، وكان جديراً أن يذكره هاهنا أو يكرره ، كما هى عادته فى أمثاله ! وقد رواه البزار فَجَوّد إيراده فقال :

حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادى ، حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا عبد العزيز بن المختار ، عن عبد الله الداناج قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن خالد بن عبد الله القسرى فى هذا المسجد ــ مسجد الكوفة ، وجاء الحسن فجلس إليه فَحدّث قال : حدثنا أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «إن الشمس والقمر نوران فى النار يوم القيامة » . فقال الحسن : وما ذنبهما ؟ فقال : أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول : أحسبه قال : وما ذنبهما .

ثم قال : لا يروى عن أبى هُرَيرة إلا من هذا الوجه ، ولم يرو عبد الله الداناج عن أبى سلمة سوى هذا الحديث .

وقوله : ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾ أى : انتثرت ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴾ [الانفطار:٢] ، وأصل الانكدار : الانصباب .

قال الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، عن أبى بن كعب قال : ست آيات قبل يوم القيامة ، بينا الناس فى أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس ، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم ، فبينما هم كذلك إذ

(١) ورواه الديلمى فى مسنده ، كما فى الدر المنثور للسيوطى (٨/ ٤٢٦) .

(٢) فى م ،أ ، هـ :« نوران » ، والصواب بالثاء .

(٣) مسند أبى يعلى (٧/ ١٤٨) ، ورواه ابن حبان فى المجروحين (١/ ٢٩٣) من طريق درست بن زياد به ، وقال فى درست بن زياد : «كان منكر الحديث جداً ، لا يحل الاحتجاج بخبره. وروى عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك ، فذكر هذا الحديث » .

(٤) صحيح البخارى برقم (٣٢٠٠) .

وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت واختلطت ، ففزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن ، واختلطت الدواب والطير والوحوش ، فماجوا بعضهم فى بعض : ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ قال : اختلطت ، ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ قال : أهملها أهلها ، ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ قال : قالت الجن : نحن نأتيكم بالخبر . قال : فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تأجَّجُ ، قال : فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا ، قال فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم .

رواه ابن جرير [(١)] ــ وهذا لفظه ــ وابن أبى حاتم ، ببعضه ، وهكذا قال مجاهد والربيع بن خُثَيم [(٢)] ، والحسن البصرى ، وأبو صالح ، وحماد بن أبى سليمان ، والضحاك فى قوله : ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾ أى : تناثرت .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾ أى : تغيرت . وقال يزيد ابن أبى مريم عن النبى ﷺ : ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾ قال : « انكدرت فى جهنم ، وكل من عبد من دون الله فهو فى جهنم ، إلا ما كان من عيسى وأمه ، ولو رضيا أن يُعبَدا لدخلاها » . رواه ابن أبى حاتم بالإسناد المتقدم .

وقوله : ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ أى: زالت عن أماكنها ونُسِفت، فتركت الأرض قاعا صفصفا .

وقوله :﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾. قال عكرمة ، ومجاهد: عشار الإبل .قال مجاهد:﴿ عُطِّلَتْ﴾: تركت وسُيِّبت .

وقال أبى بن كعب ، والضحاك : أهملها أهلها : وقال الربيع بن خُثَيم [(٣)] : لم تحلب ولم تُصَرّ، تخلى منها أربابها .

وقال الضحاك : تركت لا راعى لها .

والمعنى فى هذا كله متقارب . والمقصود أن العشار من الإبل ــ وهى : خيارها والحوامل منها التى قد وَصَلَت فى حملها إلى الشهر العاشر ، واحدها [(٤)] : عُشَراء ، ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع ــ قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها ، بعد ما كانوا أرغب شىء فيها ، بما دَهَمهم من الأمر العظيم المُفظع الهائل ، وهو أمر القيامة وانعقاد أسبابها ، ووقوع مقدماتها .

وقيل : بل يكون ذلك يوم القيامة ، يراها أصحابها كذلك ولا سبيل لهم إليها . وقد قيل فى العشار : إنها السحاب يُعطَّل عن المسير بين السماء والأرض ، لخراب الدنيا . و[قد] [(٥)] قيل : إنها الأرض التى تُعشَّر . وقيل : إنها الديار التى كانت تسكن تُعطَّل لذهاب أهلها . حكى هذه الأقوال كلها الإمام أبو عبد الله القرطبى فى كتابه « التذكرة » ،ورجح أنها الإبل ، وعزاه إلى أكثر الناس [(٦)] .

---

(١) تفسير الطبرى (٣٠/ ٤١) .

(٢ ، ٣) فى أ :« خيثم » . (٤) فى م :« واحدتها » . (٥) زيادة من م .

(٦) التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٢١٢، ٢١٣) .

قلت : بل لا يعرف عن السلف والأئمة سواه ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَت** ﴾ أى : جمعت . كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ** ﴾ [الأنعام:٣٨]. قال ابن عباس : يحشر كل شىء حتى الذباب . رواه ابن أبى حاتم . وكذا قال الربيع بن خُثَيم (١) والسّدىّ ، وغير واحد . وكذا قال قتادة فى تفسير هذه الآية : إن هذه الخلائق [موافية] (٢) فيقضى الله فيها ما يشاء .

وقال عكرمة : حشرها : موتها .

وقال ابن جرير : حدثنى على بن مسلم الطوسى ، حدثنا عباد بن العوام ، أخبرنا حُصَين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله :﴿ **وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَت** ﴾ قال : حَشرُ البهائم : موتها ، وحشر كل شىء الموت غيره (٣) الجن والإنس ، فإنهما يوقفان يوم القيامة .

حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا وَكِيع ، عن سفيان ، عن أبيه ،عن أبى يعلى ،عن الربيع بن خُثَيم(٤): ﴿ **وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَت** ﴾ قال : أتى عليها أمر الله . قال سفيان : قال أبى : فذكرته لعكرمة ، فقال: قال ابن عباس : حشرها : موتها .

وقد تقدم عن أبىّ بن كعب أنه قال : ﴿ **وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَت** ﴾ : اختلطت .

قال ابن جَرير : والأولى قَولُ من قال : ﴿ **حُشِرَت** ﴾ : جُمعت ، قال الله تعالى : ﴿ **وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً** ﴾ [ص:١٩] ، أى : مجموعة .

وقوله : ﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَت** ﴾ ، قال ابن جرير : حدثنى يعقوب ، حدثنا ابن عُلَية ، عن داود ، عن سعيد بن المسيب قال : قال على ، رضى الله عنه ، لرجل من اليهود : أين جهنم ؟ قال: البحر . فقال : ما أراه إلا صادقا . ﴿ **وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ** ﴾ [الطور:٦] ، ﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَت** ﴾ [مُخفّفة](٥) (٦) .

وقال ابن عباس وغير واحد : يرسل الله عليها الدّبور فتسعرها ، وتصير ناراً تأجج ، وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله : ﴿ **وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ** ﴾ .

وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين بن الجنيد ، حدثنا أبو طاهر ، حدثنى عبد الجبار بن سليمان أبو سليمان النفاط ــ شيخٌ صَالِح يُشبهُ مالكَ بن أنس ــ عن معاوية بن سعيد قال : إن هذا البحر بركة ــ يعنى بحر الرُّوم ــ وسط الأرض ، والأنهار كلها تصب فيه ، والبحر الكبير يصب فيه ، وأسفله آبار مطبقة بالنحاس ، فإذا كان يوم القيامة أسجر .

---

(١) فى أ :« خيثم » . (٢) زيادة من م ، أ . (٣) فى م:« غير » .

(٤) فى أ :« خيثم » .

(٥) زيادة من تفسير الطبرى .

(٦) تفسير الطبرى (٣٠/٤٣) .

وهذا أثر غريب عجيب . وفى سنن أبى داود : « لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز ، فإن تحت البحر نارا ، وتحت النار بحرا » الحديث ، وقد تقدم الكلام عليه فى سورة « فاطر » (١) .

وقال مجاهد ، والحسن بن مسلم : ﴿ سُجِّرَت ﴾ : أوقدت . وقال الحسن : يبست . وقال الضحاك ، وقتادة : غاض ماؤها فذهب ولم يبق فيها قطرة . وقال الضحاك أيضا : ﴿ سُجِّرَت ﴾ فجرت . وقال السدى: فتحت وسيرت . وقال الربيع بن خُثَيم (٢) : ﴿ سُجِّرَت ﴾ : فاضت .

وقوله : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ أى : جمع كل شكل إلى نظيره ، كقوله : ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ [الصافات: ٢٢] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا محمد بن الصباح البزار ، حدثنا الوليد بن أبى ثور ، عن سمَاك ، عن النعمان بن بشير أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ قال : الضرباء ، كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله » ، وذلك بأن الله عز وجل يقول : ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً . فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ . وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ [الواقعة: ٧ ـ ١٠] ، قال : هم الضرباء (٣) .

ثم رواه ابن أبى حاتم من طرق أخر ، عن سماك بن حرب ، عن النعمان بن بشير أن عُمَر خطب الناس فقرأ : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ فقال : تَزَوّجها : أن تؤلف (٤) كل شيعة إلى شيعتهم . وفى رواية : هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة أو النار (٥) .

وفى رواية عن النعمان قال : سئل عمر عن قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ فقال : يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح ،ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء فى النار ، فذلك تزويج الأنفس .

وفى رواية عن النعمان أن عمر قال للناس : ما تقولون فى تفسير هذه الآية : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ ؟ فسكتوا . قال : ولكن هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة ، والرجل يزوج نظيره من أهل النار ، ثم قرأ : ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ .

وقال العوفى ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ قال : ذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثة .

وقال ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ قال : الأمثال من الناس جمع

(١) لم يتقدم الكلام على الحديث فى سورة « فاطر » ،وهو فى سنن أبى داود برقم (٢٤٨٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما.

(٢) فى أ : « خيثم » .

(٣) ورواه ابن مردويه فى تفسيره ، كما فى الدر المنثور (٨/ ٤٢٩) .

(٤) فى أ : « أن يؤلف الله » .

(٥) ورواه أبو بكر بن حمدان كما فى مسند عمر (٢/ ٦٢٠) للمؤلف من طريق خلف بن الوليد ، عن إسرائيل عن سماك بنحوه ،ورواه عبد الرزاق فى تفسيره (٢/ ٢٨٤، ٢٨٥) ،عن الثورى ، عن سماك ، عن النعمان ، وعن إسرائيل ،عن سماك ، عن النعمان ، ورواه الحاكم فى المستدرك (٢/ ٥١٥) من طريق سفيان عن سماك ، عن النعمان بن بشير رضى الله عنه .

بينهم . وكذا قال الربيع بن خُثَيم [(١)] والحسن ، وقتادة . واختاره ابن جرير ، وهو الصحيح .

قول آخر فى قوله : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ ، قال ابن أبى حاتم :

حدثنا على بن الحسين بن الجنيد ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن أشعث [بن سوار] [(٢)] ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : يسيل واد من أصل العرش من ماء فيما بين الصيحتين ، ومقدار ما بينهما أربعون عاما ، فينبت منه كل خلق بلى ، من الإنسان أو طير أو دابة ، ولو مر عليهم مار قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم على الأرض . قد نبتوا ، ثم تُرسَل الأرواح فتزوج الأجساد ، فذلك قول الله تعالى [(٣)] : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ .

وكذا قال أبو العالية ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والشعبى ، والحسن البصرى أيضا فى قوله: ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ أى : زوجت بالأبدان . وقيل : زوج المؤمنون بالحور العين ، وزوج الكافرون بالشياطين . حكاه القرطبى فى « التذكرة » [(٤)] .

وقوله : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ ، هكذا قراءة الجمهور : ﴿ سُئِلَت ﴾ . والموؤودة هى التى كان أهل الجاهلية يدسونها فى التراب كراهية البنات ، فيوم القيامة تسأل الموؤودة على أى ذنب قتلت ،ليكون ذلك تهديداً لقاتلها ، فإذا [(٥)] سئل المظلوم فما ظن الظالم إذا ؟ !

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَت ﴾ أى : سألت . وكذا قال أبو الضحى : « سألت » أى : طلبت بدمها . وعن السدى ، وقتادة ، مثله[(٦)] .

وقد وردت أحاديث تتعلق بالموؤودة ، فقال الإمام أحمد :

حدثنا عبد الله بن يزيد ، حدثنا سعيد بن أبى أيوب ، حدثنى أبو الأسود ـ وهو : محمد بن عبد الرحمن بن نوفل ـ عن عروة ، عن عائشة ، عن جُدَامة بنت وهب ـ أخت عكاشة ـ قالت حضرتُ رسولَ الله ﷺ فى ناس وهو يقول : « لقد هممت أن أنهى عن الغيلَة ، فنظرت فى الروم وفارس فإذا هم يُغيلُونَ أولادهم ، ولا يضر أولادهم ذلك شيئا » . ثم سألوه عن العزل ، فقال رسول الله ﷺ : « ذلك الوأد الخفى ، وهو الموؤودة سئلت » .

ورواه مسلم من حديث أبى عبد الرحمن المقرئ ـ وهو عبد الله بن يزيد ـ عن سعيد بن أبى أيوب[(٧)] . ورواه أيضا ابن ماجة ، عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن يحيى بن إسحاق السيلحينى ، عن يحيى بن أيوب[(٨)] . ورواه مسلم أيضا وأبو داود والترمذى، والنسائى ، من حديث مالك بن

---

(١) فى أ : « خيثم » .

(٢) زيادة من م .

(٣) فى م ، أ :« قول الله عز وجل » .

(٤) التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٢١٣) .

(٥) فى م :« فإنه إذا » .

(٦) انظر : تفسير الطبرى (٣٠/ ٤٥) ، والبحر المحيط لأبى حيان (٨/ ٤٣٣) .

(٧) المسند (٦/ ٤٣٤) ، وصحيح مسلم برقم (١٤٤٢) .

(٨) سنن ابن ماجة برقم (٢٠١١) .

أنس ، ثلاثتهم عن أبى الأسود ، به[(١)] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبى عَدى ، عن داود بن أبى هند ، عن الشعبى ، عن علقمة ، عن سلمة بن يزيد الجُعْفى قال : انطلقتُ أنا وأخى إلى رسول الله ﷺ فقلنا : يا رسول الله ، إن أمنا مليكة كانت تَصل الرحم وتقرى الضيف ، وتفعل [وتفعل][(٢)] هلكت فى الجاهلية ، فهل ذلك نافعها شيئا ؟ قال : « لا » . قلنا : فإنها كانت وأدت أختا لنا فى الجاهلية ، فهل ذلك نافعُها شيئا ؟ قال : « الوائدةُ والموؤودةُ فى النار ، إلا أن يدركَ الوائدةَ الإسلامُ ، فيعفو الله عنها » .

ورواه النسائى ،من حديث داود بن أبى هند ، به[(٣)] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطى ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى[(٤)]، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن علقمة وأبى الأحوص ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ: «الوائدة والموؤودة فى النار » [(٥)] .

وقال أحمد أيضا : حدثنا إسحاق الأزرق ، أخبرنا عوف ، حدثتنى حسناء[(٦)] ابنة معاوية الصُّرَيمية ، عن عمها قال : قلت : يا رسول الله ، من فى الجنة ؟ قال : « النبى فى الجنة ، والشهيد فى الجنة ، والمولود فى الجنة ، والموؤودة فى الجنة » [(٧)] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا قرة قال : سمعت الحسن يقول : قيل : يا رسول الله ، من فى الجنة ؟ قال : « الموؤودة فى الجنة » .

هذا حديث مرسل من مراسيل الحسن ، ومنهم من قبله .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنى أبو عبد الله الظهرانى ، حدثنا حفص بن عمر العدنى ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة قال : قال ابن عباس : أطفال المشركين فى الجنة ، فمن زعم أنهم فى النار فقد كذب ، يقول الله عز وجل[(٨)] : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ . قال ابن عباس: هى المدفونة .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا إسرائيل ، عن سمَاك بن حرب ، عن النعمان بن بشير ، عن عمر بن الخطاب فى قوله: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . [بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ] [(٩)] ﴾ ، قال : جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنى وأدت بنات لى فى الجاهلية ، فقال : « أعتق عن كل واحدة منهن رقبة » . قال : يا رسول الله ، إنى صاحب إبل ؟ قال : « فانحر عن كل واحدة منهن بدنة » .

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٤٤٢) ، وسنن أبى داود برقم (٣٨٨٢) وسنن الترمذى برقم (٢٠٧٧) وسنن النسائى (٦/١٠٦) .

(٢) زيادة من م، أ والمسند .

(٣) المسند (٣/٤٧٨) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٤٩) .

(٤) فى أ :« التبريذى » .

(٥) ورواه أبو داود فى السنن برقم (٤٧١٧) من طريق أبى إسحاق ، عن عامر ، عن علقمة ،عن ابن مسعود به ، ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير (١٠/ ١١٤) من طريق أبى إسحاق ،عن الشعبي عن علقمة ،عن ابن مسعود ، به .

(٦) فى م، أ :« خنساء ».

(٧) المسند (٥/ ٥٨) .

(٨) فى م : « الله تعالى » .

(٩) زيادة من أ.

قال الحافظ أبو بكر البزار: خولف فيه عبد الرزاق، ولم نكتبه إلا عن الحسين بن مهدى ، عنه[١] .

وقد رواه ابن أبى حاتم فقال : أخبرنا أبو عبد الله الظهرانى[٢] ـ فيما كتب إلى ـ قال : حدثنا عبد الرزاق . . . فذكره بإسناده مثله ، إلا أنه قال : « وأدت ثمان بنات لى فى الجاهلية » . وقال فى آخره : « فأهد إن شئت عن كل واحدة[٣] بدنة » . ثم قال :

حدثنا أبى ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن الأغر بن الصباح ، عن خليفة بن حُصَين قال : قدم قيس بن عاصم على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنى وأدتُ اثنتى عشرة ابنةً لى فى الجاهلية ـ أو : ثلاث عشرة ـ قال[٤] : « اعتق عددهن نَسَما » . قال : فأعتق عددهن نسما ، فلما كان فى العام المقبل جاء بمائة ناقة ، فقال : يا رسول الله ، هذه صدقة قومى على أثر ما صنعت بالمسلمين . قال على بن أبى طالب : فكنا نريحها ، ونسميها القيسية[٥] .

وقوله : ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ : قال الضحاك : أعطى كل إنسان صحيفته بيمينه أو بشماله .

وقال قتادة : [صحيفتك][٦] يا ابن آدم، تُملى فيها ، ثم تطوى ، ثم تنشر عليك يوم القيامة ، فلينظر[٧] رجل ماذا يملى فى صحيفته .

وقوله : ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾ : قال مجاهد : اجتذبت . وقال السدى : كشفت . وقال الضحاك : تنكشط فتذهب .

وقوله : ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ : قال السدى : أحميت . وقال قتادة : أوقدت . قال : وإنما يسعرها غضب الله وخطايا بنى آدم .

وقوله : ﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ : قال الضحاك ، وأبو مالك ، وقتادة ، والربيع بن خُثَيم[٨] أى: قربت إلى أهلها .

وقوله : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ ، هذا هو الجواب ، أى : إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك لها ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران: ٣٠] . وقال تعالى : ﴿ يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ [القيامة: ١٣] .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا عبدة ، حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا محمد بن مُطَرِّف ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه قال : لما نزلت : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ ، قال عمر : لما بلغ ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ قال : لهذا أجرىَ الحديثُ .

---

(١) مسند البزار برقم (٢٢٨٠) « كشف الأستار » .

(٢) فى م ، أ : « الطبرانى » . (٣) فى م : « واحدة منهن » . (٤) فى م : « فقال » .

(٥) ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير (١٨/٣٣٨) من طريق يحيى الحمانى، عن قيس بن الربيع به نحوه، والحمانى ضعيف لكنه توبع هنا.

(٦) زيادة من تفسير الطبرى (٣٠/٤٦) . مستفاداً من هامش ط . الشعب .

(٧) فى م : « فينظر » . (٨) فى أ : « خيثم » .

﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) ﴾ .

روى مسلم فى صحيحه ، والنسائى فى تفسيره عند هذه الآية ، من حديث مِسْعر بن كِدَام ، عن الوليد بن سَرِيع ، عن عمرو بن حُرَيث قال : صليت خلف النبى ﷺ الصبح ، فسمعته يقرأ : ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّسِ . وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ . وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ (١) .

ورواه النسائى عن بندار ، عن غُنْدَر ، عن شعبة ، عن الحجاج بن عاصم ، عن أبى الأسود ، عن عمرو بن حُرَيث ، به نحوه (٢) .

قال ابن أبى حاتم وابن جرير ، من طريق الثورى ، عن أبى إسحاق ، عن رجل من مراد ، عن على : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ قال : هى النجوم تخنس بالنهار ، وتظهر بالليل .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن المثنى ، حدثنا محمد بن جعفر قال : حدثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، سمعت خالد بن عرعرة ، سمعت عليا وسئل عن: ﴿لا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ فقال: هى النجوم ، تخنس بالنهار وتكنس بالليل (٣) .

وحدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا وَكِيع ، عن إسرائيل ، عن سِماك ، عن خالد ، عن علىّ قال : هى النجوم .

وهذا إسناد جيد صحيح إلى خالد بن عرعرة ، وهو السهمى الكوفى ، قال أبو حاتم الرازى : روى عن على ، وروى عنه سماك والقاسم بن عوف الشيبانى (٤) . ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلا ، والله أعلم .

وروى يونس ، عن أبى إسحاق ، عن الحارث ، عن على : أنها النجوم . رواه ابن أبى حاتم . وكذا رُوى عن ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والسّدى ، وغيرهم : أنها النجوم .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا هَوذة بن خليفة ، حدثنا عوف ، عن بكر بن عبد الله فى قوله : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ قال :هى النجوم الدرارىّ ، التى تجرى تستقبل المشرق .

---

(١) صحيح مسلم برقم (٤٥٦) ، وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٥١) .

(٢) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٥٠) .

(٣) تفسير الطبرى (٣٠/٤٧) .

(٤) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم (٣/ ٣٤٣) .

وقال بعض الأئمة : إنما قيل للنجوم : « الخنس » ، أى : فى حال طلوعها ، ثم هى جوار فى فلكها ، وفى حال غيبوبتها يقال لها : « كُنَّس » من قول العرب: أوى الظبى إلى كِنَاسة: إذا تغيب فيه .

وقال الأعمش ، عن إبراهيم قال : قال عبد الله : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴾ قال : بقر الوحش .

وكذا قال الثورى ، عن أبى إسحاق ، عن أبى ميسرة ، عن عبد الله : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّس ﴾ ، ما هى يا عمرو ؟ قلت : البقر . قال : وأنا أرى ذلك .

وكذا روى يونس بن أبى إسحاق ، عن أبيه .

وقال أبو داود الطيالسى ، عن عمرو ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس: ﴿ الْجَوَارِ الْكُنَّس ﴾ قال : البقر [الوحش] (١) تكنس إلى الظل . وكذا قال سعيد بن جبير .

وقال العوفى ، عن ابن عباس : هى الظباء . وكذا قال سعيد أيضا ، ومجاهد ، والضحاك .

وقال أبو الشعثاء جابر بن زيد : هى الظباء والبقر .

وقال ابن جرير : حدثنا يعقوب ، حدثنا هُشَيْم ، أخبرنا مغيرة (٢) ، عن إبراهيم ومجاهد : أنهما تذاكرا هذه الآية : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّس﴾ ، فقال إبراهيم لمجاهد : قل فيها بما سمعت. قال : فقال مجاهد : كنا نسمع فيها شيئا ، وناس يقولون : إنها النجوم . قال : فقال إبراهيم : قل فيها بما سمعت . قال : فقال مجاهد : كنا نسمع أنها بقر الوحش حين تكنس فى حُجْرتها . قال : فقال إبراهيم : إنهم يكذبون على علىّ ، هذا كما رووا عن على أنه ضمن الأسفل الأعلى ، والأعلى الأسفل .

وتوقف ابن جرير فى قوله : ﴿ الْخُنَّسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّس ﴾ ، هل هو النجوم ، أو الظباء وبقر الوحش ؟ قال : ويحتمل أن يكون الجميع مرادا .

وقوله : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾ ، فيه قولان :

أحدهما : إقباله بظلامه . قال مجاهد : أظلم . وقال سعيد بن جبير : إذا نشأ . وقال الحسن البصرى : إذا غَشى الناس . وكذا قال عطية العوفى .

وقال على بن أبى طلحة ، والعوفى عن ابن عباس : ﴿ إِذَا عَسْعَسَ ﴾ : إذا أدبر . وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وكذا قال زيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن : ﴿ إِذَا عَسْعَسَ ﴾ أى : إذا ذهب فتولى .

وقال أبو داود الطيالسى : حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى البَخْتَرى ، سمع أبا عبد الرحمن السلمى قال : خرج علينا على ، رضى الله عنه ، حين ثَوَّب المثوب بصلاة الصبح فقال : أين السائلون عن الوتر : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ . وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ ؟ هذا حين أدبر حسن .

---

(١) زيادة من م . (٢) فى أ: « سفيان » .

وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله : ﴿ إِذَا عَسْعَسَ ﴾ : إذا أدبر . قال لقوله : ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ أى : أضاء ، واستشهد بقول الشاعر (١) أيضا :

حتّى إذا الصبحُ له تَنَفَّسا ... وانجابَ عنها لَيلُها وعَسعَسَا

أى : أدبر . وعندى أن المراد بقوله: ﴿ عَسْعَسَ ﴾ : إذا أقبل ، وإن كان يصح استعماله فى الإدبار ، لكن الإقبال هاهنا أنسب ؛ كأنه أقسم تعالى بالليل (٢) وظلامه إذا أقبل ، وبالفجر وضيائه إذا أشرق ، كما قال : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ . وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ [الليل: ١ ، ٢]، وقال : ﴿ وَالضُّحَىٰ . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ [الضحى: ١ ، ٢] ، وقال : ﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيلَ سكنا ﴾ [الأنعام: ٩٦] ، وغير ذلك من الآيات .

وقال كثير من علماء الأصول : إن لفظة « عسعس » تستعمل فى الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك ، فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما ، والله أعلم .

قال ابن جرير : وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن « عسعس » : دنا من أوله وأظلم. وقال الفراء : كان أبو البلاد (٣) النحوى يُنشد بيتاً :

عَسعَس حتّى لو يشاء ادّنا ... كانَ له من ضَوئه مَقبِس

يريد : لو يشاء إذ دنا ، أدغم الذال فى الدال . وقال الفراء : وكانوا يَرَون أن هذا البيت مصنوع (٤) .

وقوله : ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ ، قال الضحاك : إذا طلع . وقال قتادة : إذا أضاء وأقبل . وقال سعيد بن جبير : إذا نشأ . وهو المروى عن على ، رضى الله عنه .

وقال ابن جرير : يعنى : وَضَوءُ النهار إذا أقبل وتَبَيَّن .

وقوله : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ يعنى : إن هذا القرآن لتبليغُ رسول كريم ، أى : ملك شريف حَسَن الخلق ، بهى المنظر ، وهو جبريل ، عليه الصلاة والسلام . قاله ابن عباس ، والشعبى، وميمون بن مِهْران ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، والربيع بن أنس ، وغيرهم .

﴿ ذِى قُوَّةٍ ﴾ كقوله : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ . ذُو مِرَّةٍ [فَاسْتَوَىٰ] (٥) ﴾ [النجم: ٥ ، ٦] ، أى : شديد الخَلْق ، شديد البطش والفعل ، ﴿ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ أى : له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة .

قال أبو صالح فى قوله : ﴿ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ قال : جبريل يدخل فى سبعين حجاباً من

(١) البيت فى تفسير الطبرى (٣٠/ ٥٠) منسوبا إلى علقمة بن قرط.
(٢) فى م :« بالفجر » . (٣) فى أ :« أبو التلاد » .
(٤) تفسير الطبرى (٣٠/ ٥٠) .
(٥) زيادة من أ .

نور بغير إذن ، ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ ﴾ أى : له وجاهة ، وهو مسموع القول مطاع فى الملأ الأعلى .

قال قتادة : ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ ﴾ أى : فى السموات ، يعنى : ليس هو من أفناء الملائكة ، بل هو من السادة والأشراف ، مُعتَنَى به ، انتخب لهذه الرسالة العظيمة .

وقوله :﴿ أَمِينٍ ﴾ : صفة لجبريل بالأمانة ، وهذا عظيم جدا أن الرب عز وجل يزكى عبده ورسوله الملكى جبريل كما زكى عبده ورسوله البشرى محمداً ﷺ بقوله: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ .

قال الشعبى ، وميمون بن مهران ، وأبو صالح ، ومن تقدم ذكرهم : المراد بقوله : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ يعنى : محمداً ﷺ .

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ يعنى : ولقد رأى محمدٌ جبريل الذى يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التى خلقه الله عليها له ستمائة جناح ﴿ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ أى : البين ، وهى الرؤية الأولى التى كانت بالبطحاء ، وهى المذكورة فى قوله : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ . وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَىٰ . ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ . فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ [النجم: ٥ ـ ١٠] ، كما تقدم تفسيرُ ذلك وتقريره . والدليلُ أن المرادَ بذلك جبريل ، عليه السلام . والظاهر ـ والله أعلم ـ أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء ؛ لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهى الأولى، وأما الثانية وهى المذكورة فى قوله : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ . عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ١٣ ـ ١٦] ، فتلك إنما ذكرت فى سورة « النجم » ، وقد نزلت بعد [سورة] (١) الإسراء .

وقوله : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ أى : وما محمد على ما أنزله الله إليه بظنين ، أى : بمتهم . ومنهم من قرأ ذلك بالضاد ، أى : ببخيل ، بل يبذله لكل أحد .

قال سفيان بن عُيَينة : ظنين وضنين سواء ، أى : ما هو بكاذب ، وما هو بفاجر . والظنين : المتهم ، والضنين : البخيل .

وقال قتادة : كان القرآن غيبا ، فأنزله الله على محمد ، فما ضَنّ به على الناس ، بل بَلَّغه ونشره وبذله لكل من أراده . وكذا قال عكرمة ، وابن زيد،وغير واحد. واختار ابنُ جرير قراءة الضاد (٢) .

قلت : وكلاهما متواتر ، ومعناه صحيح كما تقدم .

وقوله : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ أى : وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم ، أى : لا يقدر على حمله ، ولا يريده، ولا ينبغى له . كما قال : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ . وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ . إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١٢] .

---

(١) زيادة من م .

(٢) تفسير الطبرى (٣٠/٥٣) .

وقوله : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ ؟ أى : فأين تذهب عقولكم فى تكذيبكم بهذا القرآن ، مع ظهوره ووضوحه ، وبيان كونه جاء [١] من عند الله عز وجل ، كما قال الصديق ، رضى الله عنه ، لوفد بنى حنيفة حين قدموا مسلمين ، وأمرهم فتلوا عليه شيئاً من قرآن مسيلمة الذى هو فى غاية الهذيان والركاكة ، فقال : ويحكم ، أين يُذهَب بعقولكم [٢] ؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إلٍّ ، أى : من إله .

وقال قتادة : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ أى : عن كتاب الله وعن طاعته .

وقوله : ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ أى : هذا القرآن ذكر لجميع الناس ، يتذكرون به ويتعظون، ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ أى : من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن ، فإنه منجاةٌ له وهداية ، ولا هداية فيما سواه ، ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ أى : ليست المشيئة موكولة إليكم ، فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل ، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله عز وجل رب العالمين .

قال سفيان الثورى ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن سليمان بن موسى : لما نزلت هذه الآية : ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ ، قال أبو جهل : الأمر إلينا ، إن شئنا استقمنا ، وإن شئنا لم نستقم . فأنزل الله : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٣] .

آخر تفسير سورة « التكوير » ولله الحمد [والمنة] [٤]

---

(١) فى م « حقا » .

(٢) فى م : « أين تذهب عقولكم » .

(٣) رواه الطبرى فى تفسيره (٣٠/٥٣) .

(٤) زيادة من م .

تفسير سورة التكوير

وهي مكية

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا عبد الله بن بحير القاص، أن عبد الرحمن ابن يزيد الصنعاني أخبره أنه سمع ابن عمر؛ يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ : ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ و﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ و﴿ إذا السماء انشقت ﴾** » وهكذا رواه الترمذي(٢) عن العباس بن عبد العظيم العنبري عن عبد الرزاق، به .

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ يعني أظلمت. وقال العوفي عنه : ذهبت. وقال مجاهد : اضمحلت وذهبت. وكذا قال الضحاك. وقال قتادة: ذهب ضوؤها. وقال سعيد بن جبير: كورت: غورت. وقال الربيع بن خُثيم: كورت يعني رمي بها. وقال أبو صالح: كورت: ألقيت، وعنه أيضًا نكست. وقال زيد بن أسلم: تقع في الأرض .

قال ابن جرير : والصواب من القول عندنا في ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه على[١] بعض، ومنه تكوير العمامة، [وهو لفها على الرأس، وكتكوير الكاره وهي][٢] وجمع الثياب بعضها إلى[٣] بعض، فمعنى قوله تعالى: ﴿ **كورت** ﴾ جمع بعضها إلى بعض، ثم لفت فرمي بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها .

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٧) (٤٨٠٦) .

(٢) والترمذي في كتاب : التفسير، باب : « ومن سورة إذا الشمس كورت »، حديث (٣٣٣٠) (٩/٦٩). وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٨١) .

[١] - في ز : إلى .
[٢] - سقط من ز، خ .
[٣] - في ز : على .

وقال ابن أبي حاتم(٣) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، وعمرو بن عبد اللّٰه الأودي ، حدثنا أبو أسامة ، عن مجالد ، عن شيخ من بجيلة ، عن ابن عباس : ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ ، قال : يكور اللّٰه الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ، ويبعث اللّٰه ريحًا دبورًا فتضرمها[١] نارًا . وكذا قال عامر الشعبي . ثم قال ابن أبي حاتم(٤) :

حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح ، حدثني معاوية بن صالح ، عن ابن يزيد بن أبي مريم ، عن أبيه أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال في قول اللّٰه : ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ ، قال : « **كورت في جهنم** » .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ(٥) في مسنده : حدثنا موسىٰ بن محمد بن حيان[٢] ، حدثنا دُرُسْتُ[٣] بن زياد ، حدثنا يزيد الرقاشي ، حدثنا أنس؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **الشمس والقمر ثوران[٤] عقيران في النار** » .

هذا حديث ضعيف ؛ لأن يزيد الرقاشي ضعيف ، والذي رواه البخاري في الصحيح بدون هذه الزيادة ، ثم قال البخاري(٦) :

حدثنا مسدد ، حدثنا عبد العزيز بن المختار ، حدثنا عبد اللّٰه الداناج ، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، عن النبيِّ صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - : « **الشمس والقمر يكوران يوم القيامة** » . انفرد به البخاري وهذا لفظه ، وإنما أخرجه في كتاب « **بدء الخلق** » ، وكان جديرًا أن يذكره هاهنا أو يكرره ، كما هي عادته في أمثاله ! وقد رواه البزار فجود إيراده ، فقال :

حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادي ، حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا عبد العزيز بن المختار ، عن عبد اللّٰه الداناج ؛ قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن خالد بن [عبد اللّٰه][٥] القسريَّ في هذا المسجد مسجد الكوفة ، وجاء الحسن فجلس إليه فحدث ؛ قال : حدثنا أبو هريرة أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؛ قال : « **إن الشمس والقمر نوران في النار يوم القيامة** » . فقال الحسن : وما ذنبهما ؟ فقال : أحدثك عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وتقول -

(٣) تفسير الطبري (٦٨/٣٠) من طريق أبي أسامة بهذا الإسناد بنحوه .
(٤) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٥٢٥/٦) وزاد نسبته إلى الديلمي .
(٥) مسند أبي يعلى (١٤٨/٧) (٤١١٦) .
(٦) صحيح البخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : صفة الشمس والقمر ، حديث (٣٢٠٠) (٢٩٧/٦) .

[١] - في ز : فيضرمها .
[٢] - في ز : حبان .
[٣] - في ز ، خ : درسب .
[٤] - في ت : نوران .
[٥] - في ز : « عبد لقوم » . وغير واضحة في خ .

أحسبه قال[١] - : وما ذنبهما .

ثم قال: لا يروىٰ عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه، ولم يرو عبد الله الداناج عن أبي سلمة سوىٰ هذا الحديث.

وقوله : ﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾ ، أي : انتثرت ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وإذا الكواكب انتثرت ﴾ . وأصل الانكدار[٢] : الانصباب .

قال الربيع بن أنس(٧) ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب؛ قال : ست آيات قبل يوم القيامة ، بينا الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس ، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم ، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال علىٰ وجه الأرض فتحركت واضطربت واختلطت ، ففزعت الجن إلىٰ الإنس والإنس إلىٰ الجن ، واختلطت الدواب والطير والوحوش ، فماجوا بعضهم في بعض . ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ ، قال : اختلطت ، ﴿ وإذا العشار عطلت ﴾ ، قال : أهملها أهلها ، ﴿ وإذا البحار سجرت ﴾ ، قال : قالت الجن : نحن نأتيكم بالخبر . قال : فانطلقوا إلىٰ البحر فإذا هو نار تأجج ، قال : فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلىٰ الأرض السابعة السفلىٰ وإلىٰ السماء السابعة العليا ، قال : فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم .

رواه ابن جرير(٨) - وهذا لفظه - وابن أبي حاتم ، ببعضه ، وهكذا قال مجاهد والربيع بن خثيم ، والحسن البصري وأبو صالح ، وحماد بن أبي سليمان ، والضحاك في قوله : ﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾ ، أي : تناثرت .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾ ، أي : تغيرت . وقال يزيد بن أبي مريم(٩) ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾ ، قال : « انكدرت في جهنم ، وكل من عبد من دون الله فهو في جهنم ، إلا ما كان من عيسىٰ وأمه ، ولو رضيا أن يُعْبَدَا لدخلاها » . رواه ابن أبي حاتم بالإسناد المتقدم .

وقوله : ﴿ وإذا الجبال سيرت ﴾ أي : زالت عن أماكنها ونسفت ، فتركت الأرض قاعًا صفصفًا .

وقوله : ﴿ وإذا العشار عطلت ﴾ ، قال عكرمة ، ومجاهد : عشار الإبل . قال مجاهد :

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في الأهوال (ص ٨٥) (٢٣) .

(٨) والطبري (٣٠/٦٣ - ٦٤) .

(٩) تقدم تخريجه قريبًا .

[١] - سقط من ز ، خ .   [٢] - في ز : الانكباب .

﴿ **عطلت** ﴾ : تركت و[١] سُيِّبت .

وقال أبي بن كعب والضحاك : أهملها أهلها . وقال الربيع بن خثيم : لم تحلب ولم تصرّ ، تخلىٰ منها أربابها . وقال الضحاك أيضًا[٢] : تركت لا راعي لها .

والمعنىٰ في هذا كله متقارب . والمقصود أن العشار من الإبل - وهي : خيارها والحوامل منها التي قد وصلت في حملها إلىٰ الشهر العاشر ، واحدها : عشراء ، ولا يزال ذلك اسمها حتىٰ تضع - قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها ، بعد ما كانوا أرغب شيء فيها ، بما دهمهم من الأمر العظيم المفظع الهائل ، وهو أمر القيامة وانعقاد أسبابها ، ووقوع مقدماتها .

وقيل : بل[٣] يكون ذلك يوم القيامة يراها أصحابها كذلك ولا سبيل لهم إليها ، وقد قيل في العشار : إنها السحاب يعطل عن المسير بين السماء والأرض ، لخراب الدنيا ، وقيل : إنها الأرض التي تعشر . وقيل : إنها الديار التي كانت[٤] تسكن تعطل لذهاب أهلها ، حكىٰ هذه الأقوال كلها الإمام أبو عبد اللَّه القرطبي في كتابه « **التذكرة** » ، ورجح أنها الإبل ، وعزاه إلىٰ أكثر الناس. قلت : بل لا يعرف عن السلف والأئمة سواه ، واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ ، أي : جمعت . كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ، ما فرطنا في الكتاب من شيء ، ثم إلىٰ ربهم يحشرون** ﴾ - قال ابن عباس : يحشر كل شيء حتىٰ الذباب[٥] . رواه ابن أبي حاتم . وكذا قال الربيع بن خثيم والسدي ، وغير واحد . وكذا قال قتادة في تفسير هذه الآية : إن هذه [الخلائق موافية[٦] فيقضي][٧] اللَّه فيها ما يشاء .

وقال عكرمة : حشرها موتها .

وقال ابن جرير(١٠) : حدثني علي [بن مسلم][٨] الطوسي ، حدثنا عباد بن العوام ، أخبرنا حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ ، قال : حشر البهائم موتها ، وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس ؛ فإنهما يوقفان يوم القيامة .

حدثنا أبو كريب(١١) ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي يعلىٰ ، عن الربيع بن

(١٠) تفسير الطبري (٣٠/٦٧) .
(١١) تفسير الطبري (٣٠/٦٧) .

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز ، خ : الدواب .
[٦] - سقط من خ .
[٧] - في ز : « يقضي » .
[٨] - سقط من ز ، خ .

خثيم : ﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ ، قال : أتىٰ عليها أمر اللّٰه . قال سفيان : قال أبي : فذكرته لعكرمة ، فقال : قال ابن عباس : حشرها موتها .

وقد تقدم عن أبي بن كعب أنه قال : ﴿ **إذا الوحوش حشرت** ﴾ : اختلطت .

قال ابن جرير : والأولىٰ قول من قال : ﴿ **حشرت** ﴾ : جمعت ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **والطير محشورة** ﴾ ، أي : مجموعة .

وقوله : ﴿ **وإذا البحار سجرت** ﴾ ، قال ابن جرير(١٢) : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن عُليَّة ، عن داود ، عن سعيد بن المسيب؛ قال : قال علي رضي اللّٰه عنه لرجل من اليهود : أين جهنم ؟ قال : البحر . فقال[١] : ما أراه إلا صادقًا . ﴿ **والبحر المسجور** ﴾ ، ﴿ **وإذا البحار سجرت** ﴾ مخففة[٢] .

وقال ابن عباس وغير واحد : يرسل اللّٰه عليها الدبور فتسعرها ، وتصير[٣] نارًا تأجج . وقد تقدم الكلام علىٰ ذلك عند قوله : ﴿ **والبحر المسجور** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد ، حدثنا أبو طاهر ، حدثني عبد الجبار ابن سليمان أبو سليمان النفاط - شيخ صالح يشبه بمالك[٤] بن أنس - عن معاوية بن سعيد ؛ قال : إن هذا البحر بركة - يعني بحر الروم - وسط الأرض ، والأنهار كلها تصب فيه ، والبحر الكبير[٥] يصب فيه ، وأسفله آبار مطبقة بالنحاس ، فإذا كان يوم القيامة أسجر .

وهذا أثر غريب عجيب . وفي سنن أبي داود(١٣) : « **لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز ، فإن تحت البحر نارًا ، وتحت النار بحرًا** » . الحديث . وقد تقدم الكلام عليه في « **سورة فاطر** » .

وقال مجاهد ، والحسن بن مسلم : ﴿ **سجرت** ﴾ أوقدت . وقال الحسن : يبست . وقال الضحاك ، وقتادة : غاض ماؤها فذهب ولم يبق فيها قطرة . وقال الضحاك أيضًا : ﴿ **سجرت** ﴾ فجرت . وقال السدي : فتحت وسيرت . وقال الربيع بن خثيم : ﴿ **سجرت** ﴾ : فاضت .

---

(١٢) تفسير الطبري (٣٠/٦٧) .

(١٣) تقدم تخريجه في سورة إبراهيم ، آية : ٤٨ .

---

[١] - في ز : قال .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز : فتصير .

[٤] - في ت : مالك .

[٥] - سقط من ز ، خ .

وقوله : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ [أي : جمع كل شكل إلى نظيره ، كقوله : ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(١٤) : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن الصباح البزار ، حدثنا الوليد بن أبي ثور ، عن سماك ، عن النعمان بن بشير أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾][١] ، قال : الضرباء ، كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله » . وذلك بأن الله - عز وجل - يقول : ﴿ **وكنتم أزواجًا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون** ﴾ ، قال : « **هم الضرباء** » .

ثم[٢] رواه ابن أبي حاتم من طرق أخر ، عن سماك بن حرب ، عن النعمان بن بشير أن عمر خطب الناس فقرأ : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ ، فقال : تزوجها أن تؤلف كل شيعة إلى شيعتهم . وفي رواية : هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به[٣] الجنة أو النار .

وفي رواية عن النعمان(١٥) قال : سئل عمر عن قوله تعالى : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ ، فقال : يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح ، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار ، فذلك تزويج الأنفس .

وفي رواية عن النعمان أن عمر قال للناس : ما تقولون في تفسير هذه الآية : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ ؟ فسكتوا . قال : ولكن هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة ، والرجل يزوج نظيره من أهل النار ، ثم قرأ : ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم** ﴾ .

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ قال : ذلك حين يكون الناس أزواجًا ثلاثة .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ ، قال : الأمثال من الناس جمع بينهم . وكذا قال الربيع بن خثيم والحسن ، وقتادة . واختاره ابن جرير ، وهو الصحيح .

(قول آخر) في قوله : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ قال ابن أبي حاتم :

حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : يسيل [ ][٤] واد من أصل

(١٤) وأخرجه ابن مردويه كما في « الدر المنثور » (٦/٥٢٧) من حديث النعمان بن بشير بنحوه .

(١٥) أخرجه الطبري (٣٠/٦٩) . والحاكم (٢/٥١٦) وصححه ووافقه الذهبي ، كلاهما من طريق سفيان=

[١] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ . [٢] - سقط من خ .

[٣] - سقط من ز ، خ . [٤] - في خ : « كماء » .

العرش من ماء فيما بين الصيحتين ، ومقدار ما بينهما أربعون عامًا ، فينبت منه كل خلق بلي ، من الإنسان أو طير أو دابة ، ولو مر عليهم مار قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم علىٰ الأرض قد نبتوا ، ثم ترسل الأرواح فتزوج الأجساد ، فذلك قول اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ .

وكذا قال أبو العالية ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والشعبي ، والحسن البصري أيضًا في قوله : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ ، أي : زوجت بالأبدان . وقيل : زوج المؤمنون بالحور العين ، وزوج الكافرون بالشياطين . حكاه القرطبي في « **التذكرة** » .

وقوله : ﴿ **وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت** ﴾ هكذا قراءة[١] الجمهور ﴿ **سئلت** ﴾ . والموءودة هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات ، فيوم القيامة تسأل الموءودة علىٰ أي ذنب قتلت ، ليكون ذلك تهديدًا لقاتلها ، فإذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذًا ؟ !

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ **وإذا الموءودة سئلت** ﴾ ، أي : سألت . وكذا قال أبو الضحىٰ (سألت[٢]) ، أي : طلبت بدمها . وعن السدي ، وقتادة ، مثله .

وقد وردت أحاديث تتعلق بالموءودة ، فقال الإمام أحمد(١٦) :

حدثنا عبد اللّٰه بن يزيد[٣] ، [حدثنا سعيد][٤] بن أبي أيوب ، حدثني أبو الأسود - وهو : محمد ابن عبد الرحمن بن نوفل - عن عروة ، عن عائشة ، عن جدامة[٥] بنت وهب - أخت عكاشة ؛ قالت : حضرت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في ناس وهو يقول : « **لقد هممت أن أنهى عن الغيلة ، فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يغيلون أولادهم ، ولا يضر أولادهم ذلك شيئًا** » . ثم سألوه عن العزل ، فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ذلك[٦] الوأد الخفي ، وهو[٧] الموءودة سئلت** » .

ورواه مسلم من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ - وهو عبد اللّٰه بن يزيد - عن سعيد بن[٨]

= عن سماك عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - والحديث ذكره السيوطي في « الدر » (٥٢٧/٦) وزاد نسبته لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وسعيد بن منصور والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور وأبي نعيم في الحلية .

(١٦) أخرجه أحمد (٤٣٤/٦) (٢٧٥٥٤) . ومسلم في كتاب : النكاح ، باب : جواز الغيلة وهي =

---

[١] - في ز : قرأه .

[٢] - في ز : سئلت .

[٣] - في ز ، خ : زيد .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - في خ : خزامة .

[٦] - في ز : ذاك .

[٧] - في ز : وهي .

[٨] - في ز ، خ : عن .

أبي أيوب . ورواه أيضًا ابن[١] ماجة ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يحيىٰ بن إسحاق السيلحيني ، عن يحيىٰ بن أيوب .

ورواه مسلم(١٧) أيضًا وأبو داود والترمذي والنسائي ، من حديث مالك بن أنس ، ثلاثتهم عن أبي الأسود ، به .

وقال الإمام أحمد(١٨) : حدثنا ابن أبي عدي ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن سلمة بن يزيد الجعفي ؛ قال : انطلقت أنا وأخي إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقلنا : يا رسول الله ؛ إن أمنا مليكة كانت تصل الرحم وتقري الضيف ، وتفعل [وتفعل][٢] ، هلكت في الجاهلية ، فهل ذلك نافعها شيئًا ؟ قال : « **لا** » . قلنا : فإنها كانت وأدت أختًا لنا[٣] في الجاهلية ، فهل ذلك نافعها شيئًا ؟ قال : « **الوائدة والموءودة في النار ، إلا أن يدرك الوائدة الإسلام ، فيعفو الله عنها** » .رواه النسائي من حديث داود بن أبي هند ، به .

وقال ابن أبي حاتم(١٩) : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن علقمة وأبي الأحوص ، عن ابن مسعود ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **الوائدة والموءودة في النار** » .

وقال أحمد(٢٠) أيضًا : حدثنا إسحاق الأزرق ، أخبرنا عوف ، حدثتني حسناء[٤] ابنة معاوية الصريمية ، عن عمها[٥] .

= وطئ المرضع ، وكراهة العزل ، حديث (١٤٤٢/١٤١) (٢٥/١٠) . وابن ماجة في كتاب : النكاح ، باب : الغيل ، حديث (٢٠١١) (٦٤٨/١) .

(١٧) صحيح مسلم في الموضع السابق (١٤٤٢/١٤٠) (٢٣/١٠ - ٢٤) . وأخرجه أبو داود في كتاب : الطب ، باب : في الغيل ، حديث (٣٨٨٢) (٩/٤) . والترمذي في كتاب : الطب ، باب : ما جاء في الغيلة ، حديث (٢٠٧٨) (٢٦٦/٦) . والنسائي في الكبرى في كتاب : النكاح ، باب : الغيلة والعزل ، حديث (٥٤٨٥) (٣٠٦/٣ - ٣٠٧) . قال الترمذي : حسن غريب صحيح .

(١٨) أخرجه أحمد (٤٧٨/٣) (١٥٩٦٩) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة التكوير ، حديث (١١٦٤٩) (٥٠٧/٦) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٢٤/١) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح والطبراني في الكبير بنحوه . اهـ .

(١٩) وأخرجه أبو داود في كتاب : السنة ، باب : في ذراري المشركين ، حديث (٤٧١٧) (٢٣٠/٤) من طريق علقمة به . وصححه الألباني من حديث عامر (٣٩٤٨) .

(٢٠) أخرجه أحمد (٥٨/٥) (٢٠٦٤٢) . وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٢٠٠ - ٢٥٢١) .

---

[١] - في ز : وابن .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : لها .

[٤] - في ز : خنساء .

[٥] - في ز ، خ : عمتها .

قال[١] : قلت : يا رسول الله ، من في الجنة ؟ قال : « **النبي في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والمولود في الجنة ، والموءودة في الجنة** » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا قرة ؛ قال : سمعت الحسن ؛ يقول : قيل : يا رسول الله ، من في الجنة ؟ قال : « **الموءودة[٢] في الجنة** » .

هذا حديث مرسل من مراسيل الحسن ، ومنهم من قبله .

وقال ابن أبي حاتم : حدثني[٣] أبو عبد الله الظهراني ، حدثنا حفص بن عمر العدني ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ؛ قال : قال ابن عباس : أطفال المشركين في الجنة ، فمن زعم أنهم في النار فقد كذب ، يقول الله عز وجل : ﴿ **وإذا الموءودة سئلت . بأي ذنب قتلت** ﴾ ، قال ابن عباس : هي المدفونة .

وقال عبد الرزاق(٢١) : أخبرنا إسرائيل ، عن سماك بن حرب ، عن النعمان بن بشير ، عن عمر بن الخطاب في قوله : ﴿ **وإذا الموءودة سئلت** ﴾ ، قال : جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : يا رسول الله ، إني وأدت بنات لي في الجاهلية ، فقال : « **أعتق عن كل واحدة منهن رقبة** » . قال : يا رسول الله ؛ إني صاحب إبل ؟ قال : « **فانحر عن كل واحدة منهن بدنة** » .

قال الحافظ أبو بكر البزار : خولف فيه عبد الرزاق ، ولم يكتبه إلا عن الحسين بن مهدي عنه .

وقد رواه ابن أبي حاتم فقال : أخبرنا أبو عبد الله الظهراني - فيما كتب إليّ - قال : حدثنا عبد الرزاق ... فذكره بإسناده مثله ، إلا أنه قال : وأدت ثمان بنات لي في الجاهلية . وقال في آخره : « **فأهد إن شئت عن كل واحدة بدنة** » . ثم قال :

حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن الأغر بن الصباح ، عن خليفة بن حصين ؛ قال : قدم قيس بن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : يا رسول الله ، إني وأدت اثنتي عشرة ابنة لي في الجاهلية - أو : ثلاث عشرة - قال : « **أعتق عددهن نسمًا** » . قال : فأعتق عددهن نسمًا ، فلما كان في العام المقبل جاء بمائة ناقة ، فقال : يا رسول الله ، هذه صدقة قومي على أثر ما صنعت بالمسلمين . قال علي بن أبي

(٢١) أخرجه البزار (٢/١١٥ - مختصر) (١٥٢٥) . والبيهقي (٨/١١٦) كتاب : الديات ، باب : ما جاء في الكفارة في الجنين ، وغير ذلك . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٣٧) : رواه البزار والطبراني ورجال البزار رجال الصحيح غير حسين بن مهدي الأيلي وهو ثقة .اهـ .

[١] - في ز ، خ : قالت . [٢] - في ز : والموءودة .
[٣] - سقط من ز .

طالب : فكنا[١] نريحها ، ونسميها القيسية .

وقوله : ﴿**وإذا الصحف نشرت**﴾ قال الضحاك : أعطي كل إنسان صحيفته[٢] بيمينه أو بشماله .

وقال قتادة : صحيفتك[٣] يا بن آدم ، تملي فيها ، ثم تطوىٰ ، ثم تنشر عليك يوم القيامة ، فلينظر[٤] رجل ماذا يملي في صحيفته .

وقوله : ﴿**وإذا السماء كشطت**﴾ قال مجاهد : اجتذبت . وقال السدي : كشفت . وقال الضحاك : تنكشط فتذهب .

وقوله : ﴿ **وإذا الجحيم سعرت** ﴾ ، قال السدي : أحميت . وقال قتادة : أوقدت . قال : وإنما يسعرها غضب الله وخطايا بني آدم .

وقوله : ﴿**وإذا الجنة أزلفت**﴾ قال الضحاك وأبو مالك ، وقتادة والربيع بن خثيم : أي : قربت إلى أهلها .

وقوله : ﴿ **علمت نفس ما أحضرت** ﴾ : هذا هو الجواب ، أي : إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك[٥] لها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا** ﴾ . وقال تعالى : ﴿**ينبأ الإنسان يومئذٍ بما قدم وأخر**﴾ .

قال ابن أبي حاتم(٢٢) : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة ، حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا محمد بن مطرف ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ؛ قال : لما نزلت : ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ ، قال عمر : لما بلغ ﴿ **علمت نفس ما أحضرت** ﴾ ، قال : لهذا أجري[٦] الحديث .

فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا
تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ
ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى

(٢٢) زاد السيوطي نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه (٥٢٨/٦) .

[١] - في ز : كنا .
[٢] - في ز : صحيفة .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز : فينظر .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - في ز : حرى .

ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

روىٰ مسلم(٢٣) في صحيحه ، والنسائي في تفسيره عند هذه الآية ، من حديث مسعر بن كدام ، عن الوليد بن سريع ، عن عمرو بن حريث ؛ قال : صليت خلف النبي صلىٰ الله عليه وسلم الصبح ، فسمعته يقرأ : ﴿ **فلا أقسم بالخنس . الجوار الكنس . والليل إذا عسعس . والصبح إذا تنفس** ﴾ .

ورواه النسائي(٢٤) عن بندار[١] ، عن غندر ، عن شعبة ، عن الحجاج بن عاصم ، عن أبي الأسود ، عن عمرو بن حريث ، به نحوه .

قال ابن أبي حاتم وابن جرير(٢٥) ، من طريق الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن رجل من مراد ، عن علي : ﴿ **فلا أقسم بالخنس [الجوار الكنس]**[٢] ﴾ ، قال : هي النجوم تخنس بالنهار ، وتظهر بالليل .

وقال ابن جرير(٢٦) : حدثنا ابن المثنىٰ ، حدثنا محمد بن [جعفر ؛ قال : حدثنا][٣] شعبة ، عن سماك بن حرب ، سمعت خالد بن عرعرة ، سمعت عليًا وسئل عن ﴿ **لا أقسم بالخنس . الجوار الكنس** ﴾ ، فقال : هي النجوم ، تَخنس بالنهار وتكنس بالليل .

وحدثنا أبو كريب(٢٧) ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن خالد ، عن علي ؛ قال : هي النجوم .

---

(٢٣) أخرجه مسلم في كتاب : الصلاة : باب : متابعة الإمام والعمل بعده ، حديث (٢٠١/٤٧٥) (٢٥٥/٤ - ٢٥٦) من طريق خلف بن خليفة الأشجعي عن الوليد بن سريع . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **والليل إذا عسعس** ﴾ ، حديث (١١٦٥١) (٥٠٧/٦ - ٥٠٨) مختصرًا .

(٢٤) سنن النسائي ، الكبرى ، الموضع السابق برقم (١١٦٥٠) (٥٠٧/٦).

(٢٥) أخرجه الطبري (٧٥/٣٠) .

(٢٦) أخرجه الطبري (٧٤/٣٠) .

(٢٧) أخرجه الطبري (٧٤/٣٠) . وليس فيه إسرائيل ، إنما أخرجه من طريق وكيع عن سماك .

---

[١] - في ز ، خ : سرار . [٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ز ، خ .

وهذا إسناد جيد صحيح إلىٰ[١] خالد بن عرعرة ، وهو السهمي الكوفي ، قال أبو حاتم الرازي : روىٰ عن علي ، وروىٰ عنه سماك والقاسم بن عوف الشيباني ، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا ، والله أعلم .

وروىٰ يونس ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي ، أنها النجوم . رواه ابن أبي حاتم . وكذا رُوي عن ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم ، أنها النجوم .

وقال ابن جرير(٢٨) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا هوذة بن خليفة ، حدثنا عوف ، عن بكر ابن عبد الله في قوله : ﴿ **فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس** ﴾ ، قال : هي النجوم الدراري ، التي تجري تستقبل المشرق .

وقال بعض الأئمة : إنما قيل للنجوم « **الخنس** » ، أي : في حال طلوعها ، ثم هي جوار في فلكها ، وفي حال غيبوبتها يقال لها « **كُنَّس** » ، من قول العرب : أوىٰ الظبي إلىٰ كناسة ، إذا تغيب فيه .

وقال الأعمش ، عن إبراهيم قال : قال عبد الله ﴿ **فلا أقسم بالخنس** ﴾ ، [قال : بقر الوحش .

وكذا قال الثوري(٢٩) ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، عن عبد الله : ﴿ **فلا أقسم بالخنس**][٢] **الجوار الكنس** ﴾ ، ما هي يا عمرو[٣] ؟ قلت : البقر . قال : وأنا أرىٰ ذلك .

وكذا روىٰ يونس بن أبي[٤] إسحاق عن أبيه .

وقال أبو داود الطيالسي ، عن عمرو ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : [﴿ **الجوار الكنس** ﴾ ، قال : البقر تكنس إلىٰ الظل . وكذا قال سعيد بن جبير .

وقال العوفي عن ابن عباس][٥] : هي الظباء . وكذا قال سعيد أيضًا ، ومجاهد والضحاك .

وقال أبو الشعثاء جابر بن زيد : هي الظباء والبقر .

وقال ابن جرير(٣٠) : حدثنا يعقوب ، حدثنا هشيم ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ومجاهد :

---

(٢٨) أخرجه الطبري (٣٠/٧٥) .
(٢٩) أخرجه الطبري (٣٠/٧٥) .
(٣٠) أخرجه الطبري (٣٠/٧٦) مختصرًا .

---

[١] - في خ : عن .
[٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .
[٣] - في خ : عمر .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

أنهما تذاكرا هذه الآية : ﴿ **فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس** ﴾ ، فقال إبراهيم لمجاهد : قل فيها بما سمعت . قال : فقال مجاهد : كنا[١] نسمع فيها شيئًا ، وناس يقولون : إنها النجوم . قال : فقال إبراهيم : قل فيها بما سمعت . قال : فقال مجاهد : كنا نسمع أنها بقر الوحش حين تكنس في حجرتها . قال : فقال إبراهيم : إنهم يكذبون على عليّ ، هذا كما رووا عن علي أنه ضمن الأسفل الأعلىٰ ، والأعلىٰ الأسفل .

وتوقف ابن جرير في قوله : ﴿ **الخنس الجوار الكنس** ﴾ : هل هو النجوم ، أو الظباء وبقر الوحش ؟ قال : ويحتمل أن يكون الجميع مرادًا .

وقوله : ﴿**والليل إذا عسعس**﴾ فيه قولان :

أحدهما : إقباله بظلامه . قال مجاهد : أظلم . وقال سعيد بن جبير : إذا نشأ . وقال الحسن البصري : إذا غشي[٢] الناس . وكذا قال عطية العوفي .

وقال علي بن أبي طلحة ، والعوفي عن ابن عباس : ﴿ **إذا عسعس** ﴾ : إذا أدبر . وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وكذا قال زيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن : ﴿ **إذا عسعس** ﴾ ، أي : إذا ذهب فتولىٰ .

وقال أبو داود الطيالسي(٣١) : حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البَخْتَري سمع أبا عبد الرحمن السلمي؛ قال : خرج علينا علي رضي الله عنه حين ثَوَّب المثوِّبُ بصلاة الصبح فقال : أين السائلون عن الوتر : ﴿ **والليل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس** ﴾ هذا حين أدبر[٣] حسن . وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله : ﴿ **إذا عسعس** ﴾ : إذا أدبر . قال : لقوله : ﴿ **والصبح إذا تنفس** ﴾ ، أي : أضاء ، واستشهد بقول الشاعر أيضًا :

حتى إذا الصبح له تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا

أي : أدبر . وعندي أن المراد بقوله . ﴿ **عسعس** ﴾ : إذا أقبل ، وإن كان يصح استعماله في الإدبار ، لكن الإقبال هاهنا[٤] أنسب ، كأنه أقسم تعالىٰ بالليل وظلامه إذا أقبل ، وبالفجر وضيائه إذا أشرق ، كما قال : ﴿ **والليل إذا يغشىٰ والنهار إذا تجلىٰ** ﴾ ، وقال : [﴿ **والضحىٰ والليل إذا**][٥] **سجىٰ** ﴾ ، وقال : ﴿ **فالق الإصباح وجعل**[٦] **الليل سكنًا** ﴾ ، وغير ذلك من

(٣١) أخرجه أبو داود الطيالسي (ص ٢٥) (١٧٤) من طريق شعبة ، عن أبي التياح ، عن رجل من عنزة ، عن رجل من بنى أسد قال : خرج علينا على ... الحديث . فذكره بنحوه .

[١] - في ز ، خ : ما .
[٢] - في ز : عشي .
[٣] - في ز : دبر .
[٤] - في ز : هنا .
[٥] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « الضحاك : ﴿ والليل إذا ﴾ .
[٦] - في ز : جاعل .

الآيات .

وقال كثير من علماء الأصول : إن لفظة ﴿ **عسعس** ﴾ تستعمل في الإِقبال والإِدبار على وجه الاشتراك ، فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما ، والله أعلم .

قال ابن جرير : وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن ﴿ **عسعس** ﴾ : دنا من أوله وأظلم ، وقال الفراء : كان أبو البلاد النحوي ينشد بيتًا :

عسعس حتى لو يشاء ادّنا كان له من ضوئه مقبس

يريد : لو يشاء إذ دنا ، أدغم الذال في الدال . وقال الفراء : وكانوا يَرَون أن هذا البيت مصنوع .

وقوله : ﴿ **والصبح إذا تنفس** ﴾ ، قال الضحاك : إذا طلع . وقال قتادة : إذا أضاء وأقبل . وقال سعيد بن جبير : إذا نشأ . وهو المروي عن علي ، رضي الله عنه .

وقال ابن جرير : يعني : وضوء النهار إذا أقبل وتبين .

وقوله : ﴿ **إنه لقول رسول كريم** ﴾ ، يعني : إن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم ، أي : ملك شريف حَسَن الخلق ، بهي المنظر ، وهو جبريل عليه الصلاة والسلام .قاله ابن عباس ، والشعبي ، وميمون بن مهران ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، والربيع بن أنس ، وغيرهم .

﴿ **ذي قوة** ﴾ كقوله : ﴿ **علّمه شديد القوى * ذو مرة** ﴾ ، أي : شديد الخَلْق ، شديد البطش والفعل ، ﴿ **عند ذي العرش مكين** ﴾ ، أي : له مكانة عند الله - عز وجل - ومنزلة رفيعة .

قال أبو صالح في قوله : ﴿ **عند ذي العرش مكين** ﴾ قال : جبريل يدخل في سبعين حجابًا من نور بغير إذن .

﴿ **مطاع ثم** ﴾ أي : له وجاهة ، وهو مسموع القول مطاع في الملإ الأعلى .

قال قتادة : ﴿ **مطاع ثم** ﴾ ، أي : في السماوات ، يعني : ليس هو من أفناء[١] الملائكة ، بل هو من السادة والأشراف ، معتنى به ، انتخب لهذه الرسالة العظيمة[٢] .

وقوله : ﴿ **أمين** ﴾ : صفة لجبريل بالأمانة ، وهذا عظيم جدًا أن الرب - عز وجل - يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل ، كما زكى عبده ورسوله البشري محمدًا صلى الله عليه وسلم بقوله : ﴿ **وما صاحبكم بمجنون** ﴾ .

---

[١] - في ز : أفناد . [٢] - سقط من ت .

قال الشعبي ، وميمون بن مهران ، وأبو صالح ، ومن تقدم[١] ذكرهم : المراد بقوله : ﴿ **وما صاحبكم بمجنون** ﴾ ، يعني : محمدًا ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولقد رآه بالأفق المبين** ﴾ ، يعني : ولقد رأىٰ محمدٌ جبريلَ الذي يأتيه بالرسالة عن اللّٰه - عز وجل - علىٰ الصورة التي خلقه اللّٰه عليها له ستمائة جناح ، ﴿ **بالأفق المبين** ﴾ ، أي : البين ، وهي الرؤية الأولىٰ التي كانت بالبطحاء ، وهي المذكورة في قوله : ﴿ **علّمه شديد القوىٰ * ذو مرة فاستوىٰ * وهو بالأفق الأعلىٰ * ثم دنا فتدلىٰ * فكان قاب قوسين أو أدنىٰ * فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ** ﴾ ، كما تقدم تفسير ذلك وتقريره .

والدليل أن المرادَ بذلك جبريل عليه السلام . والظاهر - واللّٰه أعلم - أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء ، لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهي الأولىٰ ، وأما الثانية وهي المذكورة في قوله : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرىٰ * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوىٰ * إذ يغشىٰ السدرة ما يغشىٰ** ﴾ ، فتلك إنما ذكرت في سورة النجم ، وقد نزلت بعد الإسراء .

وقوله : ﴿ **وما هو علىٰ الغيب بظنين** ﴾ [أي : وما محمد علىٰ ما أنزله اللّٰه إليه بظنين][٢] ، أي : بمتهم . ومنهم من قرأ[٣] ذلك بالضاد ، أي : ببخيل ، بل يبذله لكل أحد .

قال سفيان بن عُيَينة : ظنين وضنين سواء ، أي : ما هو بكاذب ، وما هو بفاجر . والظنين : المتهم ، والضنين : البخيل .

وقال قتادة : كان القرآن غيبًا ، فأنزله اللّٰه علىٰ محمد ، فما[٤] ضَنَّ به علىٰ[٥] الناس ، [بل بَلغَه ونشره وبذله لكل من أراده][٦] . وكذا قال عكرمة ، وابن[٧] زيد ، وغير واحد . واختار ابن جرير قراءة الضاد .

قلت : وكلاهما متواتر ، ومعناه صحيح كما تقدم .

وقوله : ﴿ **وما هو بقول شيطان رجيم** ﴾ ، أي : وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم ، أي : لا يقدر علىٰ حمله ، ولا يريده[٨] ، ولا ينبغي له ، كما قال : ﴿ **وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فأين تذهبون** ﴾ أي : فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن ، مع ظهوره

---

[١] - في ز : بعدهم .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : قر .
[٤] - في ز : لما .
[٥] - في ز : عن .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ز : وأبو .
[٨] - في ز : يدبره .

ووضوحه ، وبيان كونه جاء من عند اللَّه - عز وجل - كما قال الصديق رضي اللَّه عنه لوفد بني حنيفة حين قدموا مسلمين ، وأمرهم فتلوا عليه شيئًا من قرآن مسيلمة الذي هو في غاية الهذيان والركاكة ، فقال : ويحكم . أين يُذهب بعقولكم ؟ واللَّه إن هذا الكلام لم يخرج من إل ، أي : من إله(٣٢) .

وقال قتادة : [﴿ **فأين تذهبون** ﴾][١] أي : عن كتاب اللَّه وعن طاعته .

وقوله : ﴿ **إن هو**[٢] **إلا ذكر للعالمين** ﴾ ، أي : هذا القرآن ذكر لجميع الناس ، يتذكرون به ويتعظون ، ﴿ **لمن شاء منكم أن يستقيم** ﴾ ، أي : من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن ، فإنه منجاةٌ له وهداية ، ولا هداية فيما سواه ، ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء اللَّه رب العالمين** ﴾ ، أي : ليست المشيئة موكولة إليكم ، فمن شاء اهتدىٰ ومن شاء ضل ، بل ذلك كله تابع لمشيئة اللَّه - عز وجل - ربِّ العالمين .

قال سفيان الثوري(٣٣) ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن سليمان بن موسىٰ : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **لمن شاء منكم أن يستقيم** ﴾ ، قال أبو جهل : الأمر إلينا ، إن شئنا استقمنا ، وإن شئنا لم نستقم . فأنزل اللَّه : ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء اللَّه ربُّ العالمين** ﴾

[آخر تفسير سورة التكوير ، وللَّه الحمد والمنة] .

☆ ☆ ☆

(٣٢) تقدم مطولًا في سورة يونس ، آية : (١٦) .
(٣٣) أخرجه الطبري (٣٠/٨٤) .

[١] - سقط من ز . [٢] - في ز : هذا .

سورة التكوير

مكّيّة، وهي تسع وعشرون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ أي: لُفّتْ مِن "كوّرتُ العِمامةَ" إذا لففتَها، على أنّ المراد بذلك إمّا رفعُها وإزالتها مِن مقرّها، فإنّ الثوب إذا أريدَ رفعه يُلفّ لفًّا ويُطوى، ونحوه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ [الأنبياء، ١٠٤/٢١]، وإمّا لفّ ضوئها[١] المنبسِط في الآفاق المنتشِر في الأقطار، على أنّه عبارة عن إزالتها والذهابِ بها بحُكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم؛ أو أُلقِيَت[٢] عن فَلَكها كما وُصفت النجوم بالانكدار مِن "طعَنه فكوّره" إذا ألقاه على الأرض.

وعن أبي صالح: ﴿كُوِّرَتْ﴾: نُكّست،[٣] وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما: تكويرُها إدخالها في العرش.[٤] ومدار التركيب على الإدارة والجَمْع. وارتفاعُ ﴿ٱلشَّمْسُ﴾ على أنّه فاعل لفِعل مضمر يفسّره المذكور، وعند البعض على الابتداء.

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ أي: انقضّت. وقيل: تناثرتْ وتساقطتْ.[٥] رُوي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما:[٦] أنّه لا يبقى يومئذ نجم إلّا سقط في الأرض،

---

١ السياق: إمّا رفعُها... وإمّا لفّ ضوئها...

٢ السياق: لُفّت... أو أُلقيَت...

٣ جامع البيان للطبري، ١٣٠/٢٤؛ اللباب لابن عادل، ١٧٥/٢٠.

٤ لم أجده في مظانّه. وهو في اللباب لابن عادل، ١٧٥/٢٠.

٥ مرويّ عن مجاهد وأبي صالح وقتادة في جامع البيان للطبري، ١٣٢/٢٤-١٣٣.

٦ م – رضي الله عنهما.

وعنه رضي الله عنه: أنّ النجوم قناديلُ معلَّقة بين السماء والأرض بسلاسلَ مِن نور بأيدي ملائكة مِن نور، فإذا مات مَن في السماوات ومَن في[1] الأرض تساقطت مِن أيديهم.[2] وقيل: انكدارها انطماس نورها.[3] ويُروى أنّ الشمس والنجوم تُطرح في جهنّم ليراها مَن عَبَدها، كما قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء، ٢١/٩٨].[4]

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ أي: عن أماكنها بالرجفة الحاصلة. لا في الجوّ،[5] فإنّ ذلك بعد النفخة الثانية.

﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾ جَمْع عُشَراء: وهي الناقة التي أتى على حَمْلها عشرة أشهر، وهو اسمها إلى أن تضع لتمام السَّنة، وهي أنفَسُ ما يكون عند أهلها وأعزُّها عليهم. ﴿عُطِّلَتْ﴾ تُرِكت مهملةً لاشتغال أهلها بأنفسهم. وقيل: العِشار: السحائب،[6] فإنّ العرب تُشبِّهها بالحامل، ومنه قوله تعالى: / ﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا﴾ [٢٧٤ظ]
[الذاريات، ٥١/٢]. وتعطيلها: عدم إمطارها. وقُرئ: "عُطِلَتْ"[7] بالتخفيف.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أي: جُمعت مِن كلّ جانب. وقيل: بُعثت للقِصاص.[8] قال قتادةُ: يُحشَر كلّ شيء حتّى الذُّباب للقِصاص، فإذا قُضي بينها رُدّت ترابًا، فلا يبقى منها إلّا ما فيه سرور لبني آدمَ وإعجاب بصورته كالطاوس ونحوه.[9] وقُرئ: "حُشِّرَتْ"[10] بالتشديد.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أي: أُحمِيت أو مُلئت بتفجير بعضها إلى بعض حتّى يعود بحرًا واحدًا. مِن "سَجَر التنور" إذا ملأه بالحطب ليُحمِيَه. وقيل: مُلئت نيرانًا

---

١ س – مَن في.
٢ لم أجِدهما في مظانّهما. وهما بلفظ قريب في اللباب لابن عادل، ٢٠/١٧٦.
٣ القول في اللباب لابن عادل، ٢٠/١٧٦.
٤ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٤/٥٣١.
٥ كما ذكره البيضاوي في أنوار التنزيل، ٣/٥٠٢.
٦ الوجه في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٥٠٢.
٧ قراءة شاذّة، مرويّة عن البزي وابن خالويه عن ابن كثير. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٥٠٤.
٨ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٥٠٣.
٩ مرويّ عن قتادة وابن عبّاس في تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/٣٤٠٠٥، والكشّاف للزمخشري، ٤/٥٣١، واللباب لابن عادل، ٢٠/١٧٧.
١٠ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن وابن مِقسَم وابن مسعود. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٥٠٤.

تضطرم لتعذيب أهل النار.[١] وعن الحسن: يذهب ماؤها حتّى لا يبقى فيها قطرة.[٢] وقُرئ: "سُجِرَتْ"[٣] بالتخفيف.

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ أي: قُرنت بأجسادها أو قُرنت كلّ نفس بشكلها أو بكتابها أو بعملها، أو نفوس المؤمنين بالحُور ونفوسُ الكفَرة بالشياطين.

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ أي: المدفونة حيّةً، وكانت العرب تئد البنات مخافةَ الإملاق أو لحوقِ العار بهم مِن أجلهنّ. قيل: كان الرجل إذا وُلدت له بنت ألبسها جُبّةً مِن صوف أو شعر، حتّى إذا بلغت ستّ سنين ذهَب بها إلى الصحراء وقد حفر لها حفرةً فيلقيها فيها ويهيل عليها التراب.[٤] وقيل: كانت الحامل إذا قربت حفَرت حفرةً فتمخّضت على رأس الحُفرة، فإذا ولدت بنتًا رمَت بها وإن ولدت ابنًا حبسته.[٥]

﴿سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ توجيه السؤال إليها لتسليتها وإظهارِ كمال الغيظ والسخط لوائدها وإسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته، كما في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ﴾ [المائدة، ١١٦/٥]. وقُرئ: "سَأَلَتْ"،[٦] أي: خاصمَتْ أو سألتِ الله تعالى[٧] / أو قاتلَها. وإنّما قيل: ﴿قُتِلَتْ﴾ [٢٧٥و] لِما أنّ الكلام إخبار عنها، لا حكايةٌ لِما خُوطبت به حين سُئلت ليقال: "قُتلتِ" على الخطاب، ولا حكاية لكلامها حين سألَت ليقال: "قُتلتُ" على الحكاية عن نفسها، وقد قُرئ كذلك،[٨] وبالتشديد أيضًا.[٩]

---

١ مرويّ عن ابن عبّاس في معالم التنزيل للبغوي، ٣٤٦/٨؛ وبلا عزو في الكشّاف للزمخشري، ٥٣١/٤.

٢ مرويّ عن قتادة والحسن في جامع البيان للطبري، ١٣٩/٢٤-١٤٠؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٣٤٧/٨؛ والكشّاف للزمخشري، ٥٣١/٤-٥٣٢.

٣ قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بخلاف عن رُويس. النشر لابن الجزري، ٣٩٨/٢.

٤ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٣٢/٤.

٥ مرويّ عن ابن عبّاس في معالم التنزيل للبغوي، ٣٤٨/٨؛ وبلا عزو في الكشّاف للزمخشري، ٥٣٢/٤.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن عليّ بن أبي طالب وابن عبّاس وابن مسعود. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٩.

٧ م - تعالى.

٨ قراءة شاذّة، مرويّة عن عليّ بن أبي طالب وابن عبّاس وابن مسعود. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٩.

٩ قرأ بها أبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٣٩٨/٢.

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما: أنّه سُئل عن أطفال المشركين، فقال: لا يُعذَّبون، واحتجّ بهذه الآية.[١]

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾ أي: صحف الأعمال، فإنّها تُطوى عند الموت وتُنشر عند الحساب. عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: «يُحشَر الناس عُراةً حُفاةً»، فقالت أمّ سلمة: «فكيف بالنساء»، فقال: «شُغِل الناس يا أمّ سلمة»، قالت: «وما شُغلهم؟» قال: «نَشْرُ الصُّحف فيها مثاقيلُ الذرّ ومثاقيلُ الخردل».[٢]

وقيل: نُشرت، أي: فرّقت بين أصحابها، عن مَرثد بن وَداعة:[٣] إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف مِن تحت العرش فيقع صحيفة المؤمن في يده في جنّة عالية، وتقع صحيفة الكافر في يده في سَموم وحميم، أي: مكتوب فيها ذلك، وهي صحف غيرُ صُحف الأعمال.[٤]

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾ قُلعت وأُزيلت كما يُكشَط الإهاب عن الذبيحة والغِطاءُ عن الشيء المستور به. وقُرئ: "قُشِطَتْ"،[٥] واعتقاب "الكاف" و"القاف" غيرُ عزيز كـ"الكافور" و"القافور".

﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ﴾ أي: أوقِدتْ إيقادًا شديدًا. قيل: سعَّرها غضب الله عزّ وجلّ وخطايا بني آدم. وقُرئ: "سُعِرَتْ"[٦] بالتّخفيف.

﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ﴾ أي: قُرِّبت مِن المتّقين، كقوله تعالى: ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ﴾ [ق، ٥٠/٣١]. قيل: هذه اثنتا عشرةَ خصلةً ستّ منها في الدنيا، أي: فيما بين النفختين، وهنّ مِن أوّل السورة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾،[٧]

---

١ الكشّاف للزمخشري، ٥٣٢/٤.
٢ لم أجده في مظانّه. وهو في الكشف والبيان للثعلبي، ٤٨٧/٢٨-٤٨٨؛ والكشّاف للزمخشري، ٥٣٢/٤.
٣ هو مرثد بن وداعة الكِندي، ويقال: الجُعْفِي، أبو قُتيلة، قيل: مِن ساكنيّ مصر، له صُحبة فيما ذكر البخاري، وله عند أبي داود والبغوي حديث في فضل الشام، وقال أبو حاتم الرازي: ليس له صحبة وإنّما كان يروي عن عبد الله بن حوالة، وذكره ابن حبّان ومسلم بن الحجّاج في التابعين. انظر: الاستيعاب لابن عبد البرّ، ١٣٨٦/٣؛ والإصابة لابن حجر، ٧١/٦.
٤ القولان في الكشّاف للزمخشري، ٥٣٢/٤.
٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود وابن أبي عبلة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٥٠٤.
٦ قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف وهشام وروح وأبو بكر بخلاف عنه. النشر لابن الجزري، ٣٩٨/٢.
٧ الآية السادسة مِن هذه السورة.

على أنّ المراد بـ"حَشْر الوحوش" جمعُها مِن كلّ ناحية، لا بعثُها للقِصاص؛ وستّ في الآخرة، أي: بعد النفخة الثانية.

وقوله تعالى: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ جواب ﴿إِذَا﴾، على أنّ المراد بها زمان واحد ممتدّ يسَع ما في سِياقها وسِياق ما عُطف عليها مِن الخصال، مبدؤه النفخة الأولى، ومنتهاه فَصْل القضاء بين الخلائق، لكن لا بمعنى / أنّها تعلم ما تعلم في كلّ جزء مِن أجزاء ذلك الوقت المديد، أو عند وقوع داهية مِن تلك الدواهي؛ بل عند نَشْر الصحف، إلّا أنّه لمّا كان بعض تلك الدّواهي مِن مباديه، وبعضُها مِن روادفه نُسِب عِلمها بذلك إلى زمان وقوع كلِّها تهويلًا للخطب وتفظيعًا للحال. [٢٧٥ظ]

والمراد بـ﴿مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ أعمالُها مِن الخير والشرّ، وبحضورها إمّا حضور صحائفها، كما يُعرِب عنه نَشْرها، وإمّا حضور أنفُسها على ما قالوا: مِن أنّ الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصوَر عرضيّة تبرز في النشأة الآخرة بصوَر جوهريّة مناسبة لها في الحُسن والقُبح على كيفيّات مخصوصة وهيئات معيَّنة، حتّى إنّ الذنوب والمعاصي تتجسّم هنالك وتتصوَّر بصورة النار.

وعلى ذلك حُمل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة، ٤٩/٩]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗا﴾ [النساء، ١٠/٤]، وكذا قوله عليه السلام في حقّ مَن يشرب مِن آنية الذهب والفضّة: «إنّما يُجرجِر في بطنه نارُ جهنّم»،[١] ولا بُعد في ذلك، ألا يُرى أنّ العِلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن، كما لا يخفى على مَن له خبرة بأحوال الحضرات الخمس.

وقد رُوي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: أنّه يؤتى بالأعمال الصالحة على صوَر حسنة وبالأعمال السيّئة على صور قبيحة، فتُوضع في الميزان.[٢] وأيًّا ما كان فإسنادُ إحضارها إلى النفس مع أنّها تُحضَر بأمر الله تعالى، كما ينطق به قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا﴾ الآية [آل عمران، ٣٠/٣]؛

---

[١] صحيح البخاري، ١١٣/٧ (٥٦٣٤)؛ صحيح مسلم، ١٦٣٤/٣ (٢٠٦٥).

[٢] معالم التنزيل للبغوي، ٢١٥/٣ (الأعراف، ٩/٧)؛ فتوح الغيب للطِّيبي، ٣٣٠/٦ (الأعراف، ٩/٧).

لأنّها لمّا عملتها في الدنيا فكأنّها أحضرتها في الموقف، ومعنى عِلمها بها حينئذ أنّها تُشاهدها على ما هي عليه في الحقيقة، فإن كانت صالحةً تُشاهدها على صوَر أحسنَ ممّا كانت تُشاهدها عليه في الدنيا؛ لأنّ الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقّة، وإن كانت سيّئةً تشاهدها على خلاف ما كانت تشاهدها عليه ههنا؛ / لأنّها كانت مزيَّنةً لها مُوافقةً لهواها. [٢٧٦و]

وتنكيرُ "النفس" المُفيدُ لثبوت العِلم المذكور لفرد مِن النفوس أو لبعض منها للإيذان بأنّ ثبوته لجميع أفرادها قاطبةً مِن الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله شائبة اشتباه قطعًا يعرِفه كلّ أحد ولو جيء بعبارةٍ تدلّ على خلافه، وللرمز إلى أنّ تلك النفوسَ العالمةَ بما ذُكر مع توفُّر أفرادها وتكثُّر أعدادها ممّا يُستقَلّ بالنسبة إلى جناب الكبرياء الذي أشيرَ إلى بعض بدائع شئونه المنبِئة عن عِظَم سلطانه.

وأمّا ما قيل: مِن أنّ هذا مِن قبيل عكس كلامهم الذي يقصدون به الإفراط فيما يُعكَس عنه وتمثيلُه بقوله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر، ٢/١٥]، وبقول مَن قال:

قد أترُك القِرن مُصفَرًّا أناملُه[١]

وبقول مَن قال حين سُئل عن عدد فرسانه: "ربّ فارس عندي"،[٢] وعنده المقانب،[٣] قاصدًا بذلك التماديَ في تكثير فرسانه وإظهار براءته مِن التزيّد، وأنّه ممّن يُقلِّل كثيرَ ما عنده فضلًا أن يتزيَّد،[٤] فمِن لوائح النظر الجليل؛[٥] لِما أنّ الكلام المعكوس عنه فيما ذُكر مِن الأمثلة ممّا يقبل الإفراطَ والتماديَ فيه،

---

[١] لعبيد بن الأبرص في ديوانه، ص ٤٩، وتمامه:
كأنّ أثوابه مُجّتْ بفِرصادِ
وهو له في الصحاح للجوهري، «قدد»؛ وهو للهُذليّ في كتاب سيبويه، ٢٢٤/٤؛ وبلا عزو في الكشّاف للزمخشري، ٥٣٣/٤؛ وشرح الرضيّ على الكافية، ٤٤٥/٤. على أنّ "قد" بمعنى "ربّما". ونبه الرضيّ وأنّها استُعملت ههنا للتكثير لأنّ المقام مقام تمدُّح، وهو ما سيُعوِّل عليه المؤلِّف في الاعتراض على هذا الوجه.

[٢] المثال في الكشّاف للزمخشري، ٥٣٣/٤.

[٣] المقانب: جمع "مِقنَب"، وهي جماعة الخيل والفرسان، وقيل: هي دون المائة. لسان العرب لابن منظور، «قنب».

[٤] القول مع الأمثلة في الكشّاف للزمخشري، ٥٣٣/٤.

[٥] السياق: وأمّا ما قيل... فمِن لوائح...

فإنّه في الأوّل: "كثيرًا ما يودّ"، وفي الثاني "كثيرًا ما أترُك"، وفي الثالث "كثير مِن الفرسان"، وكلّ واحد مِن ذلك قابل للإفراط والمبالغة فيه لعدم انحصار مراتبِ الكثرة، وقد قُصِد بعكسه ما ذُكر مِن التمادي في التكثير حسبما فُصِّل، وأمّا فيما نحن فيه فالكلام الذي عُكس عنه: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾، كما صرّح به القائل، وليس فيه إمكان التكثير حتّى يُقصَد بعكسه المبالغةُ والتّمادي فيه، وإنّما الذي يُمكِن فيه مِن المبالغة ما ذكرناه، فتأمَّلْ.

ويجوز أن يكون ذلك للإشعار / بأنّه إذا عَلِمت حينئذ نفسٌ مِن النفوس ما أحضرتْ وجَب على كلّ نفس إصلاحُ عملِها مخافةَ أن تكون هي تلك التي عَلِمت ما أحضرت، فكيف وكلّ نفس تعلَمه؟ على طريقة قولك لمَن تنصحه: "لعلّك ستندم على ما فعلت" و"ربّما ندِم الإنسان على ما فعَل"، فإنّك لا تقصِد بذلك أنّ ندَمه مَرجوُّ الوجود لا متيقَّنٌ به أو نادر الوقوع؛ بل تُريد أنّ العاقل يجب عليه أن يجتنب أمرًا يُرجى فيه الندم، أو قلّما يقع فيه فكيف به إذا كان قطعيَّ الوجود كثيرَ الوقوع. [٢٧٦ظ]

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾ أي: بالكواكبِ الرواجع مِن "خنَس" إذا تأخّر، وهي ما عدا النيّرين مِن الدّراريّ الخمسة، وهي بَهرام وزُحَلُ وعُطاردٌ والزُّهرةُ والمُشتري.

وُصفت بقوله تعالى: ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ لأنّها تجري مع الشمس والقمر، وترجع حتّى تختفي تحت ضوء الشمس، فخُنوسها: رجوعُها، وكُنوسها: اختفاؤها تحت ضوئها، مِن "كَنَس الوحشُ" إذا دخل كِناسه، وهو بيته الذي يتّخذه مِن أغصان الشجر. وقيل: هي جميع الكواكب تخنِس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل، أي: تطلُع في أماكنها كالوحش في كُنُسها.[١]

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ أي: أدبَر ظلامه أو أقبَل فإنّه مِن الأضداد، وكذلك "سَعْسَع". قال الفرّاء: أجمع المفسّرون على أنّ معنى ﴿عَسْعَسَ﴾ أدبَر،[٢]

---

[١] القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٣٣/٤.

[٢] انظر: معاني القرآن للفرّاء، ٢٤٢/٣؛ ونقله عنه ابن عادل في اللباب، ١٨٧/٢٠.

وعليه قول العجّاج:

حتّى إذا الصبحُ لها[١] تنفّسا وانجابَ عنها ليلُها وعَسْعَسا[٢]

وقيل: هي لغة قريشٍ خاصّة. وقيل: معنى إقبال ظلامه أوفَق لقوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾؛[٣] لأنّه أوّل النهار. وقيل: إدباره أقرب مِن تنفّس الصبح، ومعناه أنّ الصبح إذا أقبل يُقبل بإقباله رَوح ونسيم، فجُعل ذلك نفَسًا له مجازًا، فقيل: تنفّس الصبح.[٤]

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١﴾

﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن الكريم الناطق بما ذُكر مِن الدواهي الهائلة ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ هو جبريلُ عليه السلام، قاله مِن جهة الله عزّ وجلّ. ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ شديدة، كقوله تعالى: ﴿شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ [النجم، ٥٣/٥]. وقيل: المراد القوّة في أداء طاعة الله تعالى[٥] وتركُ الإخلال بها مِن أوّل الخلق إلى آخر زمان التكليف.[٦] ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾ ذي مكانة رفيعة عند الله عزّ وعلا عنديّةَ إكرام وتشريف لا عنديّةَ مكان.

[٢٧٧و] ﴿مُّطَاعٖ﴾ / فيما بين ملائكته المقرَّبين يَصدُرون عن أمره ويَرجِعون إلى رأيه. ﴿ثَمَّ[٧] أَمِينٖ﴾ على الوحي. و﴿ثَمَّ﴾[٨] ظرف لِما قبله، وقيل: لِما بعده.[٩] وقُرئ: "ثُمّ"،[١٠] تعظيمًا لوصف الأمانة وتفضيلًا لها على سائر الأوصاف.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ۝٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ۝٢٥﴾

---

١ وفي هامش م: مفازة. «منه».

٢ الرجز لعلقمة بن قُرط في مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٢/٢٨٨؛ وجامع البيان للطبري، ٢٤/١٦٢؛ والتفسير البسيط للواحدي، ٢٣/٢٧٢. وهو للعجّاج في ملحقات ديوانه، ١/٢٥٦؛ وهو له في الكشّاف للزمخشري، ٤/٥٣٣؛ واللباب لابن عادل، ٢٠/١٨٧.

٣ القولان في الكشّاف للزمخشري، ٤/٥٣٣.

٤ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٤/٥٣٣.

٥ س - تعالى.

٦ القول في اللباب لابن عادل، ٢٠/١٨٨.

٧ م س: ثمّة.

٨ م س: ثمّة.

٩ الوجه في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٥٠٤.

١٠ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي حَيْوَة وابن مِقسَم وأبي البَرَهسم. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٩؛ المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ١٨٩٦.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ هو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كما تَبهَتُه الكفرة. والتعرّض لعنوان المُصاحَبة للتلويح بإحاطتهم بتفاصيل أحواله عليه السلام خُبرًا، وعِلمهم بنزاهته عليه السلام[1] عمّا نسبوه إليه بالكلّيّة. وقد استدلّ به على فضل جبريلَ عليه عليهما السلام للتبائن البيّن بين وَصْفيهما، وهو ضعيف؛ إذ المقصود ردُّ قولِ الكفرة في حقّه عليه السلام: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل، ١٠٣/١٦]، ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ [سبأ، ٨/٣٤]، لا تعدادُ فضائلهما والموازنة بينهما.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ أي: وبالله لقد رأى رسول الله جبريلَ عليهما الصلاة والسلام ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ بمطلع الشمس الأعلى.

﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ على ما يُخبِره مِن الوحي إليه وغيره مِن الغيوب ﴿بِضَنِينٍ﴾ أي: ببخيل لا يبخل بالوحي ولا يُقصِّر في التبليغ والتعليم. وقُرئ: "بِظَنِينٍ"،[2] أي: بمُتَّهم مِن الظِّنّة وهي التُّهمة.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ أي: قول بعض المسترِقة للسمع، وهو نفي لقولهم: إنّه كِهانة وسِحر.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ استضلال لهم فيما يسلكونه في أمر القرآن، و"الفاء" لترتيب ما بعدها على ما قبلها مِن ظهور أنّه وحيٌ مُبين، وليس ممّا يقولون في شيء، كما تقول لمَن تَرَك الجادّة بعد ظهورها: هذا الطريق الواضح، فأين تذهب؟

﴿إِنْ هُوَ﴾ ما هو ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ موعظة وتذكير لهم.

وقوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ بدل مِن "العالمين" بإعادة الجارّ. وقوله تعالى: ﴿أَن يَسْتَقِيمَ﴾ مفعول ﴿شَآءَ﴾ أي: لمَن شاء منكم الاستقامة / بتحرّي [٢٧٧ظ]
الحقّ وملازمة الصواب. وإبدالُه مِن ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لأنّهم المنتفِعون بالتذكير.

---

[1] س - عليه السلام.

[2] قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورُويس. النشر لابن الجزري، ٣٩٨-٣٩٩.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ أي: الاستقامة مشيئةً مستتبِعةً لها في وقت مِن الأوقات ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: إلّا وقت أن يشاء الله تعالى تلك المشيئة، أي: المستتبِعة للاستقامة، فإنّ مشيئتكم لا تستتبعها بدون مشيئة الله لها. ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مالك الخلق ومُربّيهم أجمعين.

عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة التكوير أعاذه الله أن يفضحَه حين تُنشَر صحيفتُه».[1]

[1] الكشف والبيان للثعلبي، ٢٨/٤٦٤ (التكوير، ١/٨١)؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٤/٤٢٧ (التكوير، ١/٨١)؛ الكشّاف للزمخشري، ٤/٥٣٥. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ١/٢٤٠.

٨١

سورة التكوير

مكية، تسع وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿إذا الشَّمسُ كُوِّرَتْ﴾: لُفّفتْ وذُهِبَ بنورها، ٢ ـ ﴿وإذا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾: انقَضَّتْ وتساقطت على الأرض، ٣ ـ ﴿وإذا الجِبالُ سُيِّرَتْ﴾: ذُهِبَ بها عن وجه الأرض فصارت هباء مُنبثًّا، ٤ ـ ﴿وإذا العِشارُ﴾: النُّوق الحوامل ﴿عُطِّلَتْ﴾: تُركتْ بلا راع أو بلا حلْب لِما دهاهم من الأمر ـ ولم يكن مالٌ أعجبَ إليهم منها ـ ٥ ـ ﴿وإذا الوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾: جُمعتْ بعد البعث ليُقتصَّ لبعضٍ من بعض، ثمّ تصير تُرابًا، ٦ ـ ﴿وإذا البِحارُ سُجِرَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد: أُوقدتْ فصارت نارًا، ٧ ـ ﴿وإذا النُّفوسُ زُوِّجَتْ﴾:..

سورة التكوير

قولُهُ: (لُفِّفَت) الأظهَرُ: لفَّتْ، من كوَّرتَ العِمامَةَ: إذا لفَفتَها، بمعنى: رُفِعَت؛ لأنَّ الثَّوبَ إذا أُريدَ رفعُهُ لُفَّ، أو لُفَّ ضَوءُها فذهبَ انبِساطُهُ في الآفاقِ وزالَ أثرُهُ، وفي نُسخَةٍ: «كُسِفَت».

قولُهُ: (انقَضَّتْ) أو أظلَمَت.

قولُهُ: (الحَوَامِلُ) التي أتى على حملِهِنَّ عشرَةُ أشهُرٍ، جمعُ: عُشَراءَ، كالنُّفاسِ والنُّفَساء.

قولُهُ: (جُمِعَت) من كُلِّ جانِبٍ، أو أميتَتْ[1].

قولُهُ: (بالتَّخفِيفِ) مكّيٌّ وبصريٌّ[2].

---

(١) في الأصول هنا زيادة: «وقرأ البصري والكسائي بالتشديد» ولعلها خطأ أو سبق قلم، فلا يوجد هنا وجه لقراءة ما.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٧٣).

قُرنتْ بأجسادها، ٨ـ ﴿وإذا المَوءُودةُ﴾: الجارية تُدفن حيّة خوفَ العارِ أو المسألةِ والحاجة ﴿سُئِلَتْ﴾ تبكيتًا لقاتلها: ٩ ـ ﴿بِأيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾؟ ـ وقُرئ بكسر التاء، حكاية لِما تُخاطَب به. وجوابُها أن تقول: قُتلتُ بلا ذنب ـ ١٠ ـ ﴿وإذا الصُّحُفُ﴾: صُحف الأعمال ﴿نُشِرَتْ﴾، بالتخفيف والتشديد: فُتحتْ وبُسطت، ١١ ـ ﴿وإذا السَّماءُ كُشِطَتْ﴾: نُزعتْ عن أماكنها كما يُنزع الجِلد عن الشاة، ١٢ ـ ﴿وإذا الجَحِيمُ﴾: النار ﴿سُعِرَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد: ....

قولُهُ: (بأجسَادِهَا) أو بأشكالِها من أهلِ الخَيرِ والشَّرِّ، أو نُفوسُ المؤمِنينَ بالحورِ ونُفوسُ الكافِرينَ بالشَّياطينِ.

قولُهُ: (تَبكِيتاً) كتبكيتِ النَّصارى بقولِهِ تعالى لعيسى: ﴿أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦].

قولُهُ: (حِكَايَةً لِمَا تُخَاطَبُ) والأوَّلُ حكايةُ المعنى.

قولُهُ: (بالتَّخفِيفِ) نافِعٌ وشاميٌّ وعاصمٌ[١]؛ يعني: صُحُفَ الأعمالِ، فإنَّها تُطوى عندَ الموتِ وتُنشَرُ وقتَ الحسابِ، وقيل: ﴿نُشِرَت﴾ فُرِّقت بين أصحابِها، وذكَرَ في «الكشاف»[٢] عن النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قال: «يُحشَرُ النَّاسُ عُرَاةً حُفَاةً» فقالَت أمُّ سلمةَ: كيفَ بالنِّساءِ؟ فقال: «شُغِلَ النَّاسُ يا أُمَّ سَلَمَةَ»، قالَت: وما شغلُهُم؟ قال: «نَشرُ الصُّحُفِ فيها مثاقيلُ الذَّرِّ ومَثاقِيلُ الخَردَلِ»[٣].

قولُهُ: (نُزِعَت) وقُلِعَت وأُزيلَت، وقرئَ: (قُشِطَت)[٤].

قولُهُ: (عَن جِلدِهَا) هذا مَقلوبٌ، بل كما يُكشَطُ الإهابُ عن الذَّبيحَةِ.

قولُهُ: (بالتَّخفِيفِ) نافِعٌ وابنُ ذكوانَ وحفص[٥]، وحقُّهُ أن يقولَ: وبالتَّشديدِ[٦]؛ ليُفهَمَ الباقونَ، ولئلَّا يُتوهَّمَ الاتِّفاقُ على التَّخفيفِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٧٣).

(٢) انظر: «الكشاف» (٤/ ٧٠٩).

(٣) رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٨/ ٤٨٧) (٣٣٧٢).

وأصل الحديث رواه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «تحشرون حفاة عراة غرلاً» قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: «الأمر أشد من أن يهمهم ذاك».

(٤) وهي قراءة شاذة، ونسبت لابن مسعود وابن أبي عبلة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٥٠٤).

(٥) هذا سهو منه رحمه الله والصواب أن قراءة الثلاثة بالتشديد، انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ٢٠٤)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٩٢).

(٦) كذا قال القاري رحمه الله، وهو موجود في المطبوع، فالله أعلم.

أُجِّجتْ، ١٣ ـ ﴿وإذا الجَنّةُ أُزلِفَتْ﴾: قُرِّبتْ لأهلها ليدخلوها، وجواب «إذا» أوّلَ السورة وما عُطف عليها: ١٤ ـ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ أي: كُلُّ نفس وقتَ هذه المذكورات ـ وهو يوم القيامة ـ ﴿ما أحضَرَتْ﴾ من خير وشرّ.

١٥ـ١٦ ـ ﴿فلا أُقسِمُ﴾ لا: زائدةٌ ﴿بِالخُنَّسِ، الجَوارِ الكُنَّسِ﴾ هي النجوم الخمسة: زُحلُ والمُشتري والمِرّيخ والزُّهَرة وعُطاردٌ ـ تَخنُسُ بضمّ النون أي: ترجِع في مجراها وراءها، بينما ترى النجم في آخر البُرج إذ كرَّ راجعًا إلى أوّله. وتكنِس بكسر النون: تدخل في كِناسها، أي: تغيب في المواضع التي تغيب فيها ـ ١٧ ـ ﴿واللَّيلِ إذا عَسعَسَ﴾: أقبلَ بظلامه أو أدبر، ١٨ ـ ﴿والصُّبحِ إذا تَنَفَّسَ﴾: امتدّ حتّى يصير نهارًا بيّنًا. ١٩ ـ ﴿إنَّهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَقَولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ على الله ـ تعالى ـ وهو جِبريل............

قولُهُ: (أُجِّجَت) بالجيمَينِ؛ أي: أوقدَتْ إيقاداً شديداً.

قولُهُ: (أي: كُلُّ نَفسٍ) يعني: ﴿نَفس﴾ في معنى نُفوس، كقولِهِم: تمرةٌ خَيرٌ من جرادَة[1].

قولُهُ: (وَقتَ هَذِهِ المَذكُورَاتِ) وإنَّما صحَّ، وهي اثنتا عشرَةَ خصلَةً ستٌّ منها في مبادِئِ قيامِ السَّاعةِ قبلَ فناءِ الدُّنيا، وستٌّ بعدَهُ؛ لأنَّ المرادَ زمانٌ متَّسِعٌ شامِلٌ لها ولمُجازاةِ النُّفُوسِ على أعمالِها.

قولُهُ: (الخَمسَةُ) ليس في الكواكِبِ شيءٌ يقطَعُ المجرَّةَ غيرها، كذا رويَ عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنه[2].

قولُهُ: (بِظَلامِهِ) أو ظَلامُهُ.

قولُهُ: (أو أَدبَرَ) وهو من الأضدادِ، وفي «الصحاح»[3]: قالَ الفرَّاءُ[4]: أجمَعَ المفسِّرونَ على أنَّ معنى ﴿عَسعَسَ﴾: أدبَرَ، وقالَ بعضُ أصحابنا: إنَّه دَنا من أوَّلِهِ وأظلَم.

قولُهُ: (امتَدَّ) أو أضاءَ، عبَّرَ به عن إقبالِ رَوحٍ ونسيمٍ.

قولُهُ: (وهوَ جِبرِيلُ) قالَهُ الضَّحَّاكُ والرَّبيع والسُّدِّيُّ وغيرهُم. أخرجَهُ ابن أبي حاتِمٍ، وقالَ آخرونَ: هو محمَّدٌ ﷺ، كذا في «المبهمات»[5].

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (٣/ ١٩٠).

(٢) رواه ابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٣١) من طريق الأصبغ بن نباتة عنه به.

(٣) انظر: «الصحاح» (٣/ ٩٤٩).

(٤) انظر: «معاني القرآن» (٣/ ٢٤٢).

(٥) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١١٦) وعزا الأول لابن أبي حاتم.

وروى عبد الرزاق في «التفسير» (٣٥١٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٥٨) عن قتادة أنه جبريل.

أضيف إليه لنزوله به، ٢٠ ـ ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي: شديدِ القُوى ﴿عِندَ ذِي العَرْشِ﴾ أي: الله ـ تعالى ـ ﴿مَكِينٍ﴾: ذي مكانة ـ مُتعلّق به «عند» ـ ٢١ ـ ﴿مُطاعٍ ثَمَّ﴾ أي: تُطيعُه الملائكة في السماوات ﴿أمِينٍ﴾ على الوحي، ٢٢ ـ ﴿وما صاحِبُكُم﴾ مُحمّد ﷺ: عطفٌ على «إنه» إلى آخر المُقسَم عليه ﴿بِمَجنُونٍ﴾ كما زعمتم، ٢٣ ـ ﴿ولَقَد رَآهُ﴾ رأى مُحمّدٌ جِبريلَ ـ عليهما الصلاة والسلام ـ على صُورته التي خُلق عليها ﴿بِالأُفُقِ المُبِينِ﴾: البيِّن، وهو الأعلى بناحية المشرق.

٢٤ ـ ﴿وما هُوَ﴾ أي: مُحمّدٌ ـ عليه الصلاة والسلام ـ ﴿عَلَى الغَيبِ﴾ أي: ما غاب من الوحي وخبر السماء ﴿بِظَنِينٍ﴾: بمُتّهم ـ وفي قراءة بالضاد، أي: ببخيلٍ فينقُصَ شيئًا منه ـ ٢٥ ـ ﴿وما هُوَ﴾ أي: القرآنُ ﴿بِقَولِ شَيطانٍ﴾ مُسترقِ السمعِ ﴿رَجِيمٍ﴾: مرجوم.

٢٦ ـ ﴿فأينَ تَذهَبُونَ﴾: فأيَّ طريق تسلكون في إنكاركم القُرآنَ وإعراضكم عنه؟ ٢٧ ـ ﴿إنْ﴾: ما ﴿هُوَ إلاّ ذِكرٌ﴾: عِظة ﴿لِلعالَمِينَ﴾: الإنس والجنّ، ٢٨ ـ ﴿لِمَن شاءَ مِنكُم﴾: بدلٌ من «العالمين» بإعادة الجارّ ﴿أن يَستَقِيمَ﴾ باتّباع الحقّ. ٢٩ ـ ﴿وما تَشاؤُونَ﴾ الاستقامةَ على الحقّ ﴿إلاّ أن يَشاءَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ﴾: الخلائقِ استقامَتكم عليه.

قولُهُ: (لنُزُولِهِ) أو لأنَّه قالَهُ عن الله تعالى.

قولُهُ: (ذي مَكَانَةٍ) الأظهرُ: ذي مكانَةٍ.

قولُهُ: (في السَّمَاوَاتِ) أشارَ إلى أنَّ ﴿ثَمَّ﴾ مُتَّصِلٌ بما قبلَهُ، ويحتَمِلُ اتِّصالَهُ بما بعدَهُ.

قولُهُ: (كَمَا زَعَمتُم) أو كما زَعَموا.

قولُهُ: (بمُتَّهَمٍ) من الظِّنَّةِ، وهي التُّهمَةُ.

قولُهُ: (وفي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ وشاميٍّ وعاصِمٍ وحمزَةَ[1]، مُوافقَةً للمَرسومِ.

قولُهُ: (فَيَنْقُصَ) تبليغاً وتعليماً.

قولُهُ: (فَأَيَّ طَرِيقٍ) استِضلالٌ لهم فيما يسلُكونَهُ، كقولِكَ لتارِكِ الجادَّةِ: أين تذهَبُ.

قولُهُ: (بَدَلٌ) لأنَّهم المنتَفِعونَ بالتَّذكيرِ.

قولُهُ: (الاستِقَامَةَ) يا من يَشاؤُها.

قولُهُ: (استِقَامَتَكُم) أي: إلا وَقتَ أن يشاءَ مَشيئَتَكُم فله الفَضلُ عليكم باستِقامَتِكُم، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٧٣).

سورة التكوير

ويقال: سورة «كورت»، وسورة «إذا الشمس كورت»، وهي مكيةٌ بلا خلاف، وآيُها تسعٌ وعشرون آيةً، وفي «التيسير»: ثمانٍ وعشرون. وفيها من شرح حال يوم القيامة الذي تضمَّنه آخر السورة قبلُ ما فيها، وقد أخرج الإمام أحمد والترمذيُّ وحسَّنه والحاكم وصححه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن سرَّه أن ينظر إلى يومِ القيامة كأنه رأيُ عينٍ فليقرأ إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقَّت»[1]. أي: السورَ الثلاث، وكفى بذلك مناسبةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ أي: لُفَّتْ، من كوَّرتُ العمامة: إذا لَفَفْتها، وهو مجازٌ عن رفعها[2] وإزالتها من مكانها بعلاقة اللزوم، فإنَّ الثوب إذا أريد رفعُه يُلفُّ لفًّا ويُطوَى ثم يُرفع، ونحوُه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

ويجوز أن يراد لفُّ ضوئها المنبسط في الآفاق، المنتشرِ في الأقطار، إمَّا على أنَّ الشمس مجازٌ عن الضوء فإنه شائعٌ في العرف، أو على تقدير المضاف، أو على التجوُّز في الإسناد، ويرادُ من لفِّه إذهابُه مجازاً بعلاقة اللزوم كما سمعتَ آنفاً، أو رفعُه وستره استعارةً كما قيل، وقد اعتُبر تشبيه الضوء بالجواهر والأمورِ النفيسة التي إذا رُفعت لُفَّتْ في ثوبٍ، ثم تعتبر الاستعارة ويُجعل التكوير بمعنى اللفِّ قرينةً ليكون هناك استعارةٌ مكنيةٌ تخييليةٌ.

---

(١) مسند أحمد (٤٨٠٦)، وسنن الترمذي (٣٣٣٣)، والمستدرك ٢/ ٥١٥.

(٢) في هامش الأصل و(م): ولعل القرينة النسبة فتأمل. اهـ منه.

وكون المراد إذهابَ ضوئها مرويٌّ عن الحسن وقتادة ومجاهد، وهو ظاهرُ ما رواه جماعةٌ عن ابن عباس من تفسيره «كوِّرت» بـ : أظلمتْ.

والظاهرُ أنَّ ذاك مع بقاء جرمها كالقمر في خسوفه، وفي الآثار ما يؤيِّد ذلك. وقيل: إنَّ ذاك عبارةٌ عن إزالة نفس الشمس والذهابِ بها، للُّزومِ العاديِّ، واستلزامِ زوال اللازم لزوال الملزوم.

ويجوز أن يكون المراد بـ «كوِّرت»: أُلقيت عن فلكها وطُرحت، من طَعَنَه فحوَّره وكوَّره، أي: ألقاه مجتمعاً على الأرض. وإلقاؤها في جهنم مع عَبَدتها كما يدلُّ عليه بعضُ الأخبار المرفوعة[1]، ويذهب إذ ذاك نورُها كما صرَّح به القرطبي[2]، أو في البحر كما يدلُّ عليه خبر ابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن ابن عباس، وفيه أنَّ الله تعالى يبعث ريحاً دَبوراً فتنفخه ـ أي: البحر ـ حتى يرجع ناراً[3].

وعِظَمُ جرم الشمس اليومَ لا يقتضي استحالةَ إلقائها في البحر ذلك اليوم؛ لجوازِ اختلاف الحال في الوقتين، والله عز وجل على كلِّ شيءٍ قديرٌ، لكن جاء في الأخبار الصحيحة أنَّ الشمس تدنو يوم القيامة من الرؤوس في المحشر حتى تكون قَدْرَ ميلٍ، ويلجِمُ الناسَ العرقُ يومئذٍ[4]، ولا بحرَ حينئذٍ لتُلقَى فيه بعدُ، فلا تغفل.

وعن أبي صالح: «كوِّرت»: نكِّسَتْ. وفي روايةٍ عن ابن عباس: تكويرها إدخالها في العرش. وعن مجاهد أيضاً: اضمحلَّتْ. ومدار التركيب على الإدارة والجمع.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦/٣١٨، عن أبي مريم أن النبيَّ ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال: «كوِّرت في جهنم» ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ قال: «انكدرت في جهنم، وكلُّ مَن عُبد من دون الله فهو في جهنم. . .».

(٢) في تفسيره ٢٢/ ٩٤.

(٣) الدر المنثور ٦/٣١٨، وهو في العظمة لأبي الشيخ (٦٤٥)، وأخرجه أيضاً هناد في الزهد (٣٣٤)، والطبري ٢٤/ ١٣٨، وذكره ابن كثير عند تفسير هذه الآية. ووقع في الأصل و(م) بدل ابن عباس: ابن عتيك، والمثبت من المصادر.

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٦٤) من حديث المقداد بن الأسود ﷺ.

هذا ولم نقف لأحدٍ من السلف على إرادة لفِّها حقيقةً، وللمتأخِّرين في جواز إرادته خلافٌ؛ فقيل: لا تجوز إرادتُه لأن الشمس كريَّةٌ مصمتةٌ، وغايةُ اللفِّ هي الإدارة، وهي حاصلةٌ فيها.

وقيل: تجوز؛ لأنَّ كون الشمس كذلك مما لا يثبته أهلُ الشرع، وعلى تسليمه يجوزُ أن يحدث فيها قابلية اللفِّ بأنْ يصيِّرها سبحانه منبسطةً ثم يلفَّها، وله عز وجل في ذلك ما له من الحِكَم.

ويُبْعِدُ إرادةَ الحقيقة فيما أرى كونُها كيفما كانت من الأجرام التي لا تلفُّ كالثياب، نعم القدرة في كلِّ وقت لا يتعاصاها شيءٌ.

وارتفاعُ الشمس بفعلٍ مضمر يفسِّره المذكور عند جمهور البصريين؛ لاختصاص «إذا» الشرطيةِ عندهم بالفعل، وعلى الابتداء عند الأخفش والكوفيين؛ لعدم الاختصاص عندهم، وكونِ التقدير خلافَ الأصل.

وكذا يقال في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ أي: انقضَّتْ وسقطت، كما أخرجه عبد بن حميد عن مجاهدٍ وقتادة(١)، ومنه انكدر البازي: إذا نزل بسرعةٍ على ما يأخذه؛ قال العجَّاج يمدحُ عمر بنَ معمرٍ التيميَّ:

إذا الكرامُ ابتدروا الباعَ بَدَرْ
تَقَضِّيَ البازي إذا البازي كَسَرْ
دانَى جناحيه من الطود فمرّ
أبصر خِرْبان فضاءٍ فانكَدَرْ(٢)

وهذا إحدى روايتين عن ابن عباس.

---

(١) الدر المنثور ٦/٣١٨، وخبر مجاهد بلفظ: تناثرت، وخبر قتادة بلفظ: تساقطت وتهافتت.

(٢) ديوان العجاج ص٨٣، وحاشية الشهاب ٨/٣٢٦، وفيه: يصفه بالكرم، وأنه لحرصه على السبق للمكارم يسرع إليها إسراع بازٍ رأى صيداً فانقض عليه، وابتدروا بمعنى بادروا، والباع: الذراع وقَدْرُ مدِّ اليدين، وهو مجاز هنا عن الإحسان. وكسر بمعنى: ضم جناحيه للنزول. والطود: الجبل. وخِرْبان بكسر الخاء وسكون الراء جمع خَرَب بفتحتين، وهو ذَكَر الحبارى.

وروي عنه أنه قال: لا يبقى يومئذٍ نجمٌ إلا سقط في الأرض.

وعنه أيضاً: أنَّ النجوم قناديلُ معلقةٌ بين السماء والأرض بسلاسلَ من نورٍ بأيدي ملائكةٍ من نور، فإذا مات مَن في السماوات والأرض تساقطت من أيديهم[١]. وظاهرُ هذا أنَّ النجوم ليست في جرم أفلاك لها كما يقول الفلاسفة المتقدِّمون، بل معلَّقةٌ في فضاءٍ، ويقرُبُ منه من وجهٍ قولُ الفلاسفة المحْدَثين، فإنهم يقولون بكونها في فضاءٍ أيضاً، لكنْ بقوَى متجاذبةٍ لا معلَّقةً بسلاسلَ بأيدي ملائكةٍ، وليس وراء ما يشاهَد منها إلا سماءٌ بمعنى جهة علوٍّ، لا سماءٌ بالمعنى المعروف، وإنْ صحَّ خبر الحبر[٢] ـ وهو في حكم المرفوع ـ لم نَعْدِلْ عن ظاهره إلا إن ظهر استحالتُه، وهيهاتَ ذلك، وحينئذٍ فالأمرُ سهلٌ، وقد ذكر بعض المتألِّهين أنَّ الملائكة قد تطلَقُ على الأرباب النورية كما في خبرٍ: إنَّ لكلِّ شيءٍ ملكاً، وإن كلَّ قطرةٍ من قطرات المطر ينزل معها ملكٌ[٣]. وخبر: «أتاني مَلَكُ الجبال ومَلَكُ البحار»[٤]، وتسمَّى المثلَ الأفلاطونية، وهي أنوارٌ مجرَّدةٌ قائمةٌ بنفسها، مدبِّرة بإذن الله تعالى للمربوبات حافظةٌ إياها، وهي المنمِّية والغاذيةُ والمولِّدة في النباتات والحيوانات. ويقال في السلاسل: إنه أريدَ بها القُوى التي بها حِفْظُ الأوضاع، أو نحوُ ذلك.

وقيل: انكدرت تغيَّرت وانطمس نورُها كما هو الرواية الأخرى عن ابن عباس، من: كَدَرْتُ الماء فانكدر، ففيه تشبيهُ انطماسِ نورِها بتكدُّر الماء الذي لا يبقى معه صفاؤه ورونقُ منظره، وتكون هي حينئذٍ على ما في بعض الآثار مع عَبَدتها في النار.

---

(١) ذكره عن ابن عباس القرطبي ٢٢/ ٩٤، وأبو السعود ٩/ ١١٤ وعنه نقل المصنف. وذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٤٢٨، والرازي في مفاتيح الغيب ٣١/ ٦٧، والنيسابوري في غرائب القرآن ٣٠/ ٣٤ عن عطاء. وينظر التعليق الذي بعده.

(٢) والضعف عليه ظاهر، وقد ذكره المصنف ٢٣/ ٦٨ عن الكلبي وقال: ولا أراه إلا حديث خرافة. وذكره أيضاً ٢٩/ ٨ عن عطاء وتعقبه بأنه لا يكاد يصح.

(٣) لم نقف عليه، وسلف ١/ ٤٨١.

(٤) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وينظر ما سلف ١/ ٤٨١-٤٨٢.

وظاهرٌ أنَّ النجوم لا تشملُ الشّمس، وقيل: تشملُها، وذِكْرُها بعدها تعميمٌ بعد تخصيصٍ، فلا تغفل.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ أي: أُزيلت عن أماكنها من الأرض بالرجفة الحاصلةِ، على أنَّ التسيير مجازٌ عن ذلك. وقيل: سيِّرتْ بعد رَفْعِها في الجوِّ، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]. وهذا إنما يكون بعد النفخة الثانية.

﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾ جمع عُشَراء كنِفَاسٍ جمع نُفَساء، وهي الناقة التي أتى عليها من يومِ أُرسل فيها الفحل عشرةُ أشهر، ثم لا يزال ذلك اسمَها حتى تضع، وقد يقال لها ذلك بعدما تضع أيضاً، وهي أنفسُ ما يكون عند أهلها، وأعزُّ شيء عليهم.

﴿عُطِّلَتْ ۝٤﴾ تُركت مهملةً لا راعيَ لها ولا طالب. وقيل: عطَّلها أهلها عن الحلب والصرِّ. وقيل: عن أن يُرسَلَ فيها الفحول. وذلك إذا كان قُبيل قيام القيامة؛ لاشتغال أهلها بما عراهم مما يكون إذ ذاك.

وقيل: إنَّ هذا التعطيلَ يومَ القيامة؛ فقال القرطبي: الكلامُ على التمثيل؛ إذ لا عِشَارَ حينئذٍ، والمعنى: أنه لو كانت عشارٌ لعطَّلها أهلُها واشتغلوا بأنفسهم(١).

وقيل: على الحقيقة، أي: إذا قاموا من القبور وشاهدوا الوحوش والأنعام والدوابَّ محشورةً ورأوا عِشَارهم التي كانت كرائمَ أموالِهم فيها لم يعبؤوا بها لشغلهم بأنفسهم. وهو كما ترى.

وقيل: المراد بالعشار السحابُ، على تشبيه السحابة المتوقَّع مطرُها بالناقة العُشَراء القريبِ وضعُ حملها، وفيه استعارةٌ لطيفةٌ مع المناسبة التامَّة بينه وبين ما قبله، فإنَّ السحب تنعقد على رؤوس الجبال وتُرى عندها. ولا ينافيه كونُه مناسباً لِمَا بعده على الأول، فإنه معنًى حقيقيٌّ مرجَّحٌ بنفسه. وتعطيلُها مجازٌ عن عدم ارتقاب مطرها؛ لأنهم في شغلٍ عنه. وقيل: عن عدم إمطارها.

وقيل: هي الديارُ تعطَّل فلا تُسْكَنُ.

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٩٥-٩٦، ونقله المصنف عنه بواسطة أبي حيان في البحر ٨/ ٤٣٢.

وقيل: الأرض التي يُعشَّر زَرْعُها، تعطَّلُ فلا تُزرع.

وقرأ مضرٌ عن اليزيدي: «عُطِلَتْ» بالتخفيف والبناء للمجهول[١]، ونقله في «اللوامح» عن ابن كثير، ثم قال: هو وهمٌ، إنما هو عَطَلَتْ بفتحتين بمعنى تعطَّلت؛ لأنَّ تشديده للتعدية؛ يقال: عطَّلتُ الشيءَ وأعطلتُه فعَطَلَ بنفسه، وعَطَلتِ المرأةُ فهي عاطل: إذا لم يكن عليها حليٌّ، فلعل هذه القراءة لغةٌ استوى فيها فَعَلت وأَفْعَلت، أي: في التعدِّي[٢]. وقيل: الأظهر أنه عدِّي بالحرف، ثم حُذِفَ وأُوْصِلَ الفعل بنفسه.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ﴾ جمعُ وحشٍ، وهو حيوانُ البرِّ الذي ليس في طبعه التأنُّسُ ببني آدم، والمراد به ما يعمُّ البهائم مطلقاً.

﴿حُشِرَتْ ۝٥﴾ أي: جُمعت من كلِّ جانبٍ، وذلك قُبيلَ النفخة الأولى حين تخرج نارٌ تفرُّ الناس والأنعام منها حتى تجتمعَ.

وقيل: أُميتتْ، من قولهم إذا أجحفت السنة بالناس[٣]: حشرتهم. ونحوُه ما أخرج عبد بن حميد عن مجاهدٍ أنه قال: حَشْرُها موتُها[٤].

وعن ابن عباس تفسير الحشر بالجمع، إلا أنه قال كما أخرجه جماعةٌ وصححه الحاكم: جُمِعتْ بالموت، فلا تُبعث ولا يحضر في القيامة غير الثقلين[٥].

---

(١) البحر ٨/ ٤٣٢، واليزيدي هو يحيى بن المبارك بن المغيرة، أبو محمد العدوي البصري، وعرف باليزيدي لصحبته يحيى بن منصور الحميري خال المهدي، توفي سنة (٢٠٢هـ). ومضر لعله مضر بن محمد بن خالد، أبو محمد الضبي الأسدي الكوفي، روى الحروف عنه ابن مجاهد وابن شنبوذ وغيرهم. طبقات القراء لابن الجزري ٢/ ٢٩٩ و٣٧٥.

(٢) البحر ٨/ ٤٣٢، وذكرها عن ابن كثير أيضاً ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٩.

(٣) أي: أهلكتهم واستأصلتهم. المغرب للمطرزي (جحف)، وحاشية الشهاب ٨/ ٣٢٧.

(٤) الدر المنثور ٦/ ٣١٩.

(٥) الدر المنثور ٦/ ٣١٩، وهو في المستدرك ٢/ ٥١٥، وأخرجه أيضاً الطبري ٢٤/ ١٣٦، ولفظه عندهم: حَشْرُ البهائم موتها، وحَشْرُ كلِّ شيءٍ الموت غير الجن والإنس، فإنهما يوقفان يوم القيامة. ونقل المصنف لفظه عن البحر ٨/ ٤٣٢.

وقيل: بُعثت للقصاص، فيحشرُ كلُّ شيءٍ حتى الذباب. وروي ذلك عن ابن عباس أيضاً[١]، وعن قتادة وجماعةٍ.

وفي روايةٍ عن الحبر: تُحشر الوحوش حتى يُقتصَّ من بعضها لبعضٍ، فيقتصُّ للجمَّاء من القَرْناء، ثم يقال لها: موتي، فتموت[٢].

وقيل: إذا قُضي بينها رُدَّتْ تراباً، فلا يبقى منها إلا ما فيه سرورٌ لبني آدم وإعجابٌ بصورته، كالطاووس والظبي.

وقيل: يبقى كلُّ ما لم يَنتفع به إلا المؤمنُ، كشاةٍ لم يأكل منها إلا هو، ويدخل ما يبقى الجنةَ على حالٍ لائقةٍ بها.

وذهب كثيرٌ إلى بعث جميع الحيوانات ميلاً إلى هذه الأخبار ونحوها؛ فقد أخرج مسلم والترمذيُّ عن أبي هريرة في هذه الآية قال: قال رسول الله ﷺ: «لتؤدُّنَّ الحقوقَ إلى أهلها يومَ القيامة، حتى يُقاد للشاة الجمَّاء من الشاة القَرْناء»[٣] وزاد أحمد بن حنبل: «وحتى الذرَّةُ من الذرَّةِ»[٤].

ومال حجة الإسلام الغزالي وجماعةٌ إلى أنه لا يحشر غيرُ الثَّقلَيْنِ لعدم كونه مكلَّفاً، ولا أهلاً للكرامة بوجهٍ، وليس في هذا الباب نصٌّ من كتابٍ أو سنَّةٍ معوَّلٍ عليها يدلُّ على حشر غيرهما من الوحوش، وخبر مسلم والترمذيِّ وإن كان صحيحاً لكنه لم يخرج مخرجَ التفسير للآية، ويجوز أن يكون كنايةً عن العدل التامِّ. وإلى هذا القول أميلُ، ولا أجزمُ بخطأ القائلين بالأول، لأنَّ لهم ما يَصْلحُ مستنداً في الجملة، والله تعالى أعلم.

وقرأ الحسن وعمرو بن ميمون: «حشِّرتْ» بالتشديد[٥] للتكثير.

---

(١) أخرجه عنه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦/ ٣١٩.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره ٢٢/ ٩٧، وقال: وهذا أصح مما رواه عنه عكرمة. ويعني بما رواه عنه عكرمة ما أخرجه الحاكم وجماعةٌ عنه، وسلف تخريجه ولفظه قريباً.

(٣) صحيح مسلم (٢٥٨٢)، وسنن الترمذي (٢٤٢٠).

(٤) مسند أحمد (٨٧٥٦).

(٥) القراءات الشاذة ص١٦٩، والبحر ٨/ ٤٣٢.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ أي: أُحْمِيتْ بأنْ تغيضَ مياهُها، وتَظْهرَ النارُ في مكانها، ولذا ورد على ما قيل: إنَّ البحر غطاءُ جهنم.

أو: ملئت بتفجير بعضها إلى بعضٍ، حتى يكون مالحها وعَذْبُها بحراً واحداً، من سَجَر التنور: إذا ملأه بالحطب ليُحْمِيَه.

وقيل: مُلئت نيراناً تضطرمُ لتعذيب أهل النار.

وقيل: ملئت تراباً تسويةً لها بأرض المحشر. وليس له مستندُ أثرٍ عن السلف.

ونقل في «البحر» عن كتاب «لغات القرآن» أن «سجِّرت» بمعنى جُمعت بلغة خثعم[1]، ولعل جمعها عليه بالتفجير.

وقال ابن عطية: يحتمل أن يكون المعنى: مُلِكَتْ وقيِّد اضطرابها حتى لا تخرج عن الأرض من الهول، فيكون ذلك مأخوذاً من ساجور الكلب[2]، وهو خشبةٌ تجعل في عنقه، ويقال: سجره، إذا شدَّه به.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «سُجِرتْ» بالتخفيف[3].

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ أي: قُرِنتْ كلُّ نفسٍ بشكلها؛ أخرج جماعةٌ منهم الحاكم وصحَّحه عن النعمان بن بشير عن عمر رضي الله عنه أنه سئل عن ذلك، فقال: يُقْرَنُ الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة، ويُقْرَنُ الرجل السوءُ مع الرجل السوء في النار، فذلك تزويجُ الأنفس[4]. وفي حديثٍ مرفوعٍ رواه النعمان أيضاً ما يقتضي ظاهرُه ذلك[5].

---

(١) البحر ٨/ ٤٣٢.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٢.

(٣) التيسير ص٢٢٠، والنشر ٢/ ٣٩٨، وهي قراءة أبي جعفر من العشرة.

(٤) الدر المنثور ٦/ ٣١٩، وهو في المستدرك ٢/ ٥١٥-٥١٦، وأخرجه أيضاً الطبري ٢٤/ ١٤١-١٤٢، والحافظ في تغليق التعليق ٤/ ٣٦٢.

(٥) أخرجه ابن مردويه كما ذكر الحافظ في الفتح ٨/ ٦٩٤، وقال: والأول ـ يعني خبر عمر ـ هو المحفوظ.

وقال بعضٌ: هذا في الموقف، أن يُقْرَنَ بين الطبقات: الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل.

وقال مقاتل بن سليمان: تُقرن نفوس المؤمنين بأزواجهم من الحور وغيرهنَّ، ونفوسُ الكافرين بالشياطين.

وقيل: تُقرن كلُّ نفسٍ بكتابها. وقيل: بعملها.

وجوِّز أن يراد: تُقْرَنُ كلُّ نفسٍ بخصمها فلا يمكنها الفرارُ منه. وأنت تعلم أنَّ كون كلِّ نفسٍ ذا خصمٍ بيِّنَ الانتفاء.

وأيًّاما كان فالنفسُ بمعنى الذات، والتزويجُ جَعْلُ الشيء زوجاً، أي: مقارناً.

وقال عكرمة والضحاك والشعبي: تُقرن النفوس بأزواجها، وذلك عند البعث. والنفسُ عليه بمعنى الروح.

وقرأ عاصم: «زُوْوِجتْ» على فُوْعِلَتْ[١].

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ وهي البنت التي تُدفن حيَّةً، من الوَأْد: وهو الثِّقل، كأنها سمِّيت بذلك لأنها تُثْقَلُ بالتراب حتى تموت. وقيل: هو مقلوبُ الأوْدِ، وحكاه المرتضى في «درره» عن بعض أهل اللغة[٢]، وهو غير مرتضًى عند أبي حيان[٣].

وكانت العرب تئِدُ البنات مخافةَ لُحوقِ العار بهم من أجلهنَّ، وقيل: مخافةَ الإملاق، ولعله بالنسبة إلى بعضهم، ومنهم مَن يقول: الملائكةُ بناتُ الله، سبحانه عمَّا يقولون، فألحقوا البناتِ به تعالى، فهو عزَّ وجلَّ أحقُّ بهنَّ.

وذكر غيرُ واحدٍ أنه كان الرجل منهم إذا ولدتْ له بنتٌ فأراد أن يستحييها ألبسها جبَّةً من صوفٍ أو شعرٍ تَرْعَى له الإبل والغنم في البادية، وإن أراد قتلها تركها، حتى إذا كانت سداسية[٤] فيقول لأمها: طيِّبيها وزيِّنيها حتى أذهب بها إلى

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٢، والبحر ٨/ ٤٣٣، وهي خلاف المشهور عن عاصم.

(٢) ينظر أمالي المرتضى المسماة غرر الفوائد ودرر القلائد ٢/ ٢٨٢، ونقله المصنف بواسطة الشهاب في الحاشية ٨/ ٣٢٧. وينظر الكشاف ٤/ ٢٢٢.

(٣) في البحر ٨/ ٤٣٣.

(٤) في هامش الأصل: بلغت قامتُها ستَّةَ أشبار.

أحمائها. وقد حفر لها بئراً في الصحراء، فيبلغ بها البئر فيقول لها: انظري فيها. ثم يدفعُها مِن خَلْفِها ويُهيل عليها الترابَ حتى تستويَ البئرُ بالأرض.

وقيل: كانت الحامل إذا أَقْرَبَتْ[١] حَفَرتْ حفرةً فتمخَّضتْ على رأس الحفرة، فإذا وَلَدتْ بنتاً رمتْ بها فيها، وإن ولدتْ ابناً حبسته.

ورأيتُ إذ أنا يافعٌ في بعض الكتب أنَّ أول قبيلةٍ وأَدَتْ من العرب ربيعةُ، وذلك أنهم أُغِيرَ عليهم، فنُهبت بنتٌ لأميرٍ لهم، فاستردَّها بعد الصلح، فخيِّرتْ برضًى منه بين أبيها ومَن هي عنده، فاختارت مَن هي عنده وآثرته على أبيها، فغضب وسنَّ لقومه الوأدَ، ففعلوه غيرةً منهم ومخافةَ أنْ يقع لهم بعدُ مثلُ ما وقع، وشاع في العرب غيرهم، والله تعالى أعلم بصحة ذلك.

وقرأ البزّي في روايةٍ: «المؤودة» كمعونة، فاحتَمَلَ أن يكون الأصل «الموؤودة» كقراءة الجمهور، فنقل حركة الهمزة إلى الواو قبلها وحذفت، ثم هُمزت تلك الواو. واحتمل أن يكون اسمَ مفعولٍ من آد، والأصل: المأوودة، فحذف أحد الواوين فصارت «المؤودة» كما حذف من مَقْوُول فصار مقولاً[٢].

وقرئ: «المَوُودة» بضمِّ الواو الأولى وتسهيل الهمزة، أعني التسهيلَ بحَذْفِها، ونَقْلِ حركتها إلى ما قبلها[٣].

وفي «مجمع البيان» والعهدةُ عليه: روي عن أبي جعفر وأبي عبد الله وابن عباس رضي الله عنهم أنهم قرؤوا: «المودَّة» بفتح الميم والواو، والمراد بها الرَّحِمُ والقرابةُ، وعن أبي جعفر: قرابةُ الرسول ﷺ[٤]. ويراد بقتلها قَطْعُها، أو هو على حقيقته والإسناد مجازيٌّ، والمراد قتلُ المتصف بها.

وتوجيه السؤال إلى «الموؤودة» في قوله تعالى: ﴿سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ دون الوائد مع أنَّ الذنب له دونها لتسليتها وإظهارِ كمال الغيظ والسخط لوائدها،

(١) أي: قَرُبَ وِلادُها، فهي مُقْرِب. القاموس (قرب).
(٢) البحر ٨/ ٤٣٣، وهذه القراءة هي خلاف المشهور عن البزي.
(٣) البحر ٨/ ٤٣٣، وذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٢ عن البزي.
(٤) مجمع البيان ٣٠/ ٤٥ و٤٦.

وإسقاطه عن درجة الخطاب، والمبالغةِ في تبكيته، فإنَّ المجنيَّ عليه إذا سئل بمحضر الجاني ونُسبت إليه الجنايةُ دون الجاني كان ذلك بعثاً للجاني على التفكُّر في حال نفسه وحالِ المجنيِّ عليه، فيرى براءةَ ساحته، وأنه هو المستحقُّ للعتاب والعقاب، وهذا نوعٌ من الاستدراج واقعٌ على طريق التعريض، كما في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ﴾ [المائدة: ١١٦].

وقرأ أبيٌّ وابن مسعود والربيع بنُ خثيم وابن يعمر: «سَأَلتْ»[١]، أي: خاصَمَتْ، أو: سألت الله تعالى، أو قاتِلَها، وإنما قيل: «قُتِلَتْ» لِمَا أنَّ الكلام إخبارٌ عنها لا حكايةٌ لِمَا خُوطبت به حين سئلت ليقال: قُتِلْتِ على الخطاب، ولا حكايةٌ لكلامها حين سألت ليقال: قُتِلْتُ على الحكاية عن نفسها، وقد قرأ كذلك عليٌّ كرم الله تعالى وجهه وابن عباس وابن مسعود أيضاً وجابرُ بن زيد وأبو الضحى ومجاهد[٢].

وقرأ الحسن والأعرج: «سيلت» بكسر السين، وذلك على لغةِ مَن قال: سال: بغير همزٍ[٣].

وقرأ أبو جعفر بشدِّ الياء[٤]؛ لأن الموؤودة اسمُ جنسٍ فناسَبَ التكثيرَ باعتبار الأشخاص.

وفي الآية دليلٌ على عظم جناية الوأد، وقد أخرج البزَّار والحاكم في الكنى والبيهقيُّ في «سننه» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: جاء قيس بن عاصم التميميُّ إلى رسول الله ﷺ فقال: إنِّي وَأَدْتُ ثمان بناتٍ لي في الجاهلية. فقال النبيُّ ﷺ: «أَعْتِقْ عن كلِّ واحدةٍ رقبةً» قال: إنِّي صاحبُ إبلٍ. قال: «فاهْدِ عن كلِّ واحدةٍ بَدَنةً»[٥] وكأن الأمر للندب، لا للوجوب؛ لتوقّف صحة التوبة عليه، فإنَّ

(١) البحر ٨/ ٤٣٣، وقد قرأ بها غيرهم كما سيرد، ولكن اختلفوا في «قتلت»، فقرأ هؤلاء كقراءة الجماعة، وقرأ غيرهم: «قُتِلْتُ» بسكون اللام وضم التاء كما سيرد أيضاً.

(٢) القراءات الشاذة ص١٦٩، والبحر ٨/ ٤٣٣.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٢، والبحر ٨/ ٤٣٣، والكلام منه.

(٤) النشر ٢/ ٣٩٨.

(٥) الدر المنثور ٦/ ٣٢٠، وهو في مسند البزار (٢٣٧)، وسنن البيهقي الكبرى ٨/ ١١٦.

الإسلام يجبُّ ما قبله من مثل ذلك، وفيه تعظيمُ أمر الوأد، وكان من العرب مَن يستقبحُه كصعصعةَ بنِ ناجية المجاشعيِّ جدِّ الفرزدق، كان يفتدي الموؤدات من قومه بني تميم، وبه افتخر الفرزدق في قوله:

وجدِّي[(١)] الذي منع الوائدات فأحيا الوئيدَ فلم يُوأدِ[(٢)]

وأخرج الطبراني عنه قال: قلتُ: يا رسول الله، إنِّي عملتُ أعمالاً في الجاهلية، فهل فيها من أجرٍ؟ أحييتُ ثلاث مئةٍ وستين من الموؤدة، أشتري كلَّ واحد منهنَّ بناقتين عشراوين وجملٍ، فهل لي في ذلك من أجرٍ؟ فقال النبيُّ ﷺ: «لك أجره إذ منَّ الله تعالى عليك بالإسلام»[(٣)].

وعُدَّ من الوأد العزلُ، لِمَا أخرج الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذيُّ والنسائيُّ وابنُ ماجه والطبرانيُّ وابن مردويه عن جُذَامةَ بنتِ وَهْبٍ قالت: سئل رسول الله ﷺ عن العزل فقال: «ذلك الوأد الخفي»[(٤)] ومن هنا قيل بحرمته.

وأنت تعلم أن المسألة خلافيةٌ، فقد قال الإمام النوويُّ في «شرح صحيح مسلم»[(٥)]: العزل ـ وهو أن يجامع فإذا قارَبَ الإنزالَ نَزَعَ وأنزل خارج الفَرْجِ ـ مكروهٌ عندنا في كلِّ حالٍ وكلِّ امرأةٍ سواءٌ رضيتْ أم لا؛ لأنه طريقٌ إلى قَطْعِ النسل، وأما التحريم فقد قال أصحابنا ـ يعني الشافعية ـ: لا يَحْرُمُ في مملوكته ولا في زوجته الأَمَةِ سواءٌ رضيتْ أم لا؛ لأن عليه ضرراً في مملوكته بمصيرها أمَّ ولدٍ

(١) في هامش الأصل: ومنا في روايةٍ. اهـ. وهي رواية الديوان على ما يأتي.
(٢) ديوان الفرزدق ١/ ١٧٣.
(٣) المعجم الكبير (٧٤١٢)، وأخرجه أيضاً العقيلي في الضعفاء ٢/ ٢٢٨. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٩٥: فيه الطفيل بن عمرو التميمي، قال البخاري: لا يصح حديثه. وقال العقيلي: لا يتابع عليه.
(٤) مسند أحمد (٢٧٤٤٧)، وصحيح مسلم (١٤٤٢)، وسنن أبي داود (٣٨٨٢)، وسنن الترمذي (٢٠٧٧)، وسنن النسائي ٦/ ١٠٦-١٠٧، وسنن ابن ماجه (٢٠١١)، والمعجم الكبير ٢٤/ ٥٣٥. والمذكور قطعة من الحديث، وهي لم ترد في رواية أبي داود والترمذي والنسائي.
(٥) ١٠/ ٩.

وامتناعِ بيعها، وعليه ضرر في زوجته الرقيقةِ بمصير ولده رقيقاً تبعاً لأمه، وأمَّا زوجتُه الحرَّةُ فإنْ أذِنَتْ فيه لم يَحْرُمْ، وإلا فوجهان أصحُّهما: لا يحرم. ثم الأحاديث التي ظاهرها التعارُض في هذا المطلب يجمع بينها بأنَّ ما ورد منها في النهي محمولٌ على كراهة التنزيه، وما ورد في الإذن في ذلك محمولٌ على أنه ليس بحرامٍ، وليس معناه نفيَ الكراهة. انتهى.

وأجيب على الحديث السابق بأنَّ تسميته بالوأد الخفيِّ لا يدلُّ على أنَّ حُكْمه حُكْمُ الوأد الظاهر، فقد صحَّ أن الرياء شركٌ خفيٌّ، ولم يقل أحدٌ بأنَّ حُكْمَه حُكْمُه.

ولا يَبعدُ أن يكون الاستمناء باليد كالعزل وأداً خفيًّا، وذكر بعضهم أنه إذا لم يَخْشَ الزنا حرامٌ، وإن خشي لم يَحْرُم، وكذا لا يبعدُ أن يكون التفخيذ مع مَن يَحِلُّ له وَطْؤُها كذلك، ولم أرَ قائلاً بحرمته، وتمامُ الكلام في هذا المقام في كتب الفقه فلتراجع.

واستدلَّ الزمخشريُّ[1] بالآية على أنَّ أطفال المشركين لا يعذَّبون، وعلى أنَّ العذاب لا يستحقُّ إلا بالذنب:

أمَّا الأول: فلأنَّ تبكيت قاتلها يباينُ تعذيبها؛ لأنَّ استحقاقَ التبكيت لبراءتها من الذنب، فمتى بكَّت سبحانه الكافر ببراءتها من الذنب كيف يكرُّ سبحانه عليها فيفعلُ بها ما يُنْسَى عنده فعلُ المبكَّت من العذاب السرمد[2]؟

وأما الثاني: فلإشارةِ قوله تعالى: ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ إلى أنَّ القتل إنما يُصار إليه بذنبٍ، وأنه لا يستحسَنُ ارتكابُه دونه، ومعلومٌ أنَّ في معناه كلَّ تعذيبٍ، ثم الآية لمَّا دلَّت على أنَّ الموؤدة لا ذنبَ لها ليتمَّ التبكيتُ تضمَّنتْ عدمَ استحقاقها العقاب.

وزَعَم[3] أنَّ ابن عباس سئل عن ذلك فاحتجَّ بهذه الآية.

---

(١) في الكشاف ٤/ ٢٢٢.

(٢) في (م): السرمدي.

(٣) يعني الزمخشري، والتعليل الثاني لم يذكره الزمخشري، ولعل المصنف رحمه الله ينقل من بعض حواشي الكشاف.

وتعقَّب بأنَّ مبنى ما ذكره التحسينُ والتقبيح، وقد بيِّن ما فيهما في موضعه، وعلى التسليم نمنعُ انحصارَ سبب التبكيت في البراءة، على أنَّ القتل للباعث المذكور في القرآن بمعنى خشية الإملاق رذيلةٌ يُستحَقُّ بها التبكيت، اسْتَحَقَّ بها المقتولُ التعذيبَ الأخرويَّ أوْ لا، وإشارةُ الآية على أنَّ باعثهم على القتل لم يكن الذنبَ، لا إلى أنَّ الذنبَ ـ أعني ما تستحقُّ به الموؤدةُ التعذيب ـ معدومٌ من كلِّ وجهٍ.

وما رُوي عن ابن عباس لا نسلِّم صحته، وفي الأخبار ما ينافيه؛ أخرج الإمام أحمد والنسائيُّ وغيرُهما عن سلمةَ بنِ يزيد الجُعْفِيِّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الوائدةُ والموؤدةُ في النار إلا أن تدرك الوائدةُ الإسلام فيعفو الله تعالى عنها»[1].

وأخرج البخاريُّ ومسلم وأبو داود والنسائيُّ عن ابن عباس قال: سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين، فقال: «الله تعالى إذ خلقهم أعلمُ بما كانوا عاملين»[2] وتفسيره ـ على ما قيل ـ ما رَوَى أبو داود عن عائشة: قلت: يا رسول الله، ذراريُّ المؤمنين؟ فقال: «من آبائهم» قلت: بلا عملٍ؟ قال: «اللهُ تعالى أعلمُ بما كانوا عاملين» قلت: يا رسول الله، فذراريُّ المشركين؟ فقال: «من آبائهم» قلت: بلا عملٍ؟ قال: «اللهُ تعالى أعلم بما كانوا عاملين»[3].

وفي مسند الإمام أحمد: سألتْ خديجةُ عن ولدين ماتا لها[4] في الجاهلية؟ فقال رسول الله ﷺ: «هما في النار»[5].

---

(١) مسند أحمد (١٥٩٢٣)، وسنن النسائي الكبرى (١١٥٨٥) وهذا الحديث في متنه نكارة، وينظر الكلام عليه في حاشية المسند.

(٢) صحيح البخاري (١٣٨٣)، وصحيح مسلم (٢٦٦٠)، وسنن أبي داود (٤٧١١)، وسنن النسائي ٤/ ٥٨.

(٣) سنن أبي داود (٤٧١٢).

(٤) في الأصل و(م) بدل «ماتا لها»: ما بالهما، وهو تصحيف.

(٥) مسند أحمد (١١٣١)، وهو من زيادات عبد الله بن أحمد على المسند، وفي إسناده محمد بن عثمان، قال الذهبي في الميزان ٣/ ٦٤٢: لا يُدرى من هو، فتشت عنه في أماكن، وله خبر منكر، ثم ساق هذا الحديث. وقال ابن الجوزي في جامع المسانيد كما في كنز العمال ٢/ ٥١٢: في إسناده محمد بن عثمان لا يقبل حديثه، ولا يصح في تعذيب الأطفال حديث.

وأنت تعلم أنَّ في مسألة الأطفال من هذه الحيثية ما عدا أطفال الأنبياء عليهم السلام ـ فإنهم أُجمِعَ على كونهم من أهل الجنة كما قال اللقاني ـ خلافاً، فقد قال الإمام النوويُّ في «شرح صحيح مسلم»[(١)]: أجمع مَن يُعتدُّ به من علماء المسلمين على أنَّ مَن مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة؛ لأنه ليس مكلَّفاً، وتوقَّفَ فيه بعضُ مَن لا يعتدُّ به؛ لحديثِ عائشةَ: توفِّي صبيٌّ من الأنصار، فقالت: طوبى له عصفورٌ من عصافير الجنة، لم يعمل السوءَ ولم يدركه. قال ﷺ: «أوَ غيرَ ذلك يا عائشة، إنَّ الله تعالى خَلَقَ للجنة أهلاً، خَلَقَهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخَلَقَ للنار أهلاً خَلَقَهم لها وهم في أصلاب آبائهم»[(٢)] وأجاب العلماء عنه بأنه لعله عليه الصلاة والسلام نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليلٌ قاطعٌ، ويحتمل أنه عليه الصلاة والسلام قال هذا قبل أن يَعْلَم أن أطفال المسلمين في الجنة، فلمَّا علم ﷺ قال ذلك في قوله ﷺ: «ما من مسلم يموت له ثلاثٌ من الولد لم يبلغوا الحِنْثَ إلا أدخله الله تعالى الجنة بفضله ورحمته إياهم»[(٣)] وغيرِ ذلك من الأحاديث.

وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاثةُ مذاهب:

قال الأكثرون: هم في النار تبعاً لآبائهم؛ لحديث: سئل عن أولاد المشركين مَن يموت منهم صغيراً، فقال عليه الصلاة والسلام: «الله تعالى أعلمُ بما كانوا عاملين» أي: وغير ذلك.

وتوقَّفتْ طائفةٌ فيهم.

وقالت الثالثة وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحقِّقون: إنهم من أهل الجنة. ويستدلُّ له بأشياء، منها حديثُ إبراهيم الخليل عليه السلام حين رآه النبيُّ ﷺ في الجنة حوله أولاد الناس، قالوا: يا رسول الله، وأولادُ المشركين؟ قال: «وأولاد المشركين» رواه البخاري في «صحيحه»[(٤)]. ومنها قولُه تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ

---

(١) ١٦/ ٢٠٧.

(٢) صحيح مسلم (٢٦٦٢)، وسلف ١٥/ ٣٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٤٨) عن أنس بن مالك ﷺ، وقد سلف تخريجه ١٤/ ٤٣٢.

(٤) برقم (٧٠٤٧) وهو من حديث سمرة بن جندب ﷺ.

نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥]. ولا يتوجَّه على المولود التكليفُ، ويلزمُه قولُ الرسول: «حتى يبلغ»، وهذا متفقٌ عليه.

والجواب عن حديث «الله تعالى أعلم بما كانوا عاملين»: أنه ليس فيه تصريحٌ بأنهم في النار، وحقيقةُ لفظِهِ: الله تعالى أعلم بما كانوا يعملون لو بلغوا، ولم يبلغوا، والتكليفُ لا يكون إلا بالبلوغ. انتهى.

وتعقِّب ما ذكره من الاحتمال في حديث عائشة رضي الله عنها بأنه يأباه ما ذكره من حديث إبراهيم عليه السلام؛ فإنَّ حديث عائشة كان بالمدينة؛ لأنه في صبيٍّ من الأنصار، وبناؤه عليه الصلاة والسلام عليها إنما كان فيها، وحديثُ إبراهيم عليه السلام كان بمكة؛ لأنَّ الظاهر أنَّ تلك الرؤية كانت ليلةَ المعراج وهو قد كان فيها، ومنه يعلم أنه ﷺ قد علم أنَّ الأطفال كلّهم في الجنة يومئذٍ، فكيف يحتمل أن يكون ما قاله بعدُ قاله قبل أن يعلم أنَّ أطفال المسلمين في الجنة؟

وأيضاً إذا كان حديث إبراهيم عليه السلام في مكة يضعف الجواب الأول عن حديث عائشة باحتمال أن تكون قالت ما قالت لأنه بلغها ذلك الحديث.

ثم ما ذَكَر من أنَّ المذاهب في أطفال المشركين ثلاثةٌ الظاهرُ أنه مبنيٌّ على ما وقف عليه، وإلا فهي غير منحصرةٍ فيها، بل منها أنهم في برزخٍ بين الجنة والنار، ومنها أنهم يُمتَحَنون بدخول النار يوم القيامة، فَمَنْ كُتب له السعادة أطاعَ بدخولها فيُردُّ إلى الجنة، ومَن كتب له الشقاوةُ امتنع فيُسحَبُ إلى النار كما جاء في بعض الروايات[1]، فلا يُحكم على معيَّنٍ منهم بجنةٍ ولا نارٍ، وعليه حُمل: «الله تعالى أعلم بما كانوا عاملين» وفي «اختيارات» الشيخ ابن تيمية أنَّ هذا أحسنُ الأجوبة فيهم[2]. وقال الجلال السيوطيُّ: هو الصحيحُ المعتمَدُ.

---

(١) ينظر حديث أنس رضي الله عنه في مسند أبي يعلى (٤٢٢٤)، وينظر كذلك ما ورد من روايات في هذه المسألة في الحاوي للسيوطي ٢/ ٣٥٧-٣٥٩، وقد حسَّن أسانيدها ابن تيمية كما في مختصر الفتاوى ص٦٤٣.

(٢) لم نقف عليه في الاختيارات، وهو في الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح ١/ ٣٢١، ومختصر الفتاوى ص٦٤٣.

ومنها ما ذكره هذا الجلالُ واختاره الإمام الربانيُّ الفاروقي السرهنديُّ قدِّس سرُّه: أنهم يحشرون ثم يصيرون تراباً كالوحوش.

وإن أريدَ مما تقدَّم من أنهم في الجنة كونُهم فيها كسائر أهلها فهناك قولٌ آخرُ، وهو أنهم فيها خدماً لأهلها، وقد نقله النسفيُّ في «بحر الكلام»[1] على أهل السنَّة والجماعة، وفيه أحاديثُ جمةٌ.

والظاهر أنَّ المراد بأطفال المشركين الأطفالُ الذين ولدوا لهم وهم مشركون ولو آمنوا بعدُ، ويدل عليه قولُه عليه الصلاة والسلام السابق في ولدي خديجة: «هما في النار» وهو يعكِّر على مَن يقول: أطفال الذين ماتوا مشركين في النار، وأطفالُ المشركين الذين آمنوا بعد موتهم في الجنة إكراماً لهم.

والذي أختارُه القولُ بأنَّ الأطفال مطلقاً وكذا فرخُ الزنا، ومَن جُنَّ قبل البلوغ، في الجنة، فهو الأخْلَقُ بكرم الله تعالى وواسعِ رحمته عز وجل، والأوفَقُ للحكمة بحسب الظاهر، والأكثرُ تأيُّداً بالآيات، ولا بُعْدَ في ترجُّح الأخبار الدالة على ذلك بما ذكر على الأخبار الدالة على خلافه.

والقولُ بأنَّ ما تضمَّنته هاتيك الأخبار كان منه عليه الصلاة والسلام قَبْلَ عِلْمِه ﷺ بأنَّ الأطفال في الجنة بعيدٌ عندي، نعم جوِّز أن يكون قد أَخبر ﷺ بأنهم من أهل النار بناءً على إخبار الوحي به ـ كإخباره بالوَعيدات التي يعفو الله تعالى عنها ـ من حيث إنه مقيدٌ بشرطٍ ك : إن لم يشملهم الفضل، مثلاً، لكنه لم يُذكر معه كما لم يذكر معها لحكمةٍ، ثم أخبَر عليه الصلاة والسلام بأنهم من أهل الجنة بناءً على إخبار الوحي به أيضاً، ويكون متضمِّناً للإخبار بأنَّ شرط كونهم من أهل النار لا يتحقَّق؛ فضلاً من الله تعالى وكرماً، ويكون ذلك كالعفو عمَّا يقتضيه الوعيدُ، ومِثْلُ ذلك إخبارُه بما ذكر بناءً على مشاهدةِ كونهم في الجنة عند إبراهيم عليه السلام، فتأمل.

---

(١) بحر الكلام لميمون بن محمد، أبي المعين النسفي الحنفي، المتوفى سنة (٥٠٨هـ). كشف الظنون ١/ ٢٢٥.

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ١٠﴾ أي: صحف الأعمال؛ أخرج ابن المنذر عن ابن جريج أنه قال: إذا مات الإنسان طُويت صحيفتُه، ثم تُنشر يوم القيامة فيحاسَبُ بما فيها[1].

وقيل: «نُشِرَتْ» أي: فرِّقَتْ بين أصحابها؛ عن مَرْثَد بنِ وَدَاعةَ[2]: إذا كان يومُ القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش، فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنةٍ عاليةٍ، وتقع صحيفة الكافر في يده في سمومٍ وحميم. أي: مكتوبٌ فيها ذلك، وهي صحفٌ غيرُ صحفِ الأعمال.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي: «نشّرت» بالتشديد[3] للمبالغة في النشر بمعنييه، أو لكثرة الصحف، أو لشدة التطاير.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ١١﴾ قُلعت وأُزيلت كما يُكشَفُ الإهاب عن الذبيحة، والغطاءُ عن الشيء المستور به، فأصل الكشط السلخُ، واستُعير هنا للإزالة. وقرأ عبد الله: «قُشِطَتْ» بالقاف مكانَ الكاف[4]، واعتقابُهما غيرُ عزيزٍ كالكافور والقافور، و: عربيٌّ قحٌّ وكحٌّ.

﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ١٢﴾ أي: أُوقدت إيقاداً شديداً؛ قال قتادة: سعَّرها غضبُ الله تعالى وخطايا بني آدم. وقرأ جمعٌ منهم عليٌّ كرم الله تعالى وجهه: «سُعِرَتْ» بالتخفيف[5].

﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ١٣﴾ أي: قرِّبتْ من المتَّقين، كقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١] أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن أبي العالية أنه قال:

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٣٢٠.
(٢) أبو قتيلة الحمصي، قال البخاري: له صحبة. الإصابة ٩/ ١٦٣، والكلام من الكشاف ٤/ ٢٢٣.
(٣) النشر ٢/ ٣٩٨.
(٤) القراءات الشاذة ص١٦٩، والبحر ٨/ ٤٣٤.
(٥) البحر ٨/ ٥٦، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة والكسائي وخلف، وشعبة عن عاصم، وهشام عن ابن عامر، وروح عن يعقوب. التيسير ص٢٢٠، والنشر ٢/ ٣٩٨.

ستُّ آياتٍ من هذه السورة في الدنيا والناس ينظرون، وستٌّ في الآخرة: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ إلى ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ هذه في الدنيا، ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ إلى ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ هذه في الآخرة(١).

وأخرج ابن أبي الدنيا وابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي بن كعب أنه قال: ستُّ آياتٍ قبل يوم القيامة؛ بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك إذ انكدرت النجوم، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحرَّكت واضطربت، ففزعت الجنُّ إلى الإنس والإنسُ إلى الجنِّ، واختلطت الدوابُّ والطير والوحش، فماجوا بعضهم في بعض وأُهملت العشار، وقال الجنُّ للإنس: نحن نأتيكم بالخبر. فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نارٌ تأجَّجُ، فبينما هم كذلك إذ تصدَّعت الأرض صدعةً واحدةً، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريحٌ فأَمَاتَتْهم(٢).

وقال بعضهم: إنَّ الستَّ الأولى فيما بين النفختين، وإنه مرادُ مَن قال: إنها في الدنيا. وقيل: هي فيما قبل النفخة الأولى، وما بعدها إلى النفخة الثانية، فلا تغفل.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ جواب «إذا»، على أنَّ المراد بها زمانٌ واحدٌ ممتدٌّ يَسَعُ الأمور المذكورة، مبدؤه قُبيلَ النفخة الأولى، أو هي، ومنتهاه فصلُ القضاء بين الخلائق، لكن لا بمعنى أنَّ النفس تعلم ما تعلم في كلِّ جزءٍ من أجزاء ذلك الوقت المديد، أو عند وقوع داهيةٍ من تلك الدواهي، بل عند نشر الصحف، إلَّا أنه لمَّا كان بعضُ تلك الدواهي من مباديه وبعضها من روادفه نسب عِلْمُها بذلك إلى زمانٍ وقوع كلِّها تهويلاً للخطب وتفظيعاً للحال.

والمراد بـ «ما أحضرت» أعمالُها من الخير والشرِّ، وبحضور الأعمال إما حضورُ صحائفها كما يُعْرِبُ عنه نَشْرُها، وإما حضورُ أنفُسِها على ما قالوا من أنَّ الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصورٍ عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصورٍ جوهرية مناسبةٍ

(١) الدر المنثور ٦/ ٣١٨.
(٢) الدر المنثور ٦/ ٣١٨، وهو في تفسير الطبري ٢٤/ ١٢٨.

لها في الحسن والقبح على كيفياتٍ مخصوصةٍ وهيئاتٍ معيَّنةٍ، حتى إنَّ الذنوب والمعاصي تتجسَّم هنالك وتتصوَّر، وحُمل على ذلك نحوُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠] وعن ابن عباس ما يؤيِّده[١]، ويؤيِّده أيضاً حديثُ ذبح الموت[٢] ونحوه.

قيل: ولا بُعد في ذلك، ألا يُرى أنَّ العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللَّبَنِ كما لا يخفى على مَن له خبرةٌ بأحوال الحضرات الخمس؟ وقد حكي عن بعض الأكابر أنهم يشاهدون في هذه النشأة الأعمال عند العروج بها إلى السماء، وكأنَّ ذلك بنوعٍ من التجسُّد.

وأيَّاما كان فإسنادُ إحضارها إلى النفس مع أنها تحضُر بأمر الله تعالى كما يؤذِنُ به قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ الآية [آل عمران: ٣٠] لأنها لمَّا عملتها في الدنيا فكأنها أَحْضَرتْها في الموقف، ومعنى عِلْمِها بها على التقدير الأول اطِّلاعُها عليها مفصَّلةً في الصحف بحيث لا يشذُّ عنها منها شيءٌ، كما ينبئ عنه قولُهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩] وعلى التقدير الثاني أنها تشاهدها على ما هي عليه في الحقيقة، فإن كانت صالحةً تشاهدها على صورٍ أحسن مما كانت تدركها في الدنيا؛ لأن الطاعات لا تخلو فيها عن نوعِ مشقَّةٍ، وإن كانت سيئةً تشاهدها على خلافِ ما كانت عندها في الدنيا؛ لأنها[٣] كانت مزيَّنةً لها موافقةً لهواها.

وتنكيرُ النفس المفيدُ لثبوت العلم لفردٍ من النفوس أو لبعضٍ منها؛ للإيذان بأنَّ ثبوته لجميع أفرادها قاطبةً من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحومُ حوله شائبةُ قطعاً، يعرفه كلُّ أحدٍ ولو جيء بعبارةٍ تدل على خلافه، وللرمز إلى أنَّ تلك النفوس العالمةَ بما ذكر مع توفُّر أفرادها وتكثُّر أعدادها مما يُستقلُّ بالنسبة إلى جناب

(١) روي عنه أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صورة حسنة وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة، فتوضع في الميزان. تفسير أبي السعود ٩/ ١١٧، والكلام منه.
(٢) سلف ١٦/ ٨٩.
(٣) قوله: لأنها، ساقط من (م).

الكبرياء والعظمة الذي أشيرَ إلى بعض بدائع شؤونه المُنْبِئةِ عن عظم سلطانه عز وجل.

وفي «الكشاف»(١) أنَّ هذا من عَكْسِ كلامهم الذي يقصدون فيه الإفراط فيما يُعْكَس عنه، ومنه قولُه تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢] ومعناه: كم وأَبْلَغُ(٢)، وقولُ القائل:

قد أتركُ القِرْنَ(٣) مصفرًّا أناملُه ... كأنَّ أثوابه مُجَّتْ بفرصاد(٤)

وتقول لبعض قواد العساكر: كم عندك من الفرسان؟ فيقول: رُبَّ فارسٍ عندي، أو: لا تعدمُ عندي فارساً. وعنده المَقَانِبُ(٥)، وقَصْدُه بذلك التمادي في تكثير فرسانه، ولكنه أراد إظهار براءته من التزيُّد، وأنه ممن يقلِّلُ كثيرَ ما عندَه فضلاً أن يتزيَّد، فجاء بلفظ التقليل ففُهِمَ منه معنى الكثرة على الصحة واليقين.

وبيَّن في «الكشف» أنه يفيد ذلك مع ما في خصوص كلِّ موقعٍ من فائدةٍ خاصةٍ، وذكر أنَّ من الفوائد هاهنا تهويلَ اليوم بتقليل الأنفس العالمة وإن كنَّ جميعها، وإظهارَ أنه كلامٌ من غاية العظمة والكبرياء، وأنَّ مَن يغيِّر هذه الأجرام العظام ويبدلها صفاتٍ وذواتٍ تُستَقلُّ الأنفسُ الإنسانية في جنب قدرته سبحانه أيما استقلال.

وتعقَّب ذلك أبو السعود(٦) بما لا يخلو عن نظر كما لا يخفى على ذي نظرٍ

---

(١) ٤/ ٢٢٣.

(٢) في الكشاف: ومعناه معنى «كم» وأبلغ منه.

(٣) في الأصل و(م): القرم، والمثبت من الكشاف والمصادر على ما يأتي.

(٤) البيت لعبيد بن الأبرص، وهو في ديوانه ص٦٤، والكتاب ٤/ ٢٢٤، والمقتضب ١/ ٤٣، والخزانة ١١/ ٢٥٣. وذكر الزمخشري صدره ولم يذكر العجز. قال البغدادي: القِرن بكسر القاف: المِثْل في الشجاعة، والمعنى: أقتله فينزف دمه فتصفرُّ أنامله، خصَّ الأنامل لأن الصفرة إليها أسرع، وفيها أظهر. ومجَّت: دَمِيَتْ، والمراد: صُبغت. والفِرْصاد: التوت، شبَّه الدم بحمرة عصارته.

(٥) المقانب: الذئاب الضارية. القاموس (قنب).

(٦) في تفسيره ٩/ ١١٧، وما سيأتي بين حاصرتين منه.

جليلٍ فضلاً عن ذي نظرٍ دقيقٍ، وجوَّز أن يكون ذلك للإشعار بأنه إذا عَلِمتْ حينئذٍ نفسٌ من النفوس ما أحضرت، وَجَبَ على كلِّ نفسٍ إصلاحُ عملها مخافةَ أن تكون هي تلك التي علمت ما أحضرت، فكيف وكلُّ نفسٍ تعلمه، على طريقةِ قولك لمن تنصحه: لعلك ستندم [على] ما فعلتَ، وربما ندم الإنسان على ما فعل. فإنك لا تقصد بذلك أنَّ ندمه مرجوُّ الوجود لا متيقنٌ به أو نادرُ الوقوع[1]، بل تريد أنَّ العاقل يجب عليه أن يجتنب أمراً يُرجى منه الندمُ أو قلَّما يقع فيه، فكيف إذا كان قطعيَّ الوجود كثيرَ الوقوع.

واشتهر أنَّ النكرة هنا في معنى العموم، وهي قد تعمُّ في الإثبات إذا اقتضى المقام أو نحوُه ذلك، ومنه قولُ ابن عمر لبعض أهل الشام وقد سأله عن المُحْرِمِ إذا قتل جرادةً: أيتصدَّقُ بتمرةٍ فديةً لها؟: تمرةٌ خيرٌ من جرادةٍ[2]. قيل: ولهذا العموم ساغ الابتداءُ بالنكرة فيه، وقولُ بعضٍ: إنه لا عمومَ فيها، بل العمومُ جاء من تساوي نسبة الجزء إلى أفراد الجنس، قيل: مبنيٌّ على ظنِّ منافاة العموم للوحدة والإفراد، وأنت تعلم أنَّ ذلك إنما ينافي العمومَ الشموليَّ دون البدليِّ.

وقالُ بعضٍ: لا يبعُدُ أن يقال: استُفيدَ العمومُ بجعلها في حيِّز النفي معنًى؛ لأن «علمت نفسٌ» في معنى: لم تَجْهَلْ نفسٌ، لأن الحكم بالشيء يستلزم نفيَ ضدِّه. ليس بشيء وإلا لعمَّت كلُّ نكرةٍ في الإثبات بنحو هذا التأويل.

وعن عبد الله بن مسعود أنَّ قارئاً قرأ هذه السورة عنده، فلما بلغ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ قال: واانقطاعَ ظهرياه[3].

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾﴾ جمعُ خانس، من الخنوس: وهو الانقباضُ والاستخفاء.

﴿ٱلْجَوَارِ﴾ جمع جارية، من الجري: وهو المَرُّ السريع، وأصله لمرِّ الماء ولِمَا يجري بجَرْيه.

(١) في الأصل و(م): الوجود، والمثبت من تفسير أبي السعود.
(٢) سلف عند تفسير الآية (٢٧) من سورة لقمان.
(٣) ذكره ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٩، والزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٢٣.

﴿ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾ جمع كانسٍ وكانسةٍ، من كَنَسَ الوحشُ: إذا دخل كِنَاسه، وهو بيتُه الذي يتَّخذه من أغصان الشجر. والمراد بها على ما أخرج الفريابيُّ وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والحاكم وصحَّحه من طرقٍ عن عليٍّ كرم الله تعالى وجهه: الكواكب[1]. أي: جميعها، فقيل: لأنها تَخْنسُ بالنهار فتغيبُ عن العيون، وتَكْنِسُ بالليل أي: تَطْلُعُ في أماكنها كالوحش في كُنُسها. وفي تفسير تكْنِسُ بتَطْلُع خفاءٌ.

وقيل: لأنها تَخْنسُ نهاراً وتَخْفَى عن العيون مع طلوعها وكونِها فوق الأفق، وتَكْنِسُ بعد طلوعها في المغيب وتدخل فيه كما تَكْنِسُ الظباء في الكُنُس، فتكون تحت الأفق بعد أن كانت فوقه.

وروي تفسيرها بالكواكب عن الحسن وقتادةَ أيضاً.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الأمير كرَّم الله تعالى وجهه أنه قال: هي خمسةُ أنجمٍ: زُحَلُ وعُطَاردٌ والمشتري وبهْرام ـ يعني المريخ ـ والزُّهَرة[2]، والخنَّس: الرَّواجع، من خَنَس: إذا تأخَّر، ووُصفت بما ذُكر في الآية لأنها تجري مع الشمس والقمر، وترجعُ حتى تَخْفَى تحت ضوء الشمس، فخنوسُها رجوعُها بحسب الرؤية، وكنوسُها اختفاؤها تحت ضوئها، وتسمَّى المتحيِّرة؛ لاختلافِ أحوالها في سيرها فيما يشاهَدُ، فلها استقامةٌ ورجعةٌ وإقامة، فبينما تراها تجري إلى جهة، إذا بها راجعة تجري إلى خلاف تلك الجهة، وبينما تراها تجري إذا بها مقيمة لا تجري. وسببُ ذلك على ما قال المتقدِّمون من أهل الهيئة: كونُها في تداوير في حوامل مختلفةِ الحركات على ما بيِّن في موضعه، وللمُحْدَثين منهم النافينَ لِمَا ذكر غيرُ ذلك مما هو مذكورٌ في كتبهم.

وهي مع الشمس والقمر يقال لها: السيارات السبع؛ لأنَّ سيرها بالحركة الخاصة مما لا يكاد يَخْفَى على أحدٍ، بخلافِ غيرها من الثوابت، وأخرج الخطيب

(١) الدر المنثور ٦/ ٣٢٠، وهو في المستدرك ٢/ ٥١٦، وأخرجه أيضاً الطبري ٢٤/ ١٥٢.
(٢) الدر المنثور ٦/ ٣٢٠. وجاء في هامش الأصل: عطارد بضم العين، والزهرة بفتح الهاء، وبهرام بكسر الباء، وفي لغة العجم بفتحها. منه.

في كتاب «النجوم» وابن مردويه عن ابن عباس أنها المرادة هنا[١]، ووصفُها بالخنَّس بمعنى الرواجع، قيل: من باب التغليب؛ إذ لا رجعةَ للشمس ولا للقمر، وبالكنَّس[٢] لاختفائها في مغيبها.

وقيل: الوصفان باعتبار أنها تغيب عن العيون وتطلعُ في أماكنها على نحو ما تقدَّم، على تقدير أنْ يكون المراد بها الكواكبَ جميعَها.

وكونُ السيارات هي هذه السبع هو المعروفُ عند المتقدِّمين من المنجِّمين، وأمَّا اليوم فقد ضمُّوا إليها كواكبَ أُخَرَ يقال لها: وستا، وزونو، وبالاس، وسرس، وأورنوس ويسمَّى هرشل، وهو اسمُ المنجِّم الذي ظفر به بالرصد. وبيَّنوا مقدار أقطارها وأبعادَها وحركاتها ولولا مخافةُ التطويل لذكرتُ ذلك، وعدُّوا من جملة السيارات الأرضَ، بناءً على زَعْمِهم أنَّ لها حركةً حول الشمس، واشتهر أنهم لم يعدُّوا القمر منها لكونه من توابع الأرض بزَعْمِهم.

وأخرج الحاكم وصححه وجماعةٌ من طرقٍ عن ابن مسعود أنها بقرُ الوحش[٣]. وأخرج نحوه ابنُ أبي حاتم عن ابن عباس[٤]، وعبد بنُ حميد عن مجاهد وأبي ميسرة والحسن[٥]، وحكاه في «البحر» عن النخعي وجابر بن زيد وجماعةٍ[٦].

وأخرج ابن جرير عن الحبر أنها الظباء. ورَوَى ذلك أيضاً عن ابن جبير والضحاك[٧].

---

(١) يعني السيارات السبع، والخبر في الدر المنثور ٦/ ٣٢٠، وهو من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.
(٢) في (م): وبالخنس، وهو تصحيف.
(٣) المستدرك ٢/ ٥١٦، وأخرجه أيضاً عبد الرزاق ٢/ ٣٥١، والطبري ٢٤/ ١٥٤-١٥٥.
(٤) الدر المنثور ٦/ ٣٢٠، وأخرجه أيضاً أبو داود الطيالسي كما في تفسير ابن كثير عند هذه الآية.
(٥) الدر المنثور ٦/ ٣٢٠.
(٦) البحر ٧/ ٤٣٤، وأخرجه الطبري ٢٤/ ١٥٥-١٥٧ عن جابر بن زيد والنخعي ومجاهد.
(٧) تفسير الطبري ٢٤/ ١٥٧.

قالوا: والخَنَسُ تأخُّر الأنف عن الشفة مع ارتفاعٍ قليل من الأرنبة، وتوصفُ به بقر الوحش والظباء، ومنه قول بعض المولَّدين:

ما سَلِمَ الظَّبْيُ على حُسْنِه ... كلَّا ولا البدرُ الذي يوصَفُ
فالظَّبْيُ فيه خنسٌ بيِّنٌ ... والبدرُ فيه كَلَفٌ يُعْرَفُ[1]

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧﴾ أي: أدبر ظلامُه، أو أقبل، وكلاهما مأثوران عن ابن عباس وغيره، وهو من الأضداد عند المبرِّد. وقال الراغب: العسعسة والعِسَاس: رقَّةُ الظلام، وذلك في طرفي الليل[2]. فهو من المشترك المعنويِّ عنده وليس من الأضداد. وفسَّر «عسعس» هنا بأقبل وأدبر معاً، وقال: ذلك في مبدأ الليل ومنتهاه[3].

وقال الفرَّاء: أجمع المفسِّرون على أنَّ معنى «عسعس»: أدبر[4]، وعليه العجَّاجُ يصف الخمر أو المفازة:

حتى إذا الصبحُ لها تنفَّسا ... وانجابَ عنها ليلُها وعَسْعَسا[5]

وقيل: هي لغة قريشٍ خاصةً.

وقيل: كونُه بمعنى أقبل ظلامُه أوفقُ بقوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ فإنه أولُ النهار فيناسبُ أولَ الليل.

وقيل: كونه بمعنى أدبر أنسبُ بهذا؛ لِمَا بين إدبار الليل وتنفُّس الصبح من الملاصقة، فيكون بينهما مناسبةُ الجِوارِ.

---

(١) أنشدتهما جارية للرشيد حين رفض أن يشتريها بسبب كَلَفٍ في وجهها وخنسٍ في أنفها، فأعجبتْه بلاغتها فاشتراها، وكانت أحظى جواريه عنده. الأذكياء لابن الجوزي ص٢٥٤.
(٢) مفردات الراغب (عسعس).
(٣) المصدر السابق.
(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٤٢.
(٥) الكشاف ٤/ ٢٢٤، والأول منهما في ديوان العجاج ص١٦٢، ونُسب الرجز أيضاً لعلقمة بن قرط، كما في مجاز القرآن ٢/ ٢٨٨، وتفسير الطبري ٢٤/ ١٦٢، والأضداد لابن الأنباري ص٣٣، والأزمنة والأمكنة ١/ ٣٢٥.

والمراد من تنفُّس الصبح ـ على ما ذَكر غير واحد ـ إضاءتُه وتبلُّجُه، وفي «الكشاف» أنه إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله رَوْحٌ ونسيمٌ، فجُعل ذلك نفساً له على المجاز وقيل: تنفَّس الصبحُ[١]. وعنى بالمجاز الاستعارةَ؛ لأنه لمَّا كان النَّفَس ريحاً خاصًّا يفرج عن القلب انبساطاً وانقباضاً شبِّه ذلك النسيمُ بالنَّفَس، وأُطلق عليه الاسمُ استعارةً، وجُعل الصبح متنفِّساً لمقارنته له، ففي الكلام استعارةٌ مصرِّحةٌ وتجوُّزٌ في الإسناد، وظاهرُ كلام بعضهم أنه بعد الاستعارة يكون ذلك كنايةً عن الإضاءة.

وجوِّز أن يكون هناك مكنية وتخييليةٌ بأنْ يشبَّه الصبح بماشٍ وآتٍ من مسافةٍ بعيدة، ويُثْبَتَ له التنفُّسُ المرادُ به هبوبُ نسيمه مجازاً على طريق التخييل، كما في: ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧].

وقال الإمام: النهار بغشيان الليل المظلم كالمكروب، وكما أنه يجد راحةً بالتنفُّس، كذلك تخلُّص الصبح من الظلام وطلوعُه كأنه تخلَّص من كربٍ إلى راحةٍ[٢]. وهذا أدقُّ مما في «الكشاف» كما لا يخفى.

وجوِّز أن يقال: إنَّ الليل لمَّا غشيَ النهار ودفع به إلى تحت الأرض فكأنه أماته ودفنه، فجعل ظهورُ ضوئه كالتنفس الدالِّ على الحياة، وهو نحوٌ مما نُقل عن الإمام.

وقيل: «تنفس» أي: توسَّع وامتدَّ حتى صار نهاراً.

والظاهرُ أنَّ التنفس في الآية إشارةٌ إلى الفجر الثاني الصادق، وهو المنتشرُ ضوءُه معترِضاً بالأفق، بخلافِ الأول الكاذب وهو ما يبدو مستطيلاً وأعلاه أضوأُ من باقيه، ثم يُعْدَمُ وتَعقبُه ظلمةٌ، أو يتناقصُ حتى ينغمر في الثاني على زعم بعض أهل الهيئة، أو يختلف حاله في ذلك تارةً وتارةً بحَسَب الأزمنة والعُروض على ما قيل.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٢٤.

(٢) تفسير الرازي ٣١/ ٧٢، وعبارته: شبّه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي جلس بحيث لا يتحرك، واجتمع الحزن في قلبه، فإذا تنفَّس وجد راحةً، فهاهنا لما طلع الصبح فكأنه تخلص من ذلك الحزن، فعبَّر عنه بالتنفُّس.

وسمِّي هذا الكاذبُ عارضاً؛ ففي خبر مسلمٍ: «لا يغرَّنَّكم أذانُ بلالٍ، ولا هذا العارضُ (لعمود الصبح) حتى يستطير»[1] أي: ينتشر ذلك العمود[2] في نواحي الأفق.

وكلام بعض الأجلة يُشْعِرُ بأنه فيها إشارةٌ إلى الكاذب، حيث قال: يؤخذ من تسمية الفجر الأول عارضاً للثاني أنه يَعْرِضُ للشعاع الناشئ عنه الفجرُ الثاني انحباسٌ قُرْبَ ظهوره، كما يُشْعِرُ به التنفُّس في قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ فعند ذلك الانحباسِ يتنفَّس منه شيءٌ من شبه كوَّةٍ، والمشاهد في المنحبس إذا خرج بعضه دفعةً أن يكون أوَّلُه أكثر من آخره، ويعلم من ذلك سببُ طول العمود وإضاءة أعلاه. إلى آخر ما قال، وفيه بحثٌ.

ثم الظاهر أنَّ تنفُّس الصبح وضياءه بواسطة قرب الشمس إلى الأفق الشرقي بمقدارٍ معيَّنٍ، وهو في المشهور ثمانيةَ عَشَرَ جزءاً، وقولُ الإمام: إنه يلزم على ذلك بناءً على كرية الأرض واستضاءةِ أكثر من نصفها من الشمس دائماً ظهورُ الضياء وتنفُّس الصبح إذا فارقت الشمس سَمْتَ القدم من دائرة نصف النهار، وذلك بُعَيْدَ نصف الليل، والواقعُ خلافُه = تشكيكٌ فيما يَقْرُبُ أن يكون بديهيًّا، وفيه غفلةٌ عن أحوال ظلِّ الأرض وانعكاسِ الأشعة من أبصار سَكَنَةِ أقطارها، فتأمَّل ولا تغفل.

والواو في قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ﴾ ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾ على ما نُقل عن ابن جنِّي للعطف، و«إذا» ليس معمولاً لفعل القسم؛ لفسادِ المعنى، إذ التقييدُ بالزمان غيرُ مرادٍ حالاً كان أو استقبالاً، وإنما هو على ما اختاره غيرُ واحدٍ معمولُ مضافٍ مقدَّرٍ من نحوِ العظمة؛ لأن الإقسام بالشيء إعظامٌ له، كأنه قيل: ولا أقسم بعظمة الليل زمانَ

(١) صحيح مسلم (١٠٩٤) من حديث سمرة بن جندب ﷺ، وفيه: البياض، بدل: العارض، وذكره بلفظ المصنف النووي في المجموع ٦/ ٣٤٢. ولم يَرِد في شروح مسلم إشارةٌ لهذا اللفظ. ينظر إكمال المعلم ٤/ ٣١، والمفهم ٣/ ١٥٤، وشرح النووي لصحيح مسلم ٧/ ٢٠٥، والديباج للسيوطي ٣/ ١٩٥.

(٢) في الأصل و(م): العموم، والمثبت هو الصواب، وينظر ما سلف ٨/ ٣١٨ وما بعدها.

عسعس، وبعظمة النهار زمانَ تنفَّسَ، على نحو قولهم: عجباً من الليث إذا سطا، فإنه ليس المعنى على تقييد التعجُّب من هَوْلِه وعظمته في ذلك الزمان.

وقال عصام الدين: ينبغي أن يُجعل تقييداً للمقْسَم به، أي: أقسم بالليل كائناً إذا عسعس، والحالُ مقدَّرةٌ، أي: مقدَّراً كونه في ذلك الوقت. وصرَّح العلَّامة التفتازاني في «التلويح» في مثله أنَّ «إذا» بدلٌ من الليل؛ إذ ليس المراد تعليقَ القسم وتقييده بذلك الوقت، ولهذا منع المحققون كونه حالاً من الليل؛ لأنه أيضاً يفيدُ تقييد القسم بذلك الوقت، وسيأتي إن شاء الله تعالى في تفسير سورة الشمس ما يتعلَّق بهذا المقام أيضاً.

﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن الجليل الناطق بما ذكر من الدواهي الهائلة، وجَعْلُ الضمير للإخبار عن الحشر والنشر تعسُّفٌ.

﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ هو كما قال ابن عباس وقتادة والجمهور: جبريل عليه السلام، ونسبتُه إليه عليه السلام لأنه واسطةٌ فيه، وناقلٌ له عن مُرْسِلِه وهو الله عز وجل.

﴿كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾ أي: عزيزٍ على الله سبحانه وتعالى. وقيل: متعطِّفٍ على المؤمنين.

﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ أي: شديد كما قال سبحانه: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥] وجاء في قوته أنه عليه السلام بُعث إلى مدائن لوط وهي أربعُ مدائن وفي كلِّ مدينةٍ أربعُ مئة ألف مقاتلٍ سوى الذراري، فحملها بمن فيها من الأرض السفلى حتى سمع أهلُ السماء أصواتَ الدجاج ونباحَ الكلاب، ثم هوى بها فأهلكها.

وقيل: المراد القوةُ في أداء طاعة الله تعالى وتركِ الإخلال بها من أول الخلق إلى آخر زمان التكليف.

وقيل: لا يبعد أن يكون المراد قوةَ الحفظ والبعد عن النسيان والخلط.

﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ أي: ذي مكانةٍ رفيعةٍ وشرفٍ عند الله العظيم جلَّ جلاله، عِنْديَّةَ إكرامٍ وتشريفٍ لا عِنْديةَ مكانٍ، فالظرفُ متعلِّقٌ بـ «مكين» وهو فعيلٌ

من المكانة، وقد كثر استعمالُها كما في «الصحاح» حتى ظُنَّ أن الميم من أصل الكلمة واشتُقَّ منه: تمكَّن، كما اشتقَّ من المسكنة: تَمسْكَنَ[1].

وجوِّز أن يكون مصدراً ميميًّا من الكون، وأصله مَكْوِن بكسر الواو، فصار بالنقل والقلب مكيناً، وأريد بالكون الوجود، كأنه من كمال الوجود صار عينَ الوجود. والأول هو الظاهر.

وقيل: إنَّ الظرف متعلقٌ بمحذوفٍ وقع صفةً أخرى لـ «رسول»، أي: كائن عند ذي العرش الكينونةَ اللائقة. وهو كما ترى.

﴿مُّطَاعٍ﴾ فيما بين الملائكة المقرَّبين عليهم السلام؛ يَصْدُرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه.

﴿ثَمَّ﴾ ظرفُ مكانٍ للبعيد، وهو يحتمِلُ أن يكون ظرفاً لِمَا قبله، وجُعل إشارةً إلى «عند ذي العرش»، والمراد بكونه مطاعاً هناك كونُه مطاعاً في ملائكته تعالى المقرَّبين كما سمعت، ويحتمل أن يكون ظرفاً لما بعده، أعني قوله سبحانه: ﴿أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ والإشارة بحالها، وأمانته على الوحي. وفي رواية عنه عليه السلام أنه قال: أمانتي أنِّي لم أومر بشيء فعَدَوْتُه إلى غيره[2]. ولأمانته أنه عليه السلام يدخل الحجُب كما في بعض الآثار بغير إذنٍ.

وقرأ أبو جعفر وأبو حيوة وأبو البرهسم وابن مقسم: «ثُم» بضم الثاء[3] حرف عطف؛ تعظيماً للأمانة، وبياناً لأنها أفضلُ صفاته المعدودة. وقال صاحب «اللوامح»[4]: هي بمعنى الواو؛ لأنَّ جبريل عليه السلام كان بالصفتين معاً في حالٍ

(١) الصحاح (كون).
(٢) قطعة من حديث أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٥٠/ ٣٢٥-٣٢٦ من طريق المسيب بن شريك، عن يزيد بن أبي زياد، عن معاوية بن قرة، عن النبي ﷺ. وهو مرسل، كما أن يزيد بن أبي زياد ضعيف كما في التقريب، والمسيب بن شريك قال عنه يحيى: ليس بشيء. وقال أحمد: ترك الناس حديثه. الميزان ٤/ ١١٤.
(٣) القراءات الشاذة ص١٦٩، والبحر ٨/ ٤٣٤.
(٤) كما في البحر ٨/ ٤٣٤.

واحدةٍ، ولو ذهب ذاهبٌ إلى الترتيب والمهلة في هذا العطف بمعنى: مطاعٍ في الملأ الأعلى ثُم أمينٍ عند انفصاله عنهم حالَ وحيه إلى الأنبياء عليهم السلام، لجاز إن ورد به أثرٌ. انتهى، والمعوَّلُ عليه ما سمعتَ، والمقامُ يقتضي تعظيمَ الأمانة لأنَّ دفع كون القرآن افتراءً منوطٌ بأمانة الرسول.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ هو رسولُ الله ﷺ ﴿بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ كما تبهتُه الكفرة قاتلهم الله تعالى. وفي التعرُّض لعنوان الصحبة مضافةً إلى ضميرهم على ما هو الحقُّ تكذيبٌ لهم بألطف وجهٍ؛ إذ هو إيماء إلى أنه عليه الصلاة والسلام نشأ بين أظهركم من ابتداء أمره إلى الآن، فأنتم أعرفُ به وبأنه ﷺ أتمُّ الخلق عقلاً وأرجحُهم قِيلاً وأكملُهم وصفاً وأصفاهم ذهناً، فلا يُسْنِدُ إليه الجنونَ إلا مَن هو مركَّبٌ من الحمق والجنون.

واستدلَّ الزمخشريُّ بالمبالغة في ذكر جبريل عليه السلام وتَرْكِها في شأن النبيِّ ﷺ على أفضليته عليه السلام على النبيِّ ﷺ[1]. وأجابوا بما بُحث فيه.

والوجه في الجواب ـ على ما في «الكشف» ـ أنَّ الكلام مسوقٌ لحقِّية المنزَلِ دلالةً على صدق ما ذُكر فيه من أهوال القيامة، وقد علمتَ أنَّ من شأن البليغ أن يجرِّد الكلام لِمَا ساق له لئلا تُعدَّ الزيادة لكنةً وفضولاً، ولا خفاءَ أنَّ وصف الآتي بالقول يشدُّ من عضد ذلك أبلغَ شدٍّ، وأما وصفُ مَن أنزل عليه فلا مدخل له في البين إلا إذا كان الغرضُ الحثَّ على اتِّباعه، فلهذا لم تدلَّ المبالغة في شأن جبريل عليه السلام وعدُّ صفاته الكواملِ وتركُ ذلك في شأن نبينا عليه أفضل الصلوات والتسليمات على تفضيله بوجهٍ.

وقال بعضهم: إنَّ المبالغة في وصف جبريل عليه السلام مدحٌ بليغٌ في حقِّ النبيِّ ﷺ؛ لأنَّ المَلَكَ إذا أرسل لأحدٍ مَن هو معزَّزٌ معظَّمٌ مقرَّبٌ لديه دلَّ على أنَّ المرسَلَ إليه بمكانةٍ عنده ليس فوقها مكانةٌ. وقد علمتَ أنَّ المقام ليس للمبالغة في مدح المنزَل عليه.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٢٥.

وقيل: المراد بالرسول هو نبينا ﷺ كالمراد بالصاحب. وهو خلافُ الظاهر الذي عليه الجمهور.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ أي: وبالله تعالى لقد رأى صاحبُكم رسولُ الله ﷺ الرسولَ الكريم جبريلَ عليه السلام على كرسيٍّ بين السماء والأرض بالصورة التي خلقه الله تعالى عليها له ستُّ مئة جناح.

﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ وهو الأفقُ الأعلى من ناحية المشرق كما روي عن الحسن وقتادة ومجاهد وسفيان. وفي روايةٍ عن مجاهد أنه ﷺ رآه عليه السلام نحو جياد، وهو مشرقُ مكة. وقيل: إنَّ المراد به مطلعُ رأس السرطان، فإنه أعلى المطالع لأهل مكة. وهذه الرؤية كانت فيها بعد أمر غار حراء.

وحكى ابن شجرة[١] أنه أفقُ السماء الغربي، وليس بشيءٍ.

وأخرج الطبرانيُّ وابن مردويه عن ابن عباس أنه قال في الآية: رآه في صورته عند سدرة المنتهى[٢]. والأفق على هذا قيل: بمعنى الناحية. وقيل: سمِّي ذلك أفقاً مجازاً.

﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: رسولُ الله ﷺ ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ على ما يخبر به من الوحي إليه وغيرِه من الغيوب ﴿بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ من الضَّنِّ بكسر الضاد وفتحها بمعنى البخل، أي: ببخيل، لا يبخلُ بالوحي، ولا يقصِّر في التبليغ والتعليم ومَنْحِ كلٍّ ما هو مستعدٌّ له من العلوم، على خلاف الكهنة فإنهم لا يُطْلِعون على ما يزعمون معرفته إلا بإعطاءِ حلوانٍ.

وقرأ ابن مسعود وابن عباس وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وعائشة وعمر بن عبد العزيز وابن جبير وعروةُ وهشام بن جندب ومجاهدٌ وغيرهم، ومن السبعة النحويَّان وابنُ كثير: «بظنين» بالظاء، أي: بمتَّهم[٣]، من الظِّنة بالكسر بمعنى التُّهمة، وهو نظير الوصف السابق بـ «أمين».

---

(١) كما في النكت والعيون ٦/ ٢١٨، والبحر ٨/ ٤٣٥.

(٢) المعجم الكبير (١٢٥٦٥)، وعزاه لابن مردويه السيوطي في الدر ٦/ ٣٢١.

(٣) البحر ٨/ ٤٣٥، وقراءة النحويين (وهما أبو عمرو والكسائي) وابن كثير في التيسير ص٢٢٠، والنشر ٢/ ٣٩٨-٣٩٩.

وقيل: معناه: بضعيفِ القوة على تبليغ الوحي، من قولهم: بئرٌ ظَنُونٌ، إذا كانت قليلةَ الماء.

والأول أشهر، ورجِّحت هذه القراءة عليه بأنها أنسبُ بالمقام؛ لاتِّهام الكفرة له ﷺ، ونفيُ التهمة أولى من نفي البخل، وبأنَّ التهمة تتعدَّى بعلى، دون البخل فإنه لا يتعدَّى بها إلا باعتبار تضمينه معنى الحرص ونحوِه، لكن قال الطبري: بالضاد خطوطُ المصاحف كلِّها[1]. ولعله أراد المصاحفَ المتداوَلَة؛ فإنهم قالوا: بالظاء خطُّ مصحف ابن مسعود. ثم إنَّ هذا لا ينافي قول أبي عبيدة: إنَّ الظاء والضاد في الخطِّ القديم لا يختلفان إلا بزيادةِ رأس إحداهما على الأخرى زيادةً يسيرةً قد تَشْتَبِه، كما لا يخفى.

والفرقُ بين الضاد والظاء مخرجاً أنَّ الضاد مخرجُها من أصل حافة اللسان وما يليها من الأضراس من يمين اللسان أو يسارِه، ومنهم مَن يتمكَّن من إخراجها منهما، والظاء مخرجُها من طرف اللسان وأصولِ الثنايا العليا.

واختلفوا في إبدال إحداهما بالأخرى: هل يمتنع وتَفْسُدُ به الصلاة أم لا؟

فقيل: تفسد قياساً، ونقله في «المحيط البرهاني»[2] عن عامة المشايخ، ونقله في «الخلاصة» عن أبي حنيفة ومحمد.

وقيل: لا، استحساناً، ونقله فيها عن عامة المشايخ كأبي مطيع البلخيِّ ومحمد بن سلمة.

وقال جمع: إنه إذا أمكن الفرق بينهما فتعمَّد ذلك وكان مما لم يُقرأ به كما هنا وغيَّر المعنى فسدتْ صلاتُه، وإلَّا فلا؛ لعُسْرِ التمييز بينهما خصوصاً على العجم، وقد أسلم كثيرٌ منهم في الصدر الأول ولم يُنقل حثُّهم على الفَرْق وتعليمِه من الصحابة، ولو كان لازماً لفعلوه ونُقل، وهذا هو الذي ينبغي أن يعوَّل عليه ويفتَى به.

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ١٧٠.

(٢) المحيط البرهاني في الفقه النعماني، لبرهان الدين محمود بن تاج الدين أحمد البخاري الحنفي المتوفى سنة (٦١٦هـ). كشف الظنون ٢/ ١٦١٩.

وقد جمع بعضُهم الألفاظ التي لا يختلف معناها ضاداً وظاءً في رسالةٍ صغيرة، ولقد أَحْسنَ بذلك، فليُراجَعْ فإنه مهمٌّ.

﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ أي: بقول بعض المسترِقَةِ للسمع لأنها هي التي تُرْجَم، وهو نفيٌ لقولهم: إنه كهانة.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ استضلالٌ لهم فيما يسلكونه في أمر القرآن العظيم، كقولك لتارك الجادة الذاهب في بنيات الطريق: أين تذهب؟ والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهورِ أنه وحيٌ.

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هو ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ موعظةٌ وتذكيرٌ عظيمٌ لمن يعلم، وضمير «هو» للقرآن أيضاً.

وجوِّز كونُ الضميرين للرسول عليه الصلاة والسلام، أي: وما هو ملتبسٌ بقول شيطانٍ رجيم كما هو شأنُ الكهنة، إنْ هو إلا مذكِّرٌ للعالَمين، وقوله تعالى: (فَأَيْنَ) إلخ استضلالٌ لهم فيما يسلكونه في أمره ﷺ. وهو كما ترى.

وقوله سبحانه ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ بدلٌ من «العالمين» بدلَ بعضٍ من كلٍّ، والبدلُ هو المجرورُ، وأُعيد معه العاملُ على المشهور، وقيل: هو الجارُّ والمجرور. وجوِّز أن يكون بدلَ كلٍّ من كلٍّ؛ لإلحاق مَن لم يشأ بالبهائم ادِّعاءً، وهو تكلُّفٌ. وقوله تعالى: ﴿أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ مفعول «شاء» أي: لمن شاء منكم الاستقامة بتحرِّي الحقِّ وملازمةِ الصواب. وإبدالُه من «العالمين» لأنهم المنتفعون بالتذكير.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ أي: الاستقامةَ بسببٍ من الأسباب ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: إلَّا بأنْ يشاء الله تعالى مشيئتكم، فمشيئتُكم بسببِ مشيئة الله تعالى. ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ أي: ملك الخَلْقِ ومربِّيهم أجمعين. أو: ما تشاؤون الاستقامة مشيئةً نافعةً مستتبعةً لها إلا بأنْ يشاءها الله تعالى، فله سبحانه الفضلُ والحقُّ عليكم باستقامتكم إن استقمتُم. روي عن سليمان بن موسى والقاسم بن مخيمرة أنه لمَّا نزلت ﴿لِمَن شَآءَ

﴿مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ قال أبو جهل: جُعِلَ الأمرُ إلينا إن شئنا استقَمْنا وإن شئنا لم نَسْتَقِمْ. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ الآية[١].

و«أن» وما معها هنا على ما ذكرنا في موضع خفضٍ بإضمار باء السببية، وجوِّز أن تكون للمصاحَبة.

وذهب غير واحدٍ إلى أنَّ الاستثناء مفرَّغٌ من أعمِّ الأوقات، أي: وما تشاؤون الاستقامةَ في وقتٍ من الأوقات إلا وقتَ أنْ يشاء الله تعالى شأنُه استقامتَكم، وهو مبنيٌّ على ما نقل عن الكوفيين من جواز نيابة المصدر المؤوَّل من «أن» والفعل عن الظرف. وفي الباب الثامن من «المغني» أنَّ «أنْ» وصِلَتَها لا يعطَيان حُكْمَ المصدر في النيابة عن ظرف الزمان؛ تقول: جئتك صلاةَ العصر، ولا يجوز: جئتك أنْ تصلِّيَ العصر[٢]. فالأَوْلَى ما ذكرنا أولاً، وإليه ذهب مكِّي[٣].

وذهب القاضي إلى الثاني[٤]، وقد اعتُرِضَ عليه أيضاً بأنَّ «ما» لنفي الحال، و«أنْ» خاصةٌ للاستقبال، فيلزم أن يكون وقتُ مشيئته تعالى المستقبلُ ظرفاً لمشيئة العبد الحالية.

وأُجيبَ بأنَّا لا نسلِّم أنَّ «ما» مختصَّةٌ بنفي الحال، ومَن ادَّعى اختصاصَها بذلك اشْتَرَطَ انتفاءَ القرينة على خلافه، ولم تَنْتَفِ هاهنا لمكان «أن» في حيِّزها، أو بأنَّ كون «أنْ» للاستقبال مشروطٌ بانتفاء قرينةِ خلافه، وهاهنا قد وُجدت؛ لمكانِ ما قبلها، فهي لمجرَّد المصدرية.

وقيل: يندفع الاعتراضُ بجعل الاستثناء منقطعاً، فليُجْعَلْ كذلك وإنْ كان الأصل فيه الاتصالَ. وليس بشيءٍ.

---

(١) أخرجه عن سليمان بن موسى الطبري ٢٤/ ١٧٢-١٧٣، وعن القاسم بن مخيمرة عبد الرزاق ٢/ ٣٥٣.

(٢) مغني اللبيب ص٨٩٠، ونقله المصنف عنه بواسطة الشهاب في الحاشية ٨/ ٣٣١.

(٣) في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٠٣، والكلام من حاشية الشهاب.

(٤) هو البيضاوي في تفسيره مع حاشية الشهاب ٨/ ٢٣١.

وقد أُوْرِدَ على وجه السببية الذي ذكرناه نحوُ ذلك، وهو أنه يلزم من كون «ما» لنفي الحال و«أن» للاستقبال سببيةُ المتأخِّر للمتقدِّم، ومما ذكر يعلم الجوابُ كما لا يخفى، فتأمَّل جميع ذلك والله تعالى الهادي لأوضح المسالك.

❁ ❁ ❁

وقال بعض أهل التأويل: الشمسُ شمسُ الروح، والنجومُ نجومُ الحواسِّ، والجبالُ جبالُ القوالب، وهي تسير كلَّ وقتٍ إلا أنه يظهر ذلك للمحجوب إذا كُشف له الغطاء.

والعشارُ عشارُ القوى القالبية، والوحوشُ وحوشُ الأخلاق الذميمة النفسانية، والبحارُ بحارُ العناصر الطبيعية، والنفوسُ القوى النفسانية، وتزويجُها قَرْنُ كلِّ قوةٍ بعملها، والموءودةُ الخواطر الإلهامية التي تَرِدُ على السالك فيئدُها في قبر القالب ويظلمها، والصحفُ على ظاهرها، والسماء سماءُ الصدر، والجحيم جحيمُ النَّفْس، وتسعيرُها بنيران الهوى، والجنةُ جنة القلب.

والخنَّس الأنوار المودَعةُ في القوى القلبية، والليلُ الأنوار الجلالية، والصبحُ الأنوار الجمالية.

إلى آخر ما قال، ويستدلُّ بحال البعض على البعض.

وقد حَكَى أبو حيان شيئاً من نحو ذلك، وعقَّبه بتشنيعٍ فظيعٍ[1]، وهو لا يتم إلا إذا أُنكِرَ إرادةُ الظاهر، وأمَّا إذا لم تُنْكَر وجُعل ما ذكر ونحوُه من باب الإشارة فلا يتمُّ أمرُ التشنيع كما حقِّق ذلك في موضعه.

---

(١) البحر ٨/ ٤٣٢.

(سورة التكوير)

(مكيّة، وهي تسع وعشرون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ ذهب بضوئها من كوّرت العمامة إذا لفقتها أي يلفّ ضوءها لفًّا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق. وارتفاع ﴿ٱلشَّمْسُ﴾ بالفاعلية ورافعها فعل مضمر يفسره ﴿كُوِّرَتْ﴾ لأن «إذا» يطلب الفعل لما فيه من معنىٰ الشرط ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ تساقطت ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ (سُيِّرَتْ ۝٣﴾ **عن وجه الأرض وأبعدت أو سيرت في الجو)** تسيير السحاب.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة التكوير) وهي المشهور، ويُقال: إذا الشمس كوّرت **(مكية)** بالاتفاق **(وهي تسع وعشرون آية)** ومائة وأربع كلمات وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفًا. كذا في تفسير الخطيب وفي تفسير الخازن وخمسمائة وثلاثون حرفًا بدل وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفًا. **قوله: (﴿سُيِّرَتْ﴾ عن وجه الأرض وأبعدت)** فصارت هباء منثورًا. **قوله: (أو سيرت في الجو)** أي جوّ الهواء وهو ما بين السماء والأرض كسير السحاب لقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النَّمل: الآية ٨٨].

﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾

﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾ **(جمع عشراء)** وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر، ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة ﴿عُطِّلَتْ﴾ أهملت عطلها أهلها لاشتغالهم بأنفسهم وكانوا يحبسونها إذا بلغت هذه الحالة لعزّتها عندهم ويعطلون ما دونها. (﴿عُطِلَتْ﴾ **بالتخفيف عن البزي**) ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾ جمعت من كل ناحية. قال **(قتادة)**: يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فإذا قضىٰ بينها ردت ترابًا فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبني آدم **(كالطاوس ونحوه)**. وعن **(ابن عباس)** ﵄: حشرها موتها. يقال: **(إذا أجحفت السنَة)** بالناس وأموالهم **(حشرتهم)** السنَة.

قوله: (جمع عشراء) بضم العين وفتح الشين كالنفاس بالكسر في جمع نفساء. **قوله: (﴿عُطِلَتْ﴾ بالتخفيف)** لم يذكر مجهولًا أو معلومًا. وظاهره أنه مجهول كالقراءة المشهورة، وكذا هو مصرّح به عن بعضهم إلّا أن المعرّب نقل عن الرازي في اللوامح أنه غلط وإنما هو عَطَلت بفتحتين بمعنى تعطّلت لأن تشديده للتعدية، يقال: عطلت الشيء أو أعطلته فعطل **(عن البزي)** هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزّة المؤذّن المكيّ مولى لبني مخزوم ويُكنى أبا الحسن ويعرف بالبَزّي. روى عن ابن كثير المكيّ وتُوفي بمكة بعد سنة أربعين ومائتين.

قوله: (قتادة) بن دعامة بكسر الدال المهملة كان تابعيًا وكان عالمًا كبيرًا وأجمعوا على جلالته وتوثيقه وحفظه وإتقانه وفضله. تُوفي سنة سبع عشرة، وقيل: ثمان عشرة ومائة رحمه الله. **قوله: (كالطاوس ونحوه)** أي كالطيور المؤنسة المألوفة. **قوله: (ابن عباس)** هو عبد الله بن عباس الصحابيّ ابن الصحابيّ وكان يُقال له: حبر الأمة والبحر لكثرة علمه. رُوِيَ لابن عباس عن النبيّ ﷺ ألف حديث وستمائة حديث وستون حديثًا. اتفق البخاري ومسلم منها على خمسة وتسعين، وانفرد البخاري بمائة وعشرين ومسلم بتسعة وأربعين ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنهما. **قوله: (إذا أجحفت السنة)** يقال: أجحف به أي أذهبه واستأصله والسنة القحط. **قوله: (حشرتهم)** أماتتهم.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ (﴿سُجِرَتْ﴾ **مكي وبصري**) من سجر التنور إذا ملأه بالحطب أي ملئت، وفجر بعضًا إلى بعض حتى تعود بحرًا واحدًا. وقيل: مُلئت نيرانًا لتعذيب أهل النار ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ قرنت كل نفس **(بشكلها)** الصالح مع الصالح في الجنّة والطالح مع الطالح في النار، أو قرنت الأرواح بالأجساد، أو بكتبها وأعمالها، أو نفوس المؤمنين بالحور العين ونفوس الكافرين بالشياطين ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ **(المدفونة حية)**، وكانت العرب تئد البنات خشية **(الإطلاق)** وخوف الاسترقاق ﴿سُئِلَتْ﴾ سؤال تلطف لتقول بلا ذنب قتلت، أو لتدلّ على قاتلها، أو هو توبيخ لقاتلها بصرف الخطاب عنه كقوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: الآية ١١٦] **(الآية)** ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ وبالتشديد:

قوله: (﴿سُجِرَتْ﴾) بتخفيف الجيم **(مكيّ)** أي ابن كثير المكيّ **(وبصريّ)** أي أبو عمرو البصري وسهل بن محمد البصري ويعقوب بن إسحٰق البصري وليسا من السبعة. وقرأ الباقون بتشديدها. **قوله**: **(بشكلها)** أي بمثلها. **قوله**: **(المدفونة حية)** أشار به إلى أن الدفن حيًّا معتبر في مفهوم الوأد وإن مات بعد الدفن فهو قتل. **قوله**: **(الإطلاق)** أي الفقر. **قوله**: **(كقوله**: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ **الآية)** في الجلالين **(واذكر** ﴿وَإِذْ قَالَ﴾) أي يقول: (﴿ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ﴾) عيسى: وقد أرعد (﴿سُبْحَٰنَكَ﴾) تنزيهًا عما لا يليق بك من الشرك وغيره (﴿مَا يَكُونُ﴾) ما ينبغي (﴿لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾) خبر ليس ولي للتبيين (﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا﴾) أخفيه (﴿فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾) أي ما تخفيه من معلوماتك (﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝١١٦ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ﴾) وهو (﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾) رقيبًا أمنعهم مما يقولون (﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾) قبضتني بالرفع إلى السماء (﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ﴾) عليهم الحفيظ لأعمالهم (﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾) من قولي لهم وقولهم بعدي وغير ذلك (﴿شَهِيدٌ﴾) مطلع عالم به. اهـ. أي هذا كقوله تعالى لعيسى ابن مريم: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: الآية ١١٦] فإنه عليه الصلاة والسلام لما أجاب بقوله: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ

(يزيد). وفيه دليل على أن أطفال المشركين لا يعذبون، وعلى أن التعذيب لا يكون بلا ذنب.

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ «فتحت» **(وبالتخفيف: مدني وشامي وعاصم وسهل ويعقوب)**. والمراد صحف الأعمال تطوى صحيفة الإنسان عند موته ثم تنشر إذا حوسب، ويجوز أن يراد نشرت بين أصحابها أي فرقت بينهم ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١﴾ قال **(الزَّجَّاج)**: قلعت كما يقلع السقف ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢﴾ أوقدت إيقادًا شديدًا. **(بالتشديد: شامي ومدني وعاصم غير حماد ويحيىٰ للمبالغة)** ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣﴾ أدنيت من المتقين كقوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣١﴾

لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: الآية ١١٦]، ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: الآية ١١٧] كان ذلك أشد في تبكيت النصارى وفي توبيخهم. **قوله:** (يزيد) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع وليس من السبعة.

قوله: (وبالتخفيف) أي بتخفيف الشين (مدنيّ) أي نافع المدنيّ وأبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة (وشاميّ) أي ابن عامر الشاميّ **(وعاصم وسهل ويعقوب)** وليسا من السبعة. وقرأ الباقون بتشديدها للمبالغة. **قوله:** **(الزجاج)** هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين وصنّف كتابًا في معاني القرآن الكريم وأخذ الأدب عن المبرد وثعلب رحمهما الله، وكان يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب فنسب إليه، تُوفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادي الآخرة سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ست عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله. وقد أناف على ثمانين سنة. **قوله:** (وبالتشديد) أي بتشديد العين (شاميّ) أي ابن عامر غير الحلواني عن هشام[1] (ومدنيّ) أي نافع المدنيّ وأبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة (وعاصم غير حماد) بن زياد. يروي عن عاصم (ويحيىٰ) بن آدم يروي عن أبي بكر وهو يروي عن عاصم **(للمبالغة)**،

---

(١) يروي عن ابن عامر رضي الله عنه ١٢ منه رحمه الله.

[ق: الآية ٣١]. فهذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا والباقية في الآخرة. ولا وقف مطلقًا من أول السورة إلى ﴿مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ لأن عامل النصب في ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ﴾ وفيما عطف عليه جوابها وهو ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ﴾ (أي كل نفس) ولضرورة انقطاع النفس على كل آية جوز الوقف ﴿مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ من خير شر.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾﴾

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ «لا» زائدة (﴿بِٱلۡخُنَّسِ﴾) بالرواجع (**بينا**) ترى النجم في آخر البرج (**اذكّر راجعًا إلى أوله** ﴿ٱلۡجَوَارِ﴾) السيارة (﴿ٱلۡكُنَّسِ﴾ **الغُيّب**) من (**كنس**) الوحش (**إذا دخل كناسه**). قيل: هي (**الدراري**) الخمسة: (**بهرام وزحل وعطارد والزهرة**) والمشتري، تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تختفي تحت ضوء الشمس، فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس. وقيل: هي جميع الكواكب ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾﴾ أقبل بظلامه أو أدبر (**فهو من الأضداد**).

وقرأ الباقون بتخفيفها. **قوله**: (أي كل نفس) كقولهم تمرة خير من جرادة إذ النكرة قد تعمّ في الإثبات.

قوله: (﴿بِٱلۡخُنَّسِ﴾) الخنس جمع خانس والخنوس الرجوع إلى وراء والاستخفاء. **قوله**: (بينا) بين وبينا وبينما ثلاثتها واحد وثلاثتها ظرف. **قوله**: (اذكر راجعًا) هو العامل في بينا. **قوله**: (إلى أوله) أي البرج. **قوله**: (﴿ٱلۡجَوَارِ﴾) جمع جارية. **قوله**: (﴿ٱلۡكُنَّسِ﴾) جمع كانس. **قوله**: (الغُيّب)) جمع ركع جمع غائب. **قوله**: (كنس) من باب جلس. **قوله**: (إذا دخل كناسه) بالكسر وهو بيته الذي يتخذه من أغصان الشجر. **قوله**: (الدراري) في لسان العرب كوكب دُرّي ودِرّي ودَرّي ثاقب مضيء وجمع الكواكب دَراري. اهـ باختصار.

قوله: (بهرام) وهي المريخ بكسر أوله وهو كوكب في السماء الخامسة. **قوله**: (وزحل) بمنع الصرف للعلمية والعدل كعمر نجم في السماء السابعة. **قوله**: (وعطارد) بفتح العين وبمنع الصرف لصيغة منتهى الجموع في الثانية. **قوله**: (والزهرة) بضم أوله وفتح ثانيه في الثالثة. **قوله**: (فهو من الأضداد) لأنه موضوع للإقبال والإدبار وهما متضادان.

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ امتد ضوءه. ولما كان إقبال الصبح (**يلازمه الروح والنسيم**) جعل ذلك نفسًا له مجازًا وجواب القسم ﴿إِنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ أي جبريل عليه السلام. وإنما أضيف القرآن إليه لأنه هو الذي نزل به ﴿كَرِيمٍ﴾ عند ربه ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ قدرة على ما يكلف لا يعجز عنه ولا يضعف ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ عند الله ﴿مَكِينٍ﴾ ذي جاه ومنزلة. ولما كانت على حال المكانة على حسب حال المكين قال: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ ليدلّ على عظم منزلته ومكانته ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾ أي في السمٰوات يطيعه مَن فيها أو عند ذي العرش أي عند الله يطيعه ملائكته المقرّبون يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه ﴿أَمِينٍ﴾ على الوحي ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾ يعني محمدًا ﷺ ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كما تزعم الكفرة وهو عطف على جواب القسم.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ رأى محمد جبريل عليه السلام على صورته ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ (**بمطلع الشمس**) ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ﴾ وما محمد على الوحي ﴿بِضَنِينٍ﴾ ببخيل (**من الضن**) وهو البخل أي لا يبخل بالوحي كما يبخل (**الكهان**) رغبة في (**الحلوان**) بل يعلمه كما علم ولا يكتم شيئًا مما علم. (﴿بظنين﴾ **مكي وأبو عمرو وعلي**) أي بمتهم فينقص

قوله: (**يلازمه الروح والنسيم**) النسيم الريح الطيبة ويقال لها روح لكونها للاستراحة.

قوله: (**بمطلع الشمس**) أفق السماء ناحيتها والآفاق النواحي إلّا أن المفسرين اتفقوا على أن المراد بالأفق هٰهنا حيث تطلع الشمس استدلالًا بوصفه بالمبين فإن نفس الأفق لا مدخل له في إبانة الأشياء وإظهارها وإنما يكون له ذلك من حيث كونه مطلعًا لكوكب نيّر يبين الأشياء بضيائه، وذلك الكوكب هو الشمس وأسند الإبانة إلى مطلعها مجازًا باعتبار تسببه لها في الجملة فإن الإبانة في الحقيقة لضياء الطالع منه. **قوله:** (**من الضنّ**) بالكسر والفتح. **قوله:** (**الكهان**) مثل كفّار جمع كاهن. **قوله:** (**الحلوان**) بالضم العطاء. **قوله:** (﴿**بظنين**﴾) بالظاء (**مكيّ**) أي ابن كثير المكيّ (**وأبو عمرو وعليّ**) الكسائي وقرأ الباقون بالضاد.

شيئًا مما أوحي إليه أو يزيد فيه **(من الظنّة وهي التهمة)** ﴿وَمَا هُوَ﴾ وما القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ طريد وهو كقوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾ [الشعراء: الآية ٢١٠]. أي ليس هو بقول بعض المسترقة للسمع ويوحيهم إلى أوليائهم من **(الكهنة)**.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ **(استضلال لهم)** كما يقال لتارك **(الجادة اعتسافًا)** أو ذهابًا في **(بنيات الطريق)** أين تذهب؟ مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعُدولهم عنه إلى الباطل. وقال **(الزجاج)**: معناه فأي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بينت لكم؟ وقال **(الجنيد)**: فأين تذهبون عنا وإن من شيء إلا عندنا ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ ما القرآن إلا عظة للخلق ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ بدل من ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿أَن يَسْتَقِيمَ﴾ أي القرآن ذكر لمَن شاء الاستقامة يعني أن الذين شاءوا **(الاستقامة)** بالدخول في الإسلام هم المنتفعون بالذكر فكأنه لم يوعظ به غيرهم وإن كانوا موعوظين جميعًا ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ الاستقامة ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **(مالك الخلق أجمعين)**.

قوله: **(من الظنّة)** بالكسر. **قوله:** **(وهي التهمة)** بضم التاء وفتح الهاء ما يتوهم به وعليه وتسكين الهاء لا يجوز إلا في ضرورة شعرية. وقول الفاضل ابن كمال في شرحه لمفتاحه أنه بسكون الهاء لا بفتحها غلط منه. اهـ شهاب. **قوله:** **(الكهنة)** مثل كفرة جمع كاهن.

قوله:. **(استضلال لهم)** أي الاستفهام ليس على حقيقته وهو ظاهر بل المراد التنبّه على الضلال ومعنى السين العد دون الطلب أي عدّهم من أهل الضلال. **قوله:** **(الجادّة)** الطريق المسلوكة. **قوله:** **(اعتسافا)** الاعتساف الأخذ على غير الطريق. **قوله:** **(بُنيّات الطريق)** في الصحاح بُنيّات الطريق هي الطرق الصغار تنشعب من الجادّة. **قوله:** **(الزجاج)** هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد. **قوله:** **(الجنيد)** هو أبو القاسم الجنيد بن محمد سيّد هذه الطائفة وإمامهم مات سنة سبع وتسعين ومائتين. **قوله:** **(الاستقامة)** هو مفعوله المقدّر. **قوله:** **(مالك الخلق أجمعين)** يعني أن الرب بمعنى المالك وتعريف العالمين للاستغراق.

تمّت سورة التكوير والحمد لله على آلائه والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله اللّهمّ مستفيضًا من إفاضتك أشرع وأقول: